

# أرض الثقافة الألمانية

• علي عقله عربان

أذكر أنه عندما بدأنا الإعداد لإصدار عدد خاص عن الادب المكتوب باللغة الألمانية ، في مجلة الآداب الأجنبية ، لاسيما في الألمانيّتين والنمسا وسويسرا ، اعترض الألمان الديمقراطيون علي نشر ادب لكتابهم في عدد واحد مع الألمان الغربيين ، لانهم يرون أن الثقافة في كل من البلدين مختلفة عن الأخرى ولا مجال للقاء . وكان أن نشرنا ملفا خاصا عن الادب في ألمانيا الديمقراطية في عدد سابق من هذه المجلة ، وقد أشرت في تقديمي لذلك الملف الى حوار لي جرى مع كتاب في برلين الشرقية حول موضوع وحدة الثقافة الألمانية ، وكان رأيهم في اتجاهين : فريق يؤيد وحدة الثقافة ، وآخر لا يؤيد ذلك ، ويرى أن الاختلاف السياسي والاختلاف في نظام الحكم أقاما أسس ثقافة مختلفة بين الألمانيّتين .

من وجهة نظري كنت أرى أن الأرضية الثقافية العامة ، ولا سيما في مناهلها الرئيسة ، هي أرضية مشتركة ، نهل منها الجميع ونبتت عليها فروع الثقافة في ألمانيا : غوته وشيللر ، كانت وشوبنهاور وهيفل وفيخته وهسه ، بتهوفن وشومان ، وغير أولئك كثير ، حتى كارل ماركس نفسه ،

ولا يمكن ان يخترق مدى اللغة وحمولتها التاريخية ومدلولاتها معطى سياسي الى حد ان يغيرها ويستنبت على جذعها ما ليس من تكوينها ، مع الاعتراف بإمكانية ان تتم اضافات وأن توضح سمات تفني التجربة الثقافية وتزيد من انتشارها ، أو تنبت فطوراً على جسمها وتعيش على ذلك الجسم .

ومرت شهور ، واستيقظ العالم على حدث هز الدنيا وأدهش الناس : الالمان الديمقراطيون يهدمون جدار برلين ، ورئيسا الدولتين الالمانيتين يخطبان من على منصة واحدة بمناسبة اعادة فتح بوابة براندنبورغ ، والجماهير تطالب بوحدة المانيا ، والشعب في الديمقراطية يتسرب في عروق الغربية من حدود الدول الاخرى ، ثم من برلين ذاتها .

ويسرع سفراء الدول الاربعة : اميركا وروسيا وفرنسا وبريطانيا الى الاجتماع في برلين لبحث امور المدينة المقسمة ، رمز البلد المقسم وغنيمة الحرب الثانية ، ويسارع رؤساء تلك الدول لتذكير الالمان بالحدود وبجغرافية التقسيم التي دخلت التاريخ ، واصبحت هي جغرافية اوربا بعد الحرب .

لم يكن الالمان ، غربيون وشرقيون ، هم الذين توقفوا عند هذا ، ولم تقف ثقافة لهم او معطى ثقافي من أي نوع في ثقافتهم ليعلم وجود شعبين لا يلتقيان ، كانت العنصرية والقومية والمشاعر الواحدة هي التي تتحرك على مساحة تلك الارض ، ولم تمنع أية حواجز سياسية واجتماعية ، اشتراكية او شيوعية او سواها ، تدفق الالمان عبر عروق المانيا من الشرق ومن الغرب .

هواجس ، بعض هواجس ، كانت ترفع رؤوسها من آن لآخر عند بعض الاشخاص :

النزعة النازية ، هل ماتت لدى هذا الشعب ، وهل هي موجودة عند البعض ، وهل يمكن ان تعود ؟! هل هي في العمق الثقافي ، اي في التكوين ، ام هي عابرة ملتصقة بنظام سياسي وباشخاص وضعوا شعبا في تيار نفسي وعسكري وسياسي محدد ، خلال فترة من الزمن ، وتم استيعاب دروس تلك الفترة وعظاتها ؟!

— الجانب الاقتصادي وامكانية العيش بدخل محدود نتيجة لتفاوت قيمة العملة بين البلدين ومردود ذلك على الناس . ان الشرقي لا يمكن ان يشتري شيئا بدخله من الغربية ، وسيكون هناك احتياج وربما جوع اذا ما تمت العودة الى النظام الراسمالي .

مثل هذه الهواجس والمخاوف ارتفعت في فضاء نفوس الالمان او بالاحرى بعض الالمان ، وبعض المتبعين لهذا الحدث ، وارتفعت كذلك في فضاءات الاعلام ، وخامرت اسئلتها نفوسا وعقولا وشغلتها ، ولكن فيض الحرية المشرق اكتسح كل كوابيس المادة ، واسئلة العقل ، وحين يخير الانسان بين الحرية والاستراكية فهو يختار الحرية لانها الاساس في تكوين الانسان وحياته وجوهر وجوده ، اما الاشتراكية فليست اكثر من نظام اجتماع وعمل وسياسة ، قد تصلح بها الحياة وقد لا تصلح ، ولكنها قطعاً لا تتوقف عليها ، وهو يتمسك بها ويحرص عليها بمقدار ما تلبي احتياجاته ، وتؤمن وجوده ، وتحقق مستوى متقدما لانسانيته . تلك كانت الهواجس وبعض الاسئلة ، التي لم تعمق الحركة في الاتجاهين . ان العقائد والفلسفات والاجازات والافكار والادبيات والحيات والانظمة والسياسات انت لتكون في خدمة الانسان والحياة ، لا ليكون الانسان في خدمتها على حساب وجوده وسعادته وحرية ومقومات حياته والقيم الحياتية ذاتها ، وحينما لا تصلح حال المجتمع والفرد في ظل اي منها ، يعاد النظر بها لا بالانسان ، وهذا ماثبتت صحته ، وفرض حتميته ، بالرغم من التشديق بالاحتميات والجذليات والعلميات التي لم تثبت اية صلة لها بالعلم .

وتواصل افراد الشعب على جسد برلين والالمانيتين وعزفت الموسيقى وتحرك الكلام في الاجواء ليحمل معنى وليحمل حقائق الحياة ، وذلك التواصل اجبر النظامين السياسيين على التجاوب وتقديم التسهيلات ، ونام الالمان الشرقيون في بواخر وساحات عامة وبيوت وفنادق ومخيمات ، حسب القدرة والحاجة والامكانية ، وتغلبوا على مطالب معدهم ولكنهم لم تغلبوا على تيار الحنين الذي شد كل فريق منهم باتجاه الآخر ، ولا

على رياح الحرية التي عصفت حتى بسور برلين ، ولا على روح الثقافة التي كانت وراء ذلك كله ، والتي دفعتهم الى التسرب في شرايين البلاد من جميع الاتجاهات وحيثما امكن ذلك .

هل تفسير ذلك ينحصر في مقولة قزمة « كل ممنوع مرغوب » ؟! وكيف نفسر مواقف وافعال الكثيرين الذين كانوا يرمون انفسهم في النهر تحت تهديد القنص ، والذين ابتكروا آلاف الوسائل لعبور الجدار ، وحالات الذين ماتوا وهم يشدون الانعتاق ويتطلعون الى التواصل ؟! ان لم يكن بالثقافة الواحدة والانتماء لاصل مشترك غذته اشعار غوته وشيلر ، وموسيقا بتهوفن وافكار بريخت ، وتاريخ واحد لذلك الشعب تطفو على سطحه سياسات متضاربة من الرأسمالية الى الشيوعية ، ومن التسامح المسيحي الى التعصب النازي ، ولكنه يبقى تاريخ شعب واحد يمر في مراحل وتحولات ترسم خلالها على ارضيته الثقافية ولا تفر انتماؤه المشترك اليها .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لقد ازدادت اليوم اقتناعا بوحدة الثقافة الالمانية ، وبقدرتها على تفعيل الشارع باتجاه الحرية والوحدة ، واستمرار حيويتها وحياتها في ضمائر اولئك الذين يحملونها . وكانت هذه قناعتني بالنسبة للثقافة عموما ودورها وفعلها التأسيلي والتنويري والتحريري .

اما عن التطرف والتعصب ، وكمون التمييز والتفوق العنصري وقيم المجتمع النازي ، فتلك امراض تحملها ثقافة ونزوعات وممارسات وايدولوجيات ، لا بد من التصدي لها لدى كل من تولد لديه وتكون عنده ، وهي ليست في صلب التكوين الثابت للانسان هناك ، اي المستند الى الدين والقيم بشكل متواصل عبر التاريخ ، وانما هي حالات مرضية نمت وتضخمت عند بعض الالمان، وسادت نزوعهم العام في فترة من الزمن، ولم تكن وقفا عليهم (١) . وشأنها ليس كشأن العنصرية الصهيونية التي



ينبغي التذكير بها ، تلك التي رافقت اليهود في منازلهم « غيتو » وجعلتهم يتصورون أنفسهم شعبا مختارا اعلى من الآخرين ، ويستمدون ذلك من اوهام دينية وتاريخية ، ويعاملون الآخرين ، كل الآخرين ، على أنهم ادنى منهم واحط قيمة وقدرا ، تنفيذا وتجسيدا لعقيدة هي حصيلة مقومات ومعطيات ثقافية توههم بأنهم فوق الناس ، وان « سلالتهم النازلة » من السماء يحق لها ان تستعبد وتستبيح ارواح ودماء وجهود وممتلكات وأموال وأعراض سواهم ، من افراد « السلالة الصاعدة » من وحل الارض وطينها وديدانها وحيوانها ، اي « القوييم » فاذا كان النزوع الالمانى للشوفينية - النازية - او العنصرية ، وليد مرحلة عابرة وثقافة سياسية معينة ، فان مثل ذلك النزوع هو نزوع قديم وأصيل وثابت ويعتمد على قيم الثقافة العامة ومقوماتها لدى اليهود . وهذا الفرق الجوهرى ينبغي الا تزوغ ابصارنا عنه ، ولا نسكت عليه . لقد كانت مسكنة اليهود ليتمكنوا وعندما تسلم لهم ذلك فاقوا على رعاياهم في فلسطين المحتلة ، ونحن نشهد يوميا ممارساتهم العنصرية ضد شعبنا والتي تستمر منذ اكثر من اربعين سنة ، وتتصاعد في عصر الانتفاضة وسنواتها الثلاث .

وهناك عنصرية اوربية اخرى ينبغي الا نفعل عنها وهي عنصرية البيض في جنوب افريقيا ، ويوجد نزوعات عنصرية تنمو او تضرر في حالات وازمنة وبلدان ، وترافق ظروفنا او تنتج عن ظروف ، ولكنها لا تدخل في صلب التكوين الثقافى - العقائدى - الدينى - القيمى العام والثابت والمستمر ، وانما تكون ثمرة مرة لمرة لثقافة سياسية معينة . وهذا النوع من النزوعات المريضة ، والوجودية على نحو ما عند بعض الالمان لابد ان تحصر وتقاوم بالوعى المعرفى لحقوق الآخر ولشراكة الناس المطلقة في شرطي الوجود الانسانى والمصير الانسانى ويجب الا يسكت عنها كما انه من العدل الا تعمم على جميع افراد ذلك الشعب .

وكل هذا يستدعي التأمل والتدقيق والدرس ، ويستحق أن نبحث جذوره ومقوماته ، لا سيما في الثقافة بمفهومها الشامل . وان تواسلا ثقافيا وتفاعلا معرفيا واعيين لأغراضهما وأهدافها ، بين الثقافات والحضارات سيقود ان حتماً الى تفهم وتفاهم بين الشعوب ، والى معرفة اسلم وأدق لمقومات أمنها وسلامها وتعاونها، ولتأمين مصالحها ولتطلبات العيش المشترك في الحياة ، وفي عالم أصبح - بفضل وسائل الاتصال الحديثة - قرية كبيرة ، وغدا مهددا بأي فعل غير مسؤول يرتكبه أي من ساكنيه ، سواء كان ذلك التهديد موجهاً للبيئة أو للأخلاق والصحة العامة (مخدرات . ايدز . الخ) أو للوجود البشري والطبيعة بسبب الأسلحة النووية والجرثومية والكيميائية، أو لنوع الحياة وشروطها ومواصفات العيش البشري على بقعة ما من الأرض ، جراء تواطؤ أنظمة ضد شعوبها ، واندلاق عصاب ايدولوجيات وسياسات تريد ان تفرض على الناس مفاهيمها وحتمياتها « وعلميتها » و « ديمقراطيتها » و « قيمها » الحرة ، وكل ذلك الذي تدعيه هو منها براء ، والانسان بفعلها شقي وممارساتها شقي ، وليس من تعصبا ، يندفع أو يندفع ، الى انواع من الممارسات <http://www.besturd.net> البغيضة ، والعقائدية المريضة التي تعمى وتعم .

أشرت الى هذا الذي اسلفت الحديث فيه ، وانا اقدم لعدد خاص ، نحاول ان تقدم فيه لمحات من الادب المكتوب بالالمانية ، لاقتناعي بأن اللغة بدلايتها وحمولتها الروحية والفكرية ، تكون عصب الشخصية الثقافية ، او الخصوصية الثقافية لامة من الامم . واذا جمع فئة من الناس ، اضافة الى اللغة، دين واحد وبيئة جغرافية واحدة او متقاربة في مواصفاتها، وتاريخ مشترك ، فان ذلك لا بد ان يترك فيهم اثرا ظاهرا وسميا واضحا ، ولا بد انه يقرب بينهم ، ويتيح البحث عن خصوصية وهوية مشتركة ، وربما وجدنا شيئا من هذا في الادب المكتوب بالالمانية ، لا سيما وان الناطقين به تجمعهم صلاتهم ، ونواتهم الرئيسة في الالمانيتين وحدهما تصل الى ثمانين مليوناً من البشر في وحدة جغرافية وتاريخية وثقافية .

وقد نهجت هذه المجلة على تقديم اعداد خاصة ، تتناول بشيء من التركيز ، ادب بلد معين ، في مرحلة محددة ، بهدف التعريف به وإبراز بعض ملامح المرحلة التي يتناولها ، والإشارة الى التيارات والتوجهات والشواغل العامة فيه ، بشكل موجز ، يفتح الباب امام المستزيد ليقصد الينابيع الاكثر غزارة وعذوبة ، وليستكثر من زاد اذا احبه بالوسائل المتاحة له . والفاية هي احداث مناخ تفاعل وتواصل وتعارف أفضل ، بين ادبنا وكتابنا من جهة ، وبين الآداب والكتابات والثقافات في البلدان الاخرى من جهة ثانية ، وفتح نوافذ على الثقافات ، وخوض غمار المشافهة بوعي وثقة .

والادب المكتوب بالالمانية يحمل من الجدة والجدية ما يشجع على بذل مزيد من الجهد لترجمته والتواصل معه ، ونحن لا نعرف الكثير عن الحركة الادبية خصوصاً والثقافية عموماً ، في النمسا وفي اجزاء سويسرا الناطقة بالالمانية والتي قدمت لنا غريغور يدرش دورنمات وبيتر فافيس ، كما اننا لا نعرف الكثير عن حركة الادب والثقافة في المانيا الاتحادية . فقد كنا اكثر تواصلاً مع الحركة الثقافية في الديمقراطية ، واذا كانت قد حكمتنا ، كما حكمت جزءاً كبيراً من عالمنا - قبل عقد التسمينات هذا - نظرة محدودة نسبياً ، تنعكس عليها او فيها ، وتفرضها وتنفذ فيها ، مواقف سياسية وثقافية سياسية ، فلا يجوز ان يستمر ذلك ، ولا يجوز ان يحكمنا ثقافياً وادبياً ما يحكم السياسة ، بشكل مطلق .

ان حركات الترجمة « المتنامية » ايدولوجيا والمترجمة بالالتزام الثقافي السياسي ، والتي تحكمها عصبية ايدولوجية ، لا تضيق مجال الرؤية على نفسها فقط ، وانما على الثقافة التي تنتمي اليها والتي تعمل من اجل اغنائها ، وعلى الامة التي تعد الترجمة لها عيناً ترى الآخر ، ونافذة يدخل منها الريح والشمس . وفعل مثل الترجمة ينعكس سلباً على الشعب والثقافة ومسيرة التفاهم والتعاون والسلام بين الشعوب ، وان

شينا من اعادة النظر بالمواقف مطلوب للاطلاع على الجيد والجديد ، من خلال رؤية اوسع واشمل واكمل للآخر في ثقافته وخصوصيته وقدرته على الاغناء والاعتناء. والبحث في هذا الاتجاه عن ابداع ومعرفة واجتهادات تقدم لثقافتنا ، من الامور المطلوبة والمرغوب فيها ، بما يميز تميزا دقيقا بين الفث والسمين ، وبين السم والترياق ، كما ان فتح باب التبادل في الاتجاهين ، اخذا وعطاء من الامور التي تنقصنا كثيرا .

وآمل أن يكون اصدار هذا العدد من مجلة الآداب الأجنبية والمخصص للادب المكتوب بالالمانية ، والذي يدخل في اطاره ويتممه الملف الذي سبق ونشرناه في عدد سابق من المجلة عن الأدب في المانيا الديمقراطية ، وعرفنا على اعمال لانا زيفرز ، وبريخت ، وهرمان كانت وسواهم ، آمل أن يكون مفيدا ومحرضا على بذل مزيد من الجهد على طريق التفاعل والتواصل مع ثقافة جادة ، وفكر اثر كثيرا في ثقافة قرننا وحضارته ، وادب يحمل تجربة ثرية ، ورؤية خاصة للشعب من انشط شعوب الارض وأكثرها دأبا وقدره على الانبعاث من رماد التاريخ والمعصور



(1) اليس مشرا ومؤسفا ومؤسسيا ما يمارسه ، او يدعو الى ممارسته الشعب البلقاري اليوم - وليس سلطته - ضد البلغار المنحدرين من اصل تركي . حيث يطلبون اليهم تغيير دينهم وثقافتهم واسمايتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ويتظاهرون في الشوارع ضد القرارات الاخيرة لحكومتهم التي تريد ان تعود عن مثل هذه المعاملة العنصرية التي تتم عن نزوع فاشي ؟! أين كان ذلك مستترا ؟! وماذا فعلت الشيوعية والاشتراكية وماذا غيرنا إذن في هذا الشعب طوال السنوات الماضية ، ألم تستطيحا مجرد الفاء هذا النزوع العنصري ، او اضعافه ؟! ويحق لنا أن نتساءل هل ولدنا او نمثا مثل هذا يا ترى ؟!.

# كلمة التحرير

• رئيس التحرير

بعد العدد الخاص الذي أصدرته « الآداب الأجنبية » عن الأدب في جمهورية ألمانيا الديمقراطية ( العدد ٥٦ صيف ١٩٧٨ ) يأتي العدد الحالي ليكمل صورة الأدب الألماني المعاصر في العالم لأنه يغطي أدب اللغة الألمانية في جمهورية ألمانيا الاتحادية وفي النمسا وسويسرا . والملاحظ أنه عدد ثري يركز بوجه عام على القصة ، وقد كان هذا التدبير متعمدا لسببين اثنين على الأقل :

الاول : أن المجلة سبق أن نشرت ترجمات شعرية ألمانية ، وأن تكن محدودة جدا .

والثاني : أن الامكانيات المتوافرة للترجمة المباشرة عن الألمانية ، وهذا ما حرصنا عليه حرصا شديدا ، ليست وأعدة بالنسبة للترجمة الشعرية التي تحتاج الى موهبة نوعية واعداد خاص . وإذا كانت ترجمة الشعر قد أثرت منذ أيام الجاحظ وما زالت حتى الآن تشكل ما يشبه العضلة

فاتها بالنسبة للادب الالمانى ، ومن خلال ما قدم للمجلة من ترجمات  
شعرية عن الالمانية ، تشكل معضلة حقيقية ، اذ تبدو الاشعار بصيغتها  
الترجمة كابية اللون خافتة الصدى .

ونحن نعترف ايضا ان الترجمات الشعرية التي تقدمها المجلة في هذا  
العدد ليست متألقة دائما ، وهي شديدة التفاوت . وعذرنا في ذلك واضح ،  
مفاده ان المجلة لم تركز على العنصر الجمالي الابداعي وحده عند انتقاء  
المواد المنشورة هنا وانما كان لها هدف تمثيلي ، بمعنى تمثيل المناطق  
والكتاب والموضوعات والنزعات الادبية بقدر الامكان . ومما زاد في أهمية  
هذا العامل معرفتنا ان انتشار الادب الالمانى محدود جدا في البلاد العربية ،  
وانه رغم التعاطف القوي ذي الجذور التاريخية بين الشعبين العربى  
والالمانى فان القناة الادبية وهي قناة اساسية من قنوات التعبير عن التفاهم  
والتبادل لم تكن فعالة ولم تتقدم كثيرا منذ ايام الرائد الكبير ولفانغ غوته ،  
وطغت عليها قوة آداب اوروبية اخرى كان لها تأثير شديد في الادب العربى  
الحديث مثل الادب الانكليزي والادب الروسى .

ان الادب الالمانى جميل ومتنوع ومختلف ، وفيه عناصر مشتركة  
مع التجربة الادبية العربية ، وهذا يعني ان اساس تذوقه في الوطن العربى  
موجود ، يضاف الى ذلك ان الدهن العربى المعاصر متفتح لاستقبال هذا  
الادب ، وعلى الطرفين العربى والالمانى ان يبذلا جهودا منظمة لتأسيس  
قناة للتبادل الثقافى والادبى بين المنطقتين . ونحن نعتبر العدد الحالى  
خطوة اولى مبدئية ، نأمل ان تتبعها خطوات اكثر تنظيما واوسع تمثيلا .

وختاماً نشير بتقدير شديد الى ما قدمته لنا من عون في اعداد  
هذا العدد المراكز الثقافية او الجهات الالمانية العربية والنمساوية  
والسويسرية ونخص بالذكر المركز الثقافى لالمانيا الاتحادية ومديره و مترجميه  
الذين تجاوبوا بحماسة من اجل انجاح هذا العدد واخراجاه بمستوى لائق .

دمشق ، كانون الاول ١٩٨٩

د. حسام الخطيب

# استقبال الأدب الألماني في الوطن العربي

« لمحة تاريخية »

د. عبده عبود  
جامعة الزيتونة - كلية الآداب - مصر



## ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

منذ أواسط القرن التاسع عشر والثقافة العربية تتفاعل بشدة مع الآداب الأوروبية عبر وسائل مختلفة ، أبرزها الترجمة الأدبية والنقد والتأثير الإبداعي المنتج . وكان لهذا التفاعل نتائج كبيرة على أدبنا وثقافتنا، منها ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبي . فمن النتائج الإيجابية ظهور اجناس ادبية جديدة لم يعرفها الادب العربي حتى ذلك الحين في شكلها المتطور على الاقل ، كالرواية والمسرحية . ومنها أيضا توسيع افق القارئ العربي واغناؤه ببعد عالمي رحب ، ووضع الهوية الثقافية العربية على المحك في مواجهة الثقافات الاجنبية ، مما ساعد على بلورة المعالم الجديدة لتلك الثقافة . أما النتائج السلبية ففي مقدمتها خطر ان يؤدي استقبال الآداب الاجنبية الى تعميق اغترابنا الثقافي ، وان تلعب تلك الآداب دورا بديلا وجزئيا للادب المحلي ، الذي يتعرض لمنافسة قوية قادمة من خارج حدودنا

## □ استقبال الادب الالمانى في الوطن العربي □

اللغوية والحضارية . فالآداب الأوروبية الحديثة جزء من الثقافات الأوروبية وهي الثقافات المهيمنة في هذه المرحلة التاريخية التي تتسم فيها العلاقات الثقافية الدولية بتناقضات حادة ، تتهدد مجتمعات العالم الثالث ، بما فيها المجتمعات العربية ، بالوقوع في التبعية الثقافية .

والادب الالمانى احد الآداب الأوروبية المذكورة . إذ تتفاعل معه الثقافة العربية منذ مطلع القرن العشرين ، ولكن هذا التفاعل لم يحظ حتى اليوم بما يستحقه من اهتمام النقاد والباحثين ، وما زالت الدراسات التي وضعت حوله قليلة ومقتصرة على استقبال أعمال أدب الماني معين في المنطقة العربية . لذا بات من الضروري ان يقوم المرء باستعراض تلقي الادب الالمانى بصورة تاريخية ، وان يرسم الخطوط العريضة للمسار الذي اخذه ذلك التلقي . وهذا ما سنحاوله في هذه الدراسة . ولكننا لن نتمكن . نظرا لضرورات المكان ، من ان نقدم عرضا تاريخيا متكاملا لاستقبال الادب الالمانى عربيا ، بل سنكتفي باستعراض بعض محطات ذلك الاستقبال التي نعتبرها هامة ، ونرى فيها « مفاصل » وعلامات مرشدة في تاريخ تلك الظاهرة الادبية . وللسبب نفسه لن نتمكن من التطرق الى كل المحطات الهامة والاساسية ، بل لابد لنا من ان تقتصر على جزء يسير منها .

□ اذا قارنا استقبال الادب الالمانى في المنطقة العربية مع استقبال آداب اجنبية ( اوروبية ) اخرى ، كالادب الانكليزي والفرنسي والروسي ، نجد انه ينطبق على الادب الالمانى قول المثل الشعبي : « يرزقك الله حجة والناس راجعة » . . فبينما ازدهر استقبال الادبين الفرنسي والانكليزي اواسط القرن التاسع عشر . لم يبدأ تلقي الادب الالمانى الا مع مطلع القرن العشرين . وبالطبع لم يكن هذا التأخر وليد الصدفة ، بل كانت له مقدماته التاريخية ، التي يمكن اجمالها في : تأخر العلاقات العربية - الالمانية على



## □ استقبال الأدب الألماني في الوطن العربي □

وجه العموم . فقد سبق الإنكليز والفرنسيون الألمان إلى هذه المنطقة ، وتغلغلوا فيها ، لا عسكرياً واقتصادياً ، وسياسياً فحسب ، بل وثقافياً أيضاً ، حيث لجأوا إلى نشر لغتهم وأدبهم في المناطق التي وقعت تحت سيطرتهم الاستعمارية . وعندما قام قيصر ألمانيا فيلهلم الثاني ، الذي نسميه « غليوم » ، بزيارته الشهيرة إلى المشرق العربي في عام ١٨٩٨ ، كانت كل أرض قد شربت ماءها ، كما يقال . ولكن لحسن حظ الألمان أنه لم تتح لهم آنذاك فرصة الظهور في بلادنا كمستعمرين ، مما أبقى صورتهم إيجابية في أذهان العرب ، بل ولد عند العرب ظاهرة هيام رومانتيكي بكل ماهو ألماني ، وهي ظاهرة أطلق عليها الباحثون تسمية « حب الجرمانية » أو « جرمانوفيلي » . لقد أسف الألمان آنذاك لأنهم لم يتمكنوا من الحصول على موطن قدم في العالم العربي ، وذلك على الرغم من المساعي الاستعمارية الحثيثة التي بذلتها ألمانيا القيصريّة . ولكن تلك الحقيقة المرة التي لم يقبلوها إلا على مضض ، جعلتهم يظهرون في عين العرب كشعب ليست له سوابق استعمارية .

## □ شيللر : « الحب والديسية » :

مهما يكن من أمر ، فإن العرب لم يبدأوا إلا في مطلع هذا القرن باستقبال الأدب الألماني من خلال الترجمة . ولم تكن مسألة صدفة أيضاً أن يكون أول عمل أدبي ألماني يستقبلونه هو مسرحية الأديب الكلاسيكي فريدريش شيللر ( ١٧٥٩ - ١٨٠٥ ) « مؤامرات وغرام » ، حيث صدرت ترجمتها العربية الأولى عام ١٩٠٠ في بيروت ، وقد أعيدت الترجمة في وقت لاحق على يد حسين صادق الذي أعطاها عنوان: « الحب والديسية » (١) . وما من شك في أن ترجمة هذه المسرحية أكثر من مرة يدل بوضوح على اهتمام عربي كبير بها . ترى ما الذي أكسب « الحب والديسية » تلك

الراهنية ؟ لا أدري ان كان بين القراء الأعزاء من اطلع على هذه المسرحية ، معربة او في لغتها الاصلية ، فهي من حيث الموضوع والمضمون « مأساة بورجوازية » ، كما يقول علماء الادب ، موضوعها باختصار : فشل علاقة حب تنشأ بين ضابط أرستقراطي ينتمي الى طبقة النبلاء المسيطرة ، واسمه فرديناند ، وفتاة بريئة جميلة تنتمي الى الطبقة البرجوازية ، التي كانت تعتبر آنذاك طبقة وضعية . فوالد هذه الفتاة ، واسمها لويزه ، معلم بسيط يقف في مكان قريب من اسفل السلم الاجتماعي . لقد أصبحت علاقة حب كهذه عادية جدا في عالم اليوم ، سواء في ألمانيا أم عندنا . اما في أواسط القرن الثامن عشر ، وقبل ان تحقق الطبقة الثالثة (البرجوازية) انتصارها العالمي عبر الثورة الفرنسية ، فقد كان الفشل يصيب العلاقة كلها ، فان المحتم لمثل هذه العلاقة . ومع ان هذا الفشل يصيب العلاقة كلها ، فان جانبه المأساوي يصيب الفتاة وحدها ، حيث يلقاها ابوها في اعقاب « دسيسه » دنيئة ، دبرها اهل الضابط الأرستقراطي ، للحيلولة دون ان يقرن ابن طبقتهم المسيطرة ( فرديناند ) بفتاة من الطبقة الدنيا (لويزه) .

فحربة النقد الاجتماعي او شوكته ( إن كان للنقد شوكة ) موجهة إذن ضد الطبقة الارستقراطية الاقطاعية ، ودولتها الاستبدادية الفاسدة . وهذه إشكالية كان لها في مطلع القرن العشرين ، وعلى امتداد النصف الاول منه ، راهنية كبيرة في العالم العربي ، ولاسيما في مصر ، التي سادت فيها آنذاك تناقضات اجتماعية - ثقافية وسياسية ، تشبه الى حد ما تلك التي شكلت مضمون وموضوع مسرحية « الحب والدسيسه » . وقد مثل هذا الشبه في رأينا مصدر الحاجة الثقافية لاستقبال تلك المسرحية . وبالمناسبة فاننا نتكلم هنا عن « شبه » وليس عن « تطابق » ، لأن للعالم العربي تاريخه الاجتماعي - الثقافي ، الذي يختلف جذريا عن

## □ استقبال الادب الالمني في الوطن العربي □

التاريخ الالمني . ولذا فمن الخطأ تماما ان نطمس هذا الاختلاف جريا وراء أوجه شبه موهومة ، كما يفعل بعض علماء الادب المقارن ، الذين ما انفكوا يتحفوننا بـ « أبحاث التشابه » .

## □ « ابتسامات ودموع » :

كانت المحطة الهامة الثانية في استقبال الادب الالمني عربيا هي ترجمة قصة لكاتب الماني طواه النسيان في هذه الاثناء ، ولم يعد الناس في الاقطار الناطقة بالالمانية يعرفون عنه أكثر من أنه عالم اديان مقارن ومختص في اللغات الهندية القديمة ، بحث بات المرء لا يعثر على اسمه في اي من معاجم الادباء الالمان . انه ف. ماكس. مولر . اما قصته التي شاعت لها الظروف ان تلعب دورا عاما في مستقبل الادب الالمني عربيا فهي : « الحب الالمني من لؤلؤات غريب » .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

عربت هذه القصة للمرة الاولى عام ١٩١٣ ، و، للمرة الثانية في عام ١٩٢٢ ، وقد انجزت الترجمة الادبية العربية المعروفة مي زيادة ، التي كانت قد ارتحلت مع أسرتها من لبنان الى مصر : وبدأت بتعلم اللغة الالمانية في المدرسة الالمانية في القاهرة . وبعد أن تلقت عددا قليلا من الدروس ، نصحتها المعلمة بأن تطالع قصة « الحب الالمني » ، نظرا لسهولةها ورشاقة أسلوبها ، دون ان تدري المعلمة ان تلميذتها النجيبة لن تكتفي بمطالعة هذه القصة ، بل ستعربها أيضا . فقد سحرت « مي بالقصة » ، وما كادت تفرغ من تصفح فصلها الأول « حتى تملكنتي روحه الشعرية ... وابتهجت بمفاته نفسي المنفردة » ومع ان القارئة لم تملك ولو قاموسا للغة الالمانية ، « فقد استعنت بالقلم والقرطاس لرسم بلغتي تلك الخطوط البديعة » (٣) وفي الحقيقة فان ما استهوى كاتبتنا هي تلك النزعة الرومانتيكية المتأخرة ،

## □ استقبال الأدب الألماني في الوطن العربي □

التي تنسم بها قصة مولر . وهذا شيء طبيعي ، لان «مي» كاتبة عربية ذات توجه رومانتيكي ايضا ، ومن المنطقي ان تستأثر باهتمامها الاعمال الادبية الاجنبية ، التي تنطوي على توجهات قريبة من توجهها . فافق المثلثي لا يحدد كيف نستقبل الاعمال الادبية فقط ، بل يحدد ايضا اية أعمال نستقبل .

لكن مي واجهت آنذاك مشكلة هامة ، هي ضعف كفاءتها على صعيد اللغة الالمانية ، اي « لغة المصدر » ، كما يقول علماء الترجمة في ايماننا . صحيح ان كفاءتها كانت كافية لفهم معاني النص بصورة تقريبية ، ولكنها لم تكن كافية لفهم ذلك النص ، الى درجة تمكنها من ترجمته بشكل مناسب . لذلك جاءت الترجمة اقرب الى الاقتباس منه الى الترجمة بالمعنى الدقيق للكلمة . لقد جاءت الترجمة « حرة » الى حد بعيد . واول مظاهر تلك « الحرية » هو العنوان الجديد الذي وضعته المترجمة للقصة: « ابتسامات ودموع او الحب الالمني » . وبالطبع لا اعتراض على اللجوء الى الاقتباس او الترجمة الحرة ، فهما تقنيتان ادبيتان مشروعتان، لهما مسوغاتهما الفكرية والجمالية . ولكن المشكلة تتمثل في ان مي تصر في مقدمتها على انها مترجمة تنقل بأمانة لقوية ودلالية تامة ، وتعتقد انها « تقيدت بالاصل معنى وتعبيرا ، محاولة ابرازه الى العربية بصيغته الشعرية خاليا من الاستعارة القريبة والتنميق الشرقي » . الا ان مقارنة بسيطة بين الترجمة والاصل تكفي لإقناعنا بأن مي لم تتقيد بالمعنى ولا بالتعبير ، وكما كانت ثاقبة نظرة ذلك الرجل الذي سألها : « انت ناقله ماكس مولر الى العربية ام هو ناقلك الى الالمانية ؟ » ولكن المهم في رايانا هو ليس ما اذا كان ما قدمته لنا مي اقتباسا ام ترجمة ، بل هو أنها قدمت لنا عملا ادبيا جميلا في لغته واسلوبه ، عملا باقيا ، مازال الناس يقبلون

## □ استقبال الادب الالماني في الوطن العربي □

على قراءته بشغف ، مما جعل دور النشر تعيد طبعه مرات ومرات ، في الوقت الذي نسي فيه الالماني ان اديبا المانيا اسمه فريدريش ماكس موللر قد كتب ذات يوم قصة عنوانها : « الحب الالماني من اوراق غريب » .

## □ « آلام الشاب فرتر » :

ثالث المحطات الهامة في تاريخ استقبال الادب الالماني عربيا هي رواية رسائل غرامية اظن ان قسما كبيرا من القراء الاعزاء قد اطلع عليها ، او سمع بها على الاقل . انها رواية الاديب الكلاسيكي الالماني يوهان فولفغانغ غوته ( ١٧٤٩ - ١٨٣٢ ) : « آلام فرتر » ، التي ولدت بعد صدورها للمرة الاولى في عام ١٧٧٤ موجة من اعمال الانتحار في اوساط الشباب ، وصلت حتى اليابان ، التي يقال عن اهلها انهم اغرقوا عطفهم


صدرت الترجمة العربية الاولى لهذه الرواية في القاهرة عام ١٩١٩ ومازالت الترجمات تتوالى ، بحيث بلغت في هذه الاثناء مالا يقل عن سبع . ترى ما الذي يدل عليه هذا الفيض من الترجمات لعمل ادبي واحد ؟ الا يدل على شدة الاهتمام بهذا العمل ، وشدة الحاجة الثقافية إليه ؟ لا جدال في ذلك ، ولكن لم كل هذا الاهتمام ؟ وما مصدر تلك الراهنية الكبيرة ، التي اكتسبتها هذه الرواية عربيا ؟ وماهي طبيعة الحاجة الاجتماعية - الثقافية ، التي شكلت الشرط الضروري لاستقبال تلك الترجمات السبع ؟

ان اول ما يتبادر الى الذهن هو ان مصدر راهنية « آلام فرتر » لا بد وان يكمن في موضوعها ، اي « الحب المستحيل » ، ذلك الموضوع الخالد ، لافي المانيا وحدها ، بل في كل مكان وزمان تحول فيهما الحواجز الاجتماعية والاخلاقية دون لقاء المحبين ، فتنتج عن ذلك مأساة غرامية . والحب الذي

## □ استقبال الأدب الألماني في الوطن العربي □

تدور حوله رواية « آلام فرتر » ليس حبا لعلى التعيين ، كما يقال . فلو كان ذلك لما انتهى هذه النهاية المأساوية ، ولما أفرغ الشاب « فرتر » في رأسه كل تلك الطلقات النارية . انه حب مأساوي ، طرفاه : شاب بورجوازي ، ( اي ابن الطبقة المتوسطة آنذاك ) ، وفنأة تنتمي الى الوسط الارستقراطي النبيل ، ( اي الطبقة الاقطاعية بشقيها : العقاري والعسكري ) . ومرة أخرى نجد انفسنا حيال مأساة بورجوازية ، يموت فيها الطرف البورجوازي انتحارا ( لاقتلا ، كما هي الحال في « الحب والدسياسة » ) . فقد كانت البورجوازية في اواخر القرن الثامن عشر طبقة اضعف وادنى مكانة ومرتبة من طبقة النبلاء ، ولايجوز لها بالتالي ان تختلط بالطبقة العليا ، متخطية حدودها الاجتماعية . اما مأساة الشاب البورجوازي « فرتر » فتكمن في انه يرفض هذه الحدود ، ولكنه ليس بقادر على تجاوزها ، فلا يفلح امامه . وهو الشاب المقاتل في الحساسية ، الا الانتحار ولعل احد الاسباب الرئيسية للنجاح الكبير ، الذي حظيت به رواية « آلام فرتر » في ترجمتها العربية ، هو ان المجتمع العربي قد عانى ، وربما مازال يعاني من مشكلات اجتماعية واخلاقية تشبه الى حد ما تلك التي عانى منها المجتمع الألماني قبل قرنين من الزمن : طبقة بورجوازية ساعدة ومتنامية ، تحمل قيما ديموقراطية ، تصطدم بطبقة ارستقراطية إقطاعية هرمة ، تتشبث بما كرسته من امتيازات اجتماعية . ليست هذه هي الحال التي كانت سائدة في كثير من بقاع العالم العربي في النصف الاول من هذا القرن ، ولم تزال سائدة في بعض بقاعه حتى يومنا هذا ؟ تلك هي في رأينا الخلفية الاجتماعية - التاريخية لذلك الاستقبال الواسع والمتنوع ، الذي شهدته رواية « آلام فرتر » عربيا ، وهو استقبال قل أن حظي به عمل آخر من أعمال الأدب الألماني .

## □ استقبال الادب الالامى فى الوطن العربى □

ولكن توفر الخلفية الاجتماعية - التاريخية وحده لا يكفى لإنجاح استقبال العمل الادبى الاجنبى ، بل لابد من ان يتوفر الى جانبه شرطان ضروريان آخران هما : جودة نوعية الترجمة والتوسط النقدي المناسب . فمن بين « دزينة » الترجمات العربية التى عرفتها رواية « آلام فرتر » ، نالت الترجمة التى قام بها عن الفرنسية الاديب العربى المعروف احمد حسن الزيات ، وقدم لها عميد الادب العربى طه حسين ، اكبر قدر من النجاح . فمنذ ان صدرت تلك الترجمة للمرة الاولى ، وذلك فى عام ١٩٢٤ ، والطبعات تتوالى ، وكانت آخرها وان لم يكن افضلها ، تلك الطبعة التى صدرت عام ١٩٨٠ عن « دار القلم »  . اما افضلها فى الطبعة التى صدرت فى القاهرة عام ١٩٦٨ ضمن سلسلة « عالم الكتب » .

مالذى تمتاز به ترجمة « آلام فرتر » التى انجزها الزيات عن سواها من الترجمات العربية ؟ اذا اخذنا مقطعا من هذه الترجمة وقارناه بالاصل ، فاننا نصاب للوهلة الاولى بخيبة امل شديدة .

فالترجمة ليست « امينة » ولا « دقيقة » على صعيد الدلالة . ولكن متى كانت الامانة الدلالية مقياسا وحيدا لجودة الترجمة الادبية ؟ ان المعيار الرئيسى لتلك الجودة لابد وان يكون « التعادل الجمالى » او الاسلوبى ، لا التعادل الدلالي فقط . وبهذا المنظور فان ترجمة الزيات متعادلة مع الاصل الى حد كبير . فقد صاغ المترجم هذا العمل الادبى بأسلوب رشيق وجزل ، وبلغه رقيقة شغافة تتناسب مع مضمون الرواية ، وتقترب كثيرا من لغة غوته فى « آلام فرتر » . لذلك يشعر المرء انه حيال عمل اصلى يستمتع بقراءته ويجد لذة فى تلقيه . وهذا هو « التعادل الديناميكى » بين الترجمة والاصل ، كما يقول علماء الترجمة من ذوي الاتجاه التواصلى ،

الذين ينظرون الى الترجمة ، بما في ذلك الادبية منها ، كفعل تواصل ، يتم بين مرسل ومستقبل ، لاكمالية نقل لغوي ودلالي جامدة (٢) . وقد تحقق هذا التعادل الديناميكي المنشود على يد المترجم احمد حسن الزيات بصورة تكاد ان تكون نموذجية . اما مايعتور هذه الترجمة من قصور على صعيد التعادل الدلالي ، فلا بد لمن يشير اليه من ان يأخذ امرين يعين الاعتبار : اولهما ان الزيات لم ينقل « آلام فرتر » عن لغة المصدر الاصلية بل عن لغة وسيطة ، الامر الذي يزيد من احتمالات عدم التكافؤ الدلالي ، وثانيهما ان التكافؤ الاسلوبي كثيرا ما يستدعي شيئا من عدم التكافؤ الدلالي . وفي جميع الاحوال فان ما انجزه احمد حسن الزيات على الصعيد اللغوي - الاسلوبي يبقى الوجه الابرز والاھم . ولولا لما لقيت رواية « آلام فرتر » في ترجمتها العربية ذلك النجاح الغرائي الكبير ، الذي جعل منها واحدة من أشهر أعمال الأدب الألماني المعربة .

ARCHIVE

اما العامل الثالث الذي ساهم في نجاح ترجمة « آلام فرتر » فهي المقدمة التي وضعها لها طه حسين . ليس من المستغرب أن يقوم عميد الأدب العربي بتقديم رواية لأديب ألماني مثل « غوته » ؟ وما علاقة طه حسين بالأدب الألماني اطلاقا ، حتى يلجأ الى تقديم أحد أعماله ؟ للوهلة الاولى تبدو هذه التساؤلات محقة . فطه حسين لم يدرس الأدب الألماني بالمعنى الأكاديمي المألوف ، ولذا لا يمكن اعتباره خبيرا فيه . ولكن الشق الآخر للمسألة هو ان طه حسين قد خص الآداب الأجنبية ، ولاسيما ما ارتقى منها الى مصاف العالمية ( الأدب العالمي ) ، بقسط وافر من اهتمامه واولى أهمية قصوى لاستقبالها عربيا في مراحل تاريخية معينة ، اطلق عليها تسمية « عصر الانتقال من طور الى طور » ، او بعبارة أخرى : من الانحطاط الى النهضة . ففي عمر كهذا . ولا اذن اننا اجتزناه بعد ، يكون الشعب ،



## □ استقبال الادب الالمانى فى الوطن العربى □

حسب قول طه حسين ، متعطشا الى العلم بكل شيء ، وراغبا فى التعرف على كل جديد ، بعد ان سئم مالف قراءته من كتب ، ويود لو استطاع ان يجد من الطريف المتحدث مايشغى علته وينفع غلته ، كما جاء فى مقدمة « آلام فرتر » (٤) . وفى عصور كهذه تكون المسؤولية الملقاة على عاتق المترجم كبيرة ، لان جمهور القراء متعطش لكل جديد ، ومستعد لاستقبال حتى تلك الاعمال التى لاتعود عليه بالنفع . لذا فمن واجب المترجم ان يراعى حاجات شعبه وقدرته على الاستيعاب ، والا ينقل الا تلك الاعمال الادبية والفكرية التى تعود على الشعب بالنفع والفائدة ، وتعينه على التطور والانتقال ، على حد قول طه حسين . بذلك يكون عميد الادب العربى قد تلمس ، وفى وقت مبكر جدا ، احدى المسائل الحساسة فى قضية الترجمة ، الا وهى مسألة : اى الاعمال نترجم ؟ وكان جوابه على هذا السؤال واضحا وصائبا : علينا ان نترجم الاعمال التى تساعد شعبنا على التطور من جهة ، والتى يتمكن شعبنا من استيعابها من جهة اخرى ، وهما منطلقان لم يفقدا حتى يومنا هذا شيئا من صحتهما ، بل نحن اليوم فى امس الحاجة لاسترجاعهما والتمسك بهما ، من اجل ان تكون الترجمة وسيلة لتطوير مجتمعنا وتجديد ثقافتنا ، لا شكلا من اشكال التطفل الثقافى الاجنبى . وبذلك يكون طه حسين قد ارسى اسس ما اود ان اسميه « اخلاقيات الترجمة » . فالترجمة نشاط ثقافى هادف ، ولا بد من ان يلتزم باخلاق معينة ، لا ان يكون مجرد « باب رزق » ووسيلة للتكسب .

## □ « فاوست » :

بعد هذا الاستطراد الضروري حول « آلام فرتر » ، اود الانتقال الى محطة رئيسية اخرى من محطات استقبال الادب الالمانى ، واعني بذلك استقبال مسرحية ( غوته ) ، « فاوست » ، ذلك العمل الادبى العالمى ،

## □ استقبال الأدب الألماني في الوطن العربي □

الذي ما انفك منذ الثلاثينات من هذا القرن يتحدى المترجمين العرب ، ويمثل عقبة كاداء مازالوا يحاولون تذليلها . ولاعجب في ذلك ، بل سيكون العجب كل العجب الا يحدث ذلك . فصعوبة نقل العمل الادبي من لغة الى اخرى تتناسب طردا مع مستواه الفني - الجمالي ، اي كلما كان العمل الفني - اللغوي ارفع مستوى ، وكلما كانت بنيته اللغوية اكثر تركيبا وتعقيدا ، كلما كان عصيا على الترجمة . هل في الادب الالماني كله ، بل وفي الادب العالمي ، عمل في مثل تعقيد « فاوست » ؟ فمنذ قرابة قرنين من الزمن وعلماء الادب يحاولون تفسير هذا العمل ، دون ان يتوصلوا الى نتيجة نهائية ، ومازلنا نشهد كل عام صدور المزيد من التفسيرات . فما بالك ، عزيزي القارئ ، اذا كان الامر يتعلق بترجمته من لغة الى اخرى ، لاسيما وان كل ترجمة تستند اولا الى تفسير معين للنص الادبي المراد ترجمته ؟ كان استاذ الجغرافيا المصري محمد عوض محمد اول من اقتحم عقبة ترجمة « فاوست » ، وذلك في الثلاثينات من هذا القرن ، حيث انفق بضع سنوات من عمره على تعريب هذا العمل . ولكن بعض الظروف حالت دون صدور الترجمة قبل اواسط الخمسينات ، حيث اتم المترجم ما كان قد بداه قبل عشرين عاما ، وذلك بتشجيع مباشر من عميد الادب العربي وراعي استقبال الاداب الاجنبية طه حسين . وهكذا صدرت عام ١٩٥٨ ترجمة محمد عوض محمد للجزء الاول من « فاوست » ، تصدرها مقدمة طويلة بقلم طه حسين نفسه . كما زود المترجم المسرحية بدراستين: الاولى حول حياة « غوته » واعماله ، والثانية حول تأليف مسرحية « فاوست » ، فجاء العمل المترجم مزودا بجهاز نقدي كامل .

عرب محمد عوض محمد « فاوست » نثرا ، باستثناء الأغاني او الاناشيد القليلة التي يحتوي عليها النص . فقد أعاد صياغتها شعرا ، كما هي الحال مثلا بالنسبة لانشودة « ملك توله » ، التي تقترب في بساطتها اللغوية - الاسلوبية من الاغنية الشعبية .

## □ استقبال الأدب الألماني في الوطن العربي □

صحيح ان تلك الترجمة لا ترقى الى المستوى الاسلوبي والجمالي للاصل ، ولا تتعادل معه . ولكن متى كان التعادل الاسلوبي - الجمالي في الترجمة مسألة مطلقة ؟ اما اذا نظرنا الى التكافؤ كمسألة نسبية ، أمكننا القول ان هذه الترجمة تقترب من التكافؤ الجمالي المنشود بدرجة لا بأس بها ، اذ انها تحقق الوظيفة الجمالية للأشود ، تلك الوظيفة التي لا يمكن تحقيقها من خلال ترجمة نثرية قد تكون اكثر امانة للمعنى .

ومن الاسباب التي تجعل ترجمة محمد عوض محمد المسرحية « فاوست » محطة اساسية في تاريخ استقبال الأدب الألماني عربيا تلك المقدمة التي وضعها لها طه حسين ، وهي مقدمة ناصعة الاسلوب وغنية بالأفكار ، سواء فيما يتعلق بـ « غوته » ومسرحيته ، ام بالترجم وفنه . وقد كرر المؤلف في هذه المقدمة ماسبق وان دعا اليه في مقدمته لـ « آلام فرتر » بالنسبة للترجمة الادبية ، حيث اشترط على المترجم الا يكتفي باجادة الترجمة من لغة الى لغة ، بل ان يلبس نفس المؤلف وينقل الى الناس شعوره وحسه وعواطفه وميوله وأهواءه كما يجدها المؤلف نفسه (هـ) .

اوليست هذه نواة نظرية سيكولوجية للترجمة الادبية ؟ ومهما يكن من امر ، فاذا كان في الأدب الألماني المترجم الى العربية من تقديم نقدي يصلح لان يعتبر قدوة يحتذى بها ، فانها تلك المقدمات المتألقة اسلوبيا والفنية مضمونا ، التي وضعها طه حسين لـ « فاوست » و « آلام فرتر » وسواهما من أعمال غوته المعربة .

لم يمض اكثر من عام واحد على صدور ترجمة « فاوست » التي أنجزها محمد عوض محمد ، حتى قدم عبد الحليم كرامة ترجمة أخرى

## □ استقبال الادب الالمانى في الوطن العربي □

للمسرحية نفسها ، ولكنها ترجمة شعرية لاثنية ، الامر الذي يمثل مسوغا كافيا لوجودها . ويبدو ان هناك من لم يقنع بهاتين الترجمتين ، وان كنا لانستبعد انه لم يعلم بوجودهما اصلا لكونهما صدرتا في مصر ، ونحن في العالم العربي نجيد « فن » تجاهل ماينجزه اخواننا في الاقطار العربية الاخرى . وهكذا صدرت عام ١٩٨٠ في دمشق ترجمة جديدة لمسرحية « فاوست » ، وقد انجزها عن الفرنسية ( ! ) المحامي السوري سهيل ايوب ، مستعينا اضافة لذلك بترجمتين انكليزيتين (١) . ولكن المستغرب حقا هو الا يستعين بالترجمتين العربيتين اللتين انجزتا عن لغة المصدر الاصلية ، بل لايشير اليهما على الاطلاق . ولكن لم الاستغراب ؟! فحقل الترجمة الادبية في العالم العربي مليء بمثل هذه المفارقات . وكنا نتمنى ان يسوغ سهيل ايوب هذه الترجمة الجديدة بالاشارة الى نواقص واشكاليات دلالية ونصية واسلوبية ، لاشك في ان ترجمتي عوض وكرارة لاتخلوان منها ، ولكنه لم يفعل ذلك ، ولزلة اخرى يسبق السيف العدل . وفي جميع الاحوال فان « زيادة الخير خير » ، وها قد وفرت لنا الترجمة الجديدة امكانية اضافية للمقارنة بين ترجمات مختلفة لعمل ادبي واحد .

## □ وماذا عن « بريشت » ؟

عندما يذكر الادب الالمانى ، فان اول مايتبادر الى ذهن القارئ العربي اضافة الى اسم غوته اسم كاتب مسرحي حديث هو برتولست بريشت ( ١٩٦٨ - ١٩٥٦ ) ، الذي اشتهر في العالم العربي بـ « بريخت » . ولا عجب في ذلك ، فما من كاتب ألماني ترجم له ذلك العدد الكبير من الاعمال ، وكتب او ترجم عنه هذا العدد الكبير من الابحاث والسير ، واثّر في المسرح العربي المعاصر ، مثل بريشت .

## □ استقبال الأدب الأتاني في الوطن العربي □

شهد استقبال أعمال هذا الأديب عبر الترجمة مرحلتين رئيسيتين، يمكن أن نطلق على أولاهما تسمية « المرحلة المصرية » ، وأن نسمي الثانية « المرحلة السورية - اللبنانية » . وهما بالطبع ليستا مرحلتين منفصلتين ومتعاقبتين زمنيا بشكل كامل ، فلو حدث ذلك لكنت مسألة استلام وتسليم مصطنعة ، وهذه عملية لا مكان لها في التبادل الثقافي ، بعلاقاته المعقدة المتشابكة . ولكن مما لا جدال فيه أن المرحلة المصرية ( أن صح التعبير ) متقدمة زمنيا على المرحلة السورية بوجه عام . فقد صدرت في النصف الأول من الستينات ، وبالتحديد في عام ١٩٦٣ ، أولى مسرحيات بريشت العربية ، وهي « دائرة الطباشير القوقازية » ، التي نقلها إلى العربية استاذ الفلسفة المصري المعروف عبد الرحمن بدوي ، الذي عرّب بعد ذلك بعامين مسرحيتين أخريين من مسرحيات بريشت هما : « إنسان ستشوان الطيب » و « الأم الشجاعة » . وفي العام نفسه ، أي ١٩٦٥ ، ظهر في مضمار استقبال بريشت ، مترجم مصري آخر ، سيلعب منذ ذلك الحين دورا أساسيا في تعريب أعمال بريشت ، هو الفيلسوف والباحث الأدبي عبد الفغار مكاوي ، الذي انتقل إليه « قصب السبق » ، وحمل راية استقبال بريشت طوال عقد كامل من الزمن .

وبينما لم يتكرر ظهور بدوي بعد ١٩٦٥ على ساحة ترجمة بريشت إلا مرة واحدة . وذلك في عام ١٩٧٨ ، عندما صدرت في الكويت ترجمته لمسرحية « السيد بونتيلا وتابعه ماتي » ، قام مكاوي منذ ١٩٦٥ بتعريب خمس من مسرحيات بريشت ، ومختارات من قصائده . ويجمع الباحثون والنقاد على اعتبار الترجمات التي قدمها بدوي إشكالية من الناحيتين الدلالية والأسلوبية ، فإنهم متفقون أيضا على أن الترجمات التي أنجزها عبد الفغار مكاوي رصينة وجيدة النوعية من النواحي النصية

## □ استقبال الأدب الألماني في الوطن العربي □

والدلالية والاسلوبية (٧) . وفي أواسط السبعينات ، وبالتحديد في عام ١٩٧٥ ، ظهر على صعيد استقبال بريشت عربياً مترجم سوري ، سيلعب من الآن فصاعداً الدور الأول في هذا الاستقبال : انه الناقد المسرحي والباحث في الأدب الألماني نبيل حفار . فقد عرب هذا المترجم بين ١٩٧٥ و ١٩٨٢ خمسا من مسرحيات بريشت ، هي : « الام » و « شنيك في الحرب العالمية الثانية » و « رجل برجل » و « جان دارك او قديسة المسالخ » و « توراندوت او مؤتمر غاسلي الأدمغة » .

خلفا لبدوي ومكاوي ، وهما فيلما فان من حيث الاختصاص ، فان نبيل حفار متخصص في الدراما والمزج ، وقد راكم نتيجة لعمله كناقد مسرحي ومشرف على مجلة « الحياة المسرحية » ، خبرة ضخمة على صعيد التعامل مع النص الدرامي ، بحيث توفرت في تخصصه شروط مثالية للمترجم المسرحي الناجح . لذلك جاءت ترجمته للاعمال المسرحية متقدمة على كل ما سبقها ، فمثلت قفزة نوعية على هذا الصعيد . وقد تجلت تلك القفزة على مستويي الترجمة والتقديم النقدي على حد سواء فنبيل حفار من كبار المتخصصين العرب في مسرح بريشت ، وهو بالتالي أجدر من يقوم بكتابة مقدمات نقدية لما أنجز ترجمته من مسرحيات . وهذا ماحدث بالفعل . فقد زود المترجم الاعمال المسرحية التي عربها بمقدمات نقدية ، تفسر وتحلل الاعمال المترجمة بدقة وعمق ، وتلقي الضوء على نشوئها وخلفياتها التاريخية ، مقدمة بذلك للقارئ مساعدة قيمة على فهم هذه الاعمال الادبية الاجنبية واستيعابها . اما على صعيد الترجمة نفسها فتمثل الانجاز الترجمي في مسالتيْن أساسيتيْن ، اولاهما هي التعادل الدلالي مع الاصل ، حيث جاءت الترجمات امينة للنصوص المترجمة ، فلم تحذف منها ، ولم تزد عليها ، ولم تحرف محتواها واغراضها . والثانية هي ان نبيل حفار

## □ استقبال الأدب الألماني في الوطن العربي □

قد نجح في تحقيق درجة معقولة من التعادل الاسلوبي والجمالي مع الاعمال الاصلية ، ذلك التعادل الذي يظل الهدف الاسمي لكل ترجمة ادبية . ولئن كانت خصوصية النص الدرامي تتمثل في قابليته لان يعرض على خشبة المسرح ، فان ترجمات بريشت التي انجزها نبيل خفار هي اقرب الترجمات الى روح النص المسرحي وخصوصيته . وفي كل الاحوال فان موضوع استقبال بريشت عربيا كبير ومتعدد الجوانب ، بحيث لا يمكن للمرء ان يفقه حقه في هذه المجالة (٨) .

## □ المتهم البريء كافكا ؟

مامن عرض لتاريخ استقبال الأدب الألماني في المنطقة العربية يستطيع ان يتجاوز او حتى ان يمر مرور الكرام بتلقي القاص التشيكي الجنسية ، الألماني اللغة ، فرانتس كافكا (١٨٨٣ - ١٩٢٤) . فهذا الاديب لم يملأ الدنيا ويشغل الناس في أوروبا وحدها ، بل وفي العالم العربي أيضا . وعندما يذكر كافكا ، فان أول ما يتبادر الى أذهاننا هي قصته المربعة « المسخ » التي نقلها في أواسط الخمسينات منير البعلبكي عن الانكليزية . وظهرت منذ ذلك الحين عدة طبعات (٩) . ولكن القليلين جداً يتذكرون ان الرجل الذي افتتح استقبال كافكا عربيا هو عميد الادب العربي طه حسين ، وذلك قبل عشر اعوام من صدور الترجمة العربية لقصة « المسخ » . واذا كنا نستطيع ان نتصور الاسباب التي دعت حسين لان يشارك في تسهيل تلقي اعمال اديب كلاسيكي مثل غوته ، الذي رسخ اقدامه منذ وقت طويل كقطب من اقطاب الادب العالمي ، فانه يصعب علينا ان نجد تفسيراً لقيام عميد الادب العربي في اواخر الاربعينات بكتابة مقال مطول ، يعرف فيه القراء العرب بأديب اجنبي لم يسمعوا به من قبل ، هو فرانتس كافكا . ولكن مقال طه حسين نفسه يقدم لنا اجابات شافية على

## □ استقبال الأدب الألماني في الوطن العربي □

مثل هذه التساؤلات . فقد كان لاهتمامه بكافكا سبب مباشر ، هو اقامته في فرنسا عام ١٩٤٦ ، أي في مرحلة « فتح » فيها كافكا فرنسا للمرة الثانية بإشراف الوجوديين الفرنسيين ، وفي مقدمتهم سارتر وكامو . ولكن الأهم من هذا السبب المباشر هو وجه القاربة أو الشبه ، الذي اعتقد حسين أنه قائم بين الأديب البراغي وبين شاعره المفضل أبو العلاء المعري . فمن مطالعته لأعمال كافكا المترجمة إلى الفرنسية ، ولما كتب في فرنسا حول هذا الأديب ، استنتج حسين أن هنالك أوجه شبه عديدة تربط « فتى براغ » بـ « شيخ المعرة » (١٠) .

ليس المهم في رأينا أن تكون أوجه الشبه التي رآها طه حسين بين كافكا وأبي العلاء المعري صحيحة . فبعضها يصمد للنقاش ، والبعض الآخر يتعارض مع نتائج البحوث المتعلقة بكافكا . ولكن المهم في مقالة طه حسين هو أنها عبرت بصورة مباشرة وصحيحة عن الحق المستقبل . فما من ناقد أدبي غير طه حسين يمكن أن يفكر في أن يقارن بين كافكا ، ذلك الكاتب الأوروبي الحديث المبصر ، الذي لم تخل حياته يوما من علاقات نسائية ، وبين شاعر عربي قديم أعمى ، كانت علاقته بالمرأة شديدة التعقيد . حقا : إنها لأحدى مسلمات التأويل الأدبي ، أن كل امرئ يفهم العمل الأدبي ويفسره وفقا لأفقه ، لاوفقا للمعطيات الدلالية للنص فقط . وكل يوم يمر يأتينا بأدلة جديدة على صحة هذه المقولة التأويلية ، التي لم تعد موضع جدال . أما الجانب المهم الثاني في مقالة طه حسين حول كافكا ، فهي الطريقة المقارنة ، التي اتبعها في تقديم هذا الأديب الأجنبي . وبغض النظر عن صحة ماذهب إليه بخصوص الشبه بين كافكا وأبي العلاء . فقدمكنه تلك المقارنة من أن يستثير اهتمام القارئ العربي بـ كافكا ، وأن يقيم جسرا بين الأدبين العربي والألماني . وهذه أولى وظائف النقد الأدبي ،



## □ استقبال الادب الالمانى في الوطن العربي □

المقارن ، و افضل طريقة لتقريب الآداب الأجنبية الى اذهان وآفاق المتلقين العرب . وفي هذا تمثل مقالة طه حسين قدوة يجدر بالنقاد العرب ان يحتذوا بها في سعيهم لتقديم تلك الآداب .

ولكن تلك المقالة ليست قدوة من حيث ادائها لوظيفتها النقدية فحسب ، بل هي قبل هذا وذاك قدوة في اسلوبها ، اي في فن المقالة الذي يتجلى فيها ، وهو فن اجاده طه حسين ايما اجادة ، مما ضمن لمقالاته اتساع التأثير وعمقه . وشتان بين هذه المقالة الفنية فكريا واسلوبيا ، وبين تلك المقدمات الجافة الهزيلة ، ذات الاسلوب الانشائي الباهت ، التي يكتبها بعض المترجمين لما يعربونه من اعمال ادبية وفكرية اجنبية . فالتقديم النقدي في باب المقالة ، ولا بد لمن يمارس هذا العمل من ان يجيد ذلك الفن ، والا تحول التقديم الى عمل على العمل المترجم ، بدلا من ان يكون ميسر لاستقباله .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ولكن تماما كما « لاتصنع السنونو ربيعا » ، حسب المثل الشعبي الالمانى ، فان التقديم النقدي وحده لا يصنع استقبالا ادبيا ، مالم تتوفر شروط اخرى ، وفي مقدمتها وجود الحاجة الاجتماعية - الحضارية ، والمترجم الذي يتولى عملية النقل من لغة المصدر الى لغة الهدف ، وهما شرطان لم يتوفرأ حين كتب طه حسين مقالته حول كافكا . وهكذا انقضت عشر سنوات قبل ان تصدر ترجمة عربية لاحد اعمال كافكا القصصية ، هي قصة « المسخ » ، وكان لا بد من ان ينقضي احد عشر عاما اخرى على صدور ترجمة « المسخ » ، قبل ان تصدر ترجمة عربية لاحدى روايات كافكا . وهي « المحاكمة » ، التي نقلها مصطفى ماهر عن الالمانية عام ١٩٦٨ بعنوان « القضية » . وفي اواخر الستينات ومطلع

## □ استقبال الأدب الألماني في الوطن العربي □

السبعينات نشط استقبال كافكا عربيا بشكل ملحوظ ، فترجمت « المحاكمة » مرتين : الأولى عن الألمانية والثانية عن الانكليزية ، كما عربت روايتنا « القصر » و « امريكا » ، بالإضافة الى عدد من قصص كافكا واقاصيصه (١١) .

لكن حركة استقبال أعمال كافكا عبر الترجمة خمدت بعد ذلك دفعة واحدة ، وانسحبت المجال لمعركة ايديولوجية قل ان ثارت حول اديب اجنبي . فقد اثيرت في مطلع السبعينات على صفحات مجلة « الآداب » البيروتية مسألة علاقة كافكا بالصهيونية ، ثم تلقفت مجلة « الاقلام » العراقية الكرة ، فنشرت من احاديث يانوخ المزعومة مع كافكا ما اثبت ان هذا الاديب صهيوني قح . وبعدئذ انتقلت الكرة الى ملعب مجلة « الموقف الادبي » الدمشقية ، التي نشرت عام ١٩٧٤ ترجمة لقصة « بنات آوى عرب » ، مرفقة ببحث نقدي للكاتبين الفلسطينيين المعروفين فيصل دراج ومحمود موعد ، يتناولان تهمة الصهيونية السياسية ، لا الثقافية فقط ، على كافكا . وفي عام ١٩٧٩ استأنفت « الاقلام » حملة دمج كافكا بالصهيونية ، وذلك في اطار عددها الخاص حول الادب الصهيوني الذي تضمن بحثا للناقد العراقي كاظم سعد الدين ، يزعم فيه ان كافكا صهيوني من راسه حتى اخمص قدميه ، وان كل سطر كتبه ينضح صهيونية خبيثة مقنعة بالرموز الادبية (١٢) .

وهكذا بدت الامور وكان تهمة الصهيونية قد ثبتت على كافكا ، ولم يبق إن أن تتحرك اجهزة الرقابة العتيدة ، لتضع مؤلفاته في قائمة الكتب المنوعة . وبعد مرور نصف قرن على وفاته وجد كافكا نفسه يمرّ في عالمنا العربي السعيد بمازق لا يحسد عليه ، وعيشة انتظر المرء أن ينبري

## □ استقبال الأدب الألماني في الوطن العربي □

المختصون في الأدب الألماني ، ليقولوا الكلمة الفصل في هذه المسألة .  
فقد لاذ هؤلاء بالصمت وكان الأمر لا يعنيهم من قريب أو بعيد . ولكن  
« لو خلت الدنيا من الطيبين لخربت » ، كما يقول المثل الشعبي العربي .  
وبالفعل انبرى للدفاع عن كافكا ، ودرا تهمة الصهيونية عنه ، أناس من  
خارج الوسط الاختصاصي ، وفي المقدمة من هؤلاء الباحثة العراقية بديعة  
أمين ، التي ردت على صفحات « الأقلام » نفسها على كاظم سعد الدين ،  
واغتصمت هذه الفرصة من أجل أن تبلور رداً شاملاً ، تدحض فيه بشكل  
مستفيض ومفصل، مزاعم كل أولئك الذين يزعمون أن كافكا صهيوني (١٣) .

ولكن بغض النظر عن الرابع والخامس سياسيا وايدولوجيا في  
الجدال العربي حول صهيونية كافكا . فإن لهذا الجدل دلالات عميقة  
على صعيد تاريخ استقبال الأدب الألماني والأدب الأجنبية عربيا .

واهم تلك الدلالات في رأينا هو أنه قدم برهانا ساطعا جديدا على  
ان استقبال الأدب الأجنبية لا يخضع لمقاصد ومصالح وحاجات الثقافة  
المرسلة وحدها ، بل يخضع بنفس الدرجة لأفق وحاجات وأوضاع المنطقة  
المستقبلية . كما لا يمكن اعتبار حالات سوء الفهم الفظيعة والمقذعة، التي  
ظهرت إبان ذلك الجدل ، مجرد صدفة ، بل هي وليدة تناقض بين أفقين  
ينتميان إلى منطقتين حضاريتين مختلفتين : أفق العمل الأدبي الأجنبي ،  
وهو في هذه الحالة أوروبي - ألماني ، والأفق الفكري للمتلقين ، وهو أفق  
شرقي - عربي . وإذا كان الاستقبال الأدبي عملية يتم فيها انصهار الأفقين ،  
كما يرى المنظر الألماني المعروف هانس روبر يابوس (١٤) . فقد كانت عملية  
الانصهار هذه في حالة استقبال « كافكا » عربيا ، شديدة التناقض ، وكانت  
النتيجة أن فشلت العملية الاستقبالية برمتها ، الأمر الذي يعتبر الجدل  
العربي حول صهيونية كافكا وثيقة شاهدة عليه .

### □ استنتاجات :

ان اهم مانستنتجه من استعراضنا لهذه المحطات المختارة في تاريخ استقبال الأدب الألماني عريبا هو مايلي :

١ - من الضروري وضع حد لحالة التخطط والعشوائية ، السائدة على صعيد اختيار الاعمال الادبية المتلقاة وذلك بوضع استراتيجية ترجمة، تنطلق من الحاجات الحضارية للمجتمع العربي من جهة ، ومن تقييم سليم للنوعية الجمالية والفكرية للاعمال الادبية المراد تعريبها من جهة أخرى ، بحيث نترجم من الاعمال ما هو مفيد لمجتمعنا ، وما هو جيد وقيم من حيث النوعية الجمالية والفكرية .

٢ - ومن الضروري ايضا رفع السوية الاسلوبية والجمالية للترجمات فاروع الاعمال الادبية تفقد روعتها ، اذا لم تنقل بصورة متكافئة اسلوبيا وجماليا مع النصوص الاسلية ، مما يجعلها تفقد كل تأثير جمالي وفكري .

٣ - نظرا لاهمية الدور الذي يلعبه التوسط النقدي في إنجاح استقبال الاعمال الادبية المترجمة ، فمن الضروري ان تزود الاعمال الادبية المعربة بمقدمات نقدية غنية بالمعلومات ، وموضوعة بفن مقالة جيد ، يرغب القارئ في استقبال العمل المترجم ، بدلا من ان ينفره من ذلك ، كما هي الحال في تلك المقدمات ، التي يغلب عليها طابع الانشائية والركاكة والضحالة .

وباختصار ، فاذا انتقينا الاعمال الادبية الالمانية بصورة صحيحة ، وترجمناها بشكل جيد ، وقدمنا لها تقديا بطريقة مناسبة ، عندئذ لن يحول شيء دون ان تستقبل تلك الاعمال بنجاح ، وان تؤدي الوظيفة الجمالية والفكرية والتجديدية ، التي نشدها من استقبالها . اترانا نطلب المستحيل ؟

□ استقبال الأدب الألماني في الوطن العربي □

## □ الهوامش :

- (١) فريدرش شيلر : الحب والدسياسة . ترجمة حسين صادق ، القاهرة (ب.ت) .
- (٢) مي زيادة : ابتسامات ودموع . دمشق ١٩٨٠ ، ص ١٤ . أما النص الأصلي فهو ،  
F. Max Müller : Deutsche Liebe Aus den Blättern  
eines Fremdlings  
Werner Koller: Einführung in die Übersetzungswissenschaft.  
Heidelberg 1983, S. 83 - 88.
- (٣) جيته : آلام فارتر . ترجمة أحمد حسن الزيات . مقدمة بقلم طه حسين . بيروت  
١٩٨٠ ، ص ٩ وما بعدها .
- (٤) يوهان فولفغانغ غوته : فاوست . ترجمة محمد عوض محمد ، تقديم طه حسين .  
القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٧ .
- (٥) غوته : فاوست . ترجمة الحافظ سهيل اليوب . دمشق ١٩٨٠ .
- (٦) كانت نوعية الترجمة عند بدوي موضع نقد شديد من جانب الباحثين نبيل حفار  
وعلاء الدين حلمي في ندوة برلين للترجمة الأدبية ( شباط ١٩٨٥ ) .
- (٧) صدرت حول هذا الموضوع ثلاث أطروحات دكتوراه لعادل فرشولي ومجدي يوسف  
وناهد الديب .
- (٨) فرانز كافكا : المسخ . ترجمة منير البعلبكي ، بيروت ١٩٥٧ .
- (٩) طه حسين : ألوان ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٢٥١ - ٢٧٠ .
- (١٠) كان آخر مانرجم من أعمال كافكا إلى العربية هي المجموعة القصصية « سور الصين » ،  
التي نقلها عن الفرنسية سامي الجندي ( بيروت ١٩٨٢ ) .
- (١١) « المؤلف الأدبي » ٦/ ١٩٧٤ و « الأفلام » ٩/ ١٩٧٩ .
- (١٢) بديعة أمين : هل ينبغي إحراق كافكا ؟ بيروت ١٩٨١ .
- (١٣) Hans - Robert Joub : Ästhetische Erfahrung und literarische  
Hermeneutik. I. München 1977.
- (١٤)

# الأدب المعاصر والحياة الأدبية المعاصرة في جمهورية ألمانيا الاتحادية

• الدكتورة بيهيت دانكرث



## ARCHIVE

عندما أتكم اليوم إليكم عن الأدب المعاصر والحياة الأدبية المعاصرة في جمهورية ألمانيا الاتحادية فأنا أعني بكلمة « معاصر » معناها الحرفي ، أي أنني سأحدث عن كتاب ، ومواضيع ، واتجاهات الأدب الألماني في السنوات العشر الماضية ، وسأتناول بشكل خاص السنوات الخمس الأخيرة منها . وهو مما لا بد منه إذ طرأ على الأدب الألماني تطور خاص خلال العقد الأخير رغم كل التواصل الحادث في حركته منذ منتصف الستينات .

واود ان استعرض وإياكم عددا من الأدباء وأبوابا أدبية مختلفة نبوات أو اخذت تتبوا مواقع هامة في أدب الجمهورية الألمانية الاتحادية وذلك منذ اللحظة التي أصبح فيها واضحا للعيان ان هذا البلد المرتبط بمجموعة الدول الصناعية الغربية ، حيث تتمتع الدولة ومواطنوها فيه بحالة متقدمة من الرخاء وتبعب فيه سياسة تعليمية وثقافية ليبرالية ،

## □ الأدب المعاصر والحياة الأدبية المعاصرة □

قد لا يشهد على الدوام استمرار حركة النمو الاقتصادي ، والتقني ، والصناعي . أي أن استعراضي وإياكم سيتناول المرحلة التي بدأت تظهر خلالها البوادر الأولى للقصور الحاصل في تطور المستوى الحياتي العام .

وكتاب الجمهورية الاتحادية الكبار الذين ترجموا أدبياً كشهود معاصرين الماضي والحاضر الألمانيين ، سجلوا في أعمالهم الأدبية هذا التطور بكل وضوح .

ويعتبر هاينريش بول ( ١٩١٧ - ١٩٨٥ ) الذي حصل على جائزة نوبل للأدب في عام ١٩٧٢ بحق أشهر هؤلاء الكتاب والمؤرخين . وليس ممكناً في هذا الموضع تقديمه وتكريمه بما يليق بمكانته الرفيعة في الأدب الألماني . وتكتفي في هذا المجال بالتبوية فقط من أنه رافق بنقده اللاذع المجتمع الألماني الاتحادي منذ العام ١٩٤٧ . في قصصه الصغيرة ، ومسرحياته الإذاعية ورواياته . لقد أثار حفيظته شعور الدلب بالنسب في الحرب العالمية الثانية ، والثراء غير المعقول لسنوات المعجزة الاقتصادية التي تبعت الحرب ، واستغلال السلطة في الدين ، والسياسة والاقتصاد والصحافة . حثه كل ذلك على كتابة روايات مثل رواية « لم ينس بكلمة واحدة » ( ١٩٥٣ ) ، « آراء مهرج » ( ١٩٦٣ ) ، « صورة جماعية مع سيدة » ( ١٩٧١ ) ، « شرف كاترينا بلوم المهدور » ( ١٩٧٤ ) . أما آخر عمل له « نساء أمام منظر طبيعي لنهر » فصدر بعد وفاته في خريف عام ١٩٨٥ .

ويلجأ بول مرات عديدة الى استعمال أسلوب الحوار والمخاطبة الشخصية الساخرة واللاذعة في أعماله ليكشف القناع عن الالاعيب السياسية في العاصمة الاتحادية بون ، واتبع في ذلك حيلة سردية مستخدماً

## □ الأدب المعاصر والحياة الأدبية المعاصرة □

تصريحات مزعومة لزوجات السياسيين . ويعتبر كتابه « مولونوج بلوكانتسكي » وهو حديث المساعد الخاص لأحد الوزراء نفسه ، من أكثر أعماله انتقاداً ومراة في وصف سياسة بون الحالية .

وبنفس العمق والنجاح العالمي ، لكن بأسلوب مختلف جداً ، يعكس الكاتب غونترغراس ( ١٩٢٧ ) واقع المجتمع الألماني في أعماله . ومنذ صدور روايته « طبل الصفح » التي ترجمت الى أكثر لغات العالم ، نال غراس إعجاب وعداء الكثيرين في الوقت نفسه بسبب أسلوبه المتطرف والاستفزازي ، وخياله الواسع ، وتقده اللاذع . نشر قصائد ، ومسرحيات ، ومقالات سياسية عديدة وأخرى نقدية اجتماعية معاصرة ، وروايات كبيرة تعود لتؤكد على الدوام استمرارية التاريخ والفشل الألمانيين . لكنها تصف في الآن نفسه القدرة الإنسانية والحلولة الصامتة الكامنتين في الحياة اليومية .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وعمل غراس على أن تنعكس طريقة حياة وروح أهل موطنه الأصلي المنتشر حول مدينة دانتريغ ، والذي أصبح في أيامنا هذه تابعاً لبولونيا ، في أسلوبه الكتابي وفي المواضيع التي تناولها على حد سواء ، كذلك في اهتمامه السياسي ورؤياه المبدئية للأمور .

وكان غراس خير من عبر على مدار عشر سنوات ( ١٩٦٩ - ١٩٧٩ ) عن التجارب السياسي المتنامي للكتاب الألمان حيال واجباتهم وقضاياهم الحياتية . فدمع الحزب الاشتراكي الديمقراطي في ألمانيا الاتحادية في حملاته الانتخابية ، ورافق السياسيين في رحلاتهم الى الخارج ، واضطلع بمهام ثقافية وسياسية .

وسجل غراس الاحباطات التي واجهته نتيجة ممارسته السياسة بطريقة معبرة جداً في كتابه « يوميات محارة » ( ١٩٧٢ ) .



## □ الأدب المعاصر والحياة الأدبية المعاصرة □

وفي ١٩٧٧ صدرت لغراس أنجح رواية كتبها بعد « طبل الصفيح » وهي رواية « السمكة » .

وهي تحوير رمزي لقصة شعبية معروفة « صياد السمك وزوجته » ( وتجسد المرأة الجشعة ) .

وتشكل هذه الرواية تقليدا هزليا لقصة شعبية عن الحركة النسائية من جهة كذلك ، فهي تسرد من جهة أخرى التاريخ الحضاري للفداء وفن الطبخ .

أما أحدث عمل أدبي ظهر في ربيع عام ١٩٨٦ ويشكل بحق حدثا طال انتظاره فهو رواية غراس « الجوز الأنثى » « الفارة » . يتخيل غراس فيها على ثلاثة مراحل نهاية المجتمع الإنساني .

ففي المرحلة الأولى ، يشترك القارئ في تبادل الآراء والحوار الجاري بين الراوي والفارة .

ولابد هنا من الإشارة الى ان « الفارة » أصبحت مؤخرا رمزا جالبا للحظ عند فئة من الشباب في أوروبا الغربية تطالب بالرجوع الى الطبيعة وتسمى البنكر Punks . وتبرهن الفارة للراوي على ان الجنس البشري سيهلك بدون شك بسبب تلوث البيئة وسباق التسلح وجنون العظيمة وان ليس هناك من أمل للنجاة الا لفصيلة الفئران .

وفي المرحلة الثانية يصور غراس التجارب والمغامرات على ظهر سفينة للبحوث العلمية ركابها من النساء فقط ، مستهدفا هنا وبطريقة لاتخلو من السخرية من الحركة النسائية، التي ربما كان بإمكانها درء الخطر الداهم .

وفي المرحلة الثالثة يحيى غراس جديد شخصية أوسكار ماتزرات  
أحد أبطال روايته « طبل الصفيح » والذي يظهر هنا في دور بائع لكاسيتات  
الفيديو ، مصورا بطريقة مفعمة بالخيال المجتمع المعاصر في جمهورية ألمانيا  
الاتحادية وما يعيشه من أحداث بأسلوب ساخر متهمك .

وموقف غراس في هذه الرواية أيا كان الأسلوب المتهتك الذي استخدمه  
في كتابتها ، وما حوته من قصائد ، واستذكارات ، وحوادث عديدة  
اقحمت فيها ، فقد كان موقف المستسلم المرح الذي لا يخلو من القسوة  
لكن دون مرارة ، وبالتأكيد أيضا دون أي وهم بشأن المستقبل وادعاء  
بتحسين العالم عن طريق بث دعوات إلى ذلك من خلال كتابات أدبية .

الا ان ابوابا أدبية أخرى انفتحت بالمقابل مواقف قلما تتصف  
بالاستسلام .  
  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فالكاتب « غونتر فالراف » مثلا يسلك طريقا مختلفا لوصف الواقع  
الألماني . وبعد أشهر وأنجح مؤلف ألماني في الكتابات الوائعية . لكنه يبقى  
أيضا أكثر الكتاب الألمان موضعا للنقاش وإثارة الجدل . وفالراف يعرف  
كيف يتسلل متنكرا إلى بعض المؤسسات الكبيرة لجمع تجارب حقيقية  
يعيشها بنفسه ثم يقوم بتسجيلها موضحا خلفيتها العقائدية والممارسات  
التي تتركز عليها ، ليفضحها علانية في كتبه بعد ذلك .

فمنذ عدة سنوات أزاح الستار عن تصرفات مهينة يرتكبها الصحفيون  
العاملون في إحدى أكبر الصحف الألمانية الشعبية وهي « البيلد تسايتونج » ،  
بعد أن عمل في الصحيفة كمراسل صحفي لعدة أشهر ، دون أن يكشف  
عن شخصيته الأصلية .

## □ الأدب المعاصر والحياة الأدبية المعاصرة □

وفي خريف عام ١٩٨٥ صدر أكثر كتبه روعة وتأثيرا بعنوان « في الحضيض » وفيه يصف تجاربه عندما عمل متنكرا في شخصية عامل تركي قدم الى ألمانيا من خلال شركة لإعادة العمال .

وأغلب الظن ، أن هدف الادب الوثائقي ، النابع من صميم الحياة العملية ، أبعد تأثيرا وأكثر صدقا من الكثير من الروايات والقصص التي تحاول وصف حياة الطبقة العاملة من عمال ومستخدمين في جمهورية ألمانيا الاتحادية . وقد جرت باستمرار محاولات عدة لإيجاد ما يسمى « أدبا عماليا » كتب من قبل عمال أو لاجلهم .

وكتب ماكس فون دير غرون الذي عمل سابقا في منجم في منطقة الرور ، أشهر رواية عمالية في الخمسينيات بعنوان « السراب والنار » . وفي عام ١٩٦١ أسست ما دعيّت يومها « المجموعة ٦١ » والتي كانت تهدف الى تقديم ادب عمالي حقيقي وتعمل منذ ١٥ سنة على صعيد الاقاليم ما يدعى « حلقات عمل للادب المختص بعالم العمل » . وهي مؤسسات أدبية تنشر افضل كتاباتها في سلسلة لكتب الجيب تصدر عن دار « فيشر » للنشر .

### اعتماد الأزمات الشخصية في وصف الوضع الاجتماعي :

في منتصف السبعينيات على أبعد حد ، اتخذت الكيفية في فهم المؤلف ، كشخص ذي اتجاه سياسي ، وفي اعتبار الادب كتصور واقعي لأوضاع اجتماعية عامة منحى آخر . ويمكن سبب هذا التحول في حالة اليأس الناجمة عن التباطؤ الشديد في حركة الإصلاحات ونتيجة عدم التأثير النسبي للادب المترم خلال العقد المنصرم . فالجهود الموجهة نحو العالم الخارجي لتغيير المجتمع عن طريق الادب انقلبت الى انشغال بالوجود الفردي .

ولا يعني هذا أن الأدب الألماني المعاصر قد ابتعد عن السياسة أو أنه أصبح غير ميسس بالمرّة . ولكنه أخذ يتجه وبشكل متزايد إلى وصف أزمات شخصية كحالات مميزة لوضع مجتمعنا . فالفرد وشعوره، وطريقة تصرفه عادت كلها لتصبح ماثرا للاهتمام وأهلا للمعالجة في مواضيع أدبية.

هذا التغير أو التحول في مسار الأدب الألماني الاتحادي في منتصف الستينيات ، يتجلى بشكل خاص في أعمال الكاتب « مارتين فالزر » الذي ولد في عام ١٩٢٧ . ففي ثلاثيته ، ( الشوط ١٩٦٠ - وحيد القرن ١٩٦٦ - السقوط ١٩٧٣ ) يروى فالزر قصة وكيل تجاري أصبح خبيرا للدعاية والاعلان ومن ثم كاتبا . أي أنه تطور من رجل أعمال موهوب وناجح إلى رجل فاشل تحطم كيانه **واخفق في التكيف مع الضرورات والواجبات التي يلزمه بها مجتمعه** . واعتبر فالزر هذه الحالة كرد فعل على المجتمع المعاصر الذي يتطلب من الفرد كفاءة إنتاجية عالية .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

والى جانب أعماله النثرية ، والمسرحية ودرأسانه التي لاقت نجاحا كبيرا في مختلف الاوساط ، مارس فالزر أيضا الأعمال السياسية بنشاط . إلا أنه اعتبارا من عام ١٩٧٦ وعند صدور كتابه « بعيدا عن الحب » ، اهتم أكثر من ذي قبل بالدراما الإنسانية الكامنة وعلى الاخص بالاوضاع النفسية . ففي روايته الرائعة « الحصان الهارب » يتلاقى زوجان مع زوجين آخرين يختلفان عنهما تماما في نظرتيهما إلى الحياة . وكان الرجلان رفيقين قديمين منذ أيام المدرسة والجامعة . إلا أن أحدهما كان يميل إلى الخمول ، ويحمل نفسية إنسان متقدم في السن ، ويعمل في سلك التدريس وله زوجة متفهمة . أما الثاني فكان يعمل كاتبا ، كثير الحركة، محبا للرياضة ، وله زوجة شابة بارعة الجمال ، كانها « سبية » حسب تعبير فالزر .

## □ الأدب المعاصر والحياة الأدبية المعاصرة □

وكاد هذا اللقاء الذي شعر الأشخاص الاربعة خلاله بانجذاب يرافقه نفور فيما بينهم ، أن ينتهي بشكل مميت . نقول كاد أن يصل الى هذا الحد ، مما أدى أخيراً الى اشاعة احساس قوى يمتزج فيه الخوف المميت بالتفاهة .

وفي احدث رواية له وهي « تلاطم الامواج » ( خريف عام ١٩٨٥ ) يتابع فالزر سرد قصة المدرس هان بطل كتابه السابق ، الذي انتدب للتدريس في جامعة كاليفورنيا ، فعاش هناك فترة قصيرة تخللتها نشوة مريبة من السعادة ، قبل أن يدرك أن عليه أن يتحمل سنه برزاة وهدوء دون اللجوء الى مفاظة نفسه . ( ونذكر في هذا الموضع برواية توماس مان ، حادثة وفاة في البندقية ) .

ولقد نال المعلن إعجاب القراء الالمانيين ( ومن بينهم عدو فالزر للدود ، الناقد الادبي « رايش رانيكي » المسمى قيصر الادب الالماني ) — وأنا اشاركه رايه — إذ بلغ فن فالزر بذلك الذروة في استخدام صور مصائر فردية في الظاهر للتعبير عن حياة جيل معين من المواطنين.

اما الناقد الادبي مارسيل رايش رانيكي ، الذي يكرهه ويخشاه الكثيرون ، فلقد تنبأ للكاتب الالماني بوتو شتراوس من مواليد عام ١٩٤٤ والمقيم حالياً في برلين الغربية ، بأنه قد يتمكن من كتابة اشهر رواية للاعوام الثمانين تتضمن اعتراف شهادة جيله ، اي جيل الحركة الطلابية للعام ١٩٦٨ ، التي ساهمت كثيراً في تحرير المجتمع الالماني من كثير من القيود .

وفي واقع الامر فان بوتو شتراوس كاتب مسرحي . وتعتبر مسرحياته التي تقدم حوارات ونقدا اجتماعياً لاذعاً ، من المسرحيات المعاصرة الأكثر شعبية والوسع انتشاراً في جمهورية المانيا الاتحادية . ومنها مسرحيات

« وجوه معروفة » و « شعور مختلط » ، و « ثلاثية اللقاء » ، و « كالدوى » .  
لكن أعماله النثرية هي التي جعلت منه ما يشبه المعبود الأدبي لجيله ،  
وأذكر هنا أشهر عملين له ، ففي قصته القصيرة « الإهداء » نرى شاباً  
يعاني من ألم مبرح بسبب هجر عشيقته له ، يسجل شعوره ويأمل عبثاً  
بهذه الطريقة أن يكتسب حبها من جديد .

أما في روايته « الضجيج » فيستسلم رجل في سن الأربعين إلى  
اليأس فريسة للفوضى الخارجية والذاتية . ويسقطه لقائه مع ابنته  
اليافعة في دوامة من الأحاسيس لا يمكنه التخلص منها .

وفي هذين العملين الأدبيين ، تصبح الحالات الفردية بمثابة مسجل  
للهازات التي يتعرض لها المجتمع الألماني النازي . فالحب والشهوة  
أصابهما الضياع فاحرقا وانتبها إلى الإضمحلال لأنه ليس بإمكانهما أن  
ينموا في بيئة غير ملائمة لهما . ويصف بوتو شتراوس هذه الحالات  
« بالحالات الاجتماعية للحب » .

ويتبو النمساوي بيتر هانتدكه مكانة خاصة في الاتجاه نحو التجارب  
والمشاكل ، والانفعالات الفردية . ولقد بدأ الكاتب المذكور الذي ولد  
عام ١٩٤٢ بعمل اتصف بلفته المتميزة أسماء « شتائم للجمهور » ، انتقد  
فيه قراء ومشاهدي أعماله وسخر منهم . ويعتبر هانتدكه اليوم من  
أشهر ممثلي نزعة جديدة في الانكفاء على الذات وتدعى « الكيان الباطني  
الجديد » . وهي نزعة تجعل من الشعور والانطباعات النفسية نوعاً  
خاصاً من التصوف . وقد قولت هذه النزعة بشكل متفاوت من  
قبل النقاد .

## □ الأدب المعاصر والحياة الأدبية المعاصرة □

ويمكن اعتبار كتاب « قصص للأطفال » الصادر عام ١٩٨١ ، مثالا جيدا على ذلك . يصف فيه هاندكه ، وبأسلوب أدبي جميل ، حياته الخاصة مع ابنته الصغيرة ويستغل هذه المناسبة للإعلان عن مفاهيم فلسفية سامية حول كنه الطفولة ، والعلاقة القائمة بين الأطفال والكبار ، وعن مهمة الأديب . ويتجلى بوضوح أكبر ، ميل هاندكه للتأمل في مفاهيم فلسفية وجمالية في روايته التي صدرت عام ١٩٨٣ بعنوان « صيني الآلام » التي يروي فيها قصة مدرس في مدرسة ثانوية في مدينة سالزبورغ ، بهجر امراته وأطفاله لانه يشعر بالضيق . ويستعيد في نهاية الامر ذاته عبر تأملات ، وتجارب ، وحوارات يمر بها ، تلتها محاولة يائسة للانتحار ، والتقلّؤه بامرأة ، والسفر الى إيطاليا .

ومما يميز أعمال بيتر هاندكه الأدبية ويشكل الأرضية التي يتحرك عليها الرجل ، وصفه لأدق الأشياء والخلجات .  
والمعالم الأدبي استمواقة الحج معرفة المديني الثاني سيصل اليه هاندكه بأسلوبه الزاخر بالرموز ، وبتصوفه ، وميله الى تصعيد تجارب وافكار الحياة اليومية .

### لمحة عن الأدب النسائي :

إن أي استعراض للأدب الألماني الاتحادي المعاصر لا يكون شاملا الا إذا تناول أيضاً الأدب النسائي الذي نشأ في نطاق الحركة النسائية .

ويدور الموضوع الرئيسي لهذا الأدب الذي تأثر بالتيارات المماثلة في الولايات المتحدة الأميركية ، حول اكتشاف الذات لدى المرأة وبدا هذا الاتجاه في الظهور حوالي عام ١٩٧٥ مع صدور كتاب فيرينا شتيفانز بعنوان « انسلاخ الجلد » .

فالنساء اللواتي نشأن نشأة تقليدية ، يكتشفن ان طريقة الحياة التقليدية كما تعيشها النساء تعني التبعية ، وفقدان الحرية الشخصية، والامكانيات المعيشية . والمحاولات التي يقمن بها لتغيير مجرى حياتهن وقرارهن مثلا بهجر الزوج والاولاد والتخلي عن أعمالهن المتواضعة والبحث عن الالتزام السياسي ، تفترن كلها بشعور يتصف دوما بالأسى . ويظهر وصف النساء العاملات ( مثلا في كتاب مختارات من الادب العمالي بعنوان « للنساء » صدر عام ١٩٧٩ ) تبعية مزدوجة . كما يصطدم البحث عن تعريف جديد للامومة بعقبات اجتماعية .

والمشادات مع الآباء ( اليزابيث بليسن « إبلاغ الاعيان » ١٩٧٦ ، بريجيت شفايفر « غياب طويل » ١٩٧٩ ) او مع الامهات ( غابرييله فومان « رحلة مع الام » ١٩٧٦ ، ألفريد نايك « العازفة على البيانو » ١٩٨٣ ، فالترأوت آنا ميغوش « الثابت » ١٩٨٥ ) تنهي الى تصفية حسابات مع استمرار الاخطاء التربوية التي لايمكن اصلاحها .

واكثر نصوص الادب النسائي الحديث هي عبارة عن اعترافات مكتوبة بلهجة تطفئ عليها الواقعية والمرارة . ويمكن تلخيص الفكرة الداعية التي تشكل القاسم المشترك لأغلب النصوص تقريبا ، في ان الانوثة تعني كونها إنسانا يتمتع بنقاط ضعف .

وبالاضافة الى حركة السلام وحماية البيئة ، تعتبر الحركة النسائية في المانيا الاتحادية الظاهرة الاجتماعية التي رافقها أكبر عدد من الأعمال الأدبية . واذا تأملنا تطور ادب تحرير المرأة في جمهورية المانيا الاتحادية فانه يمكن بشأنها تأكيد الظواهر التالية :



## □ الأدب المعاصر والحياة الأدبية المعاصرة □

تعددت المواضيع والأشكال الأدبية . ولم يعد الانتماء للأنا ضمن عملية تحرر ناجحة يكفي . كما أن الكاتبات الجيدات مثل كارين شتروك وهيراد شينك وغيرهن اتجهن نحو أدب أكثر إتقاناً وأكثر تعقيداً ، فتجاوزن الطريقة الواقعية البحتة في الكتابة لصالح مواضيع خيالية ذات مضامين غير واقعية . وأصبحت التهم الموجهة إلى الرجل لاستئثاره بالسلطة أشد قسوة ، وحدث ذلك إلى حد ما نتيجة التطورات السياسية السلبية التي يتحمل الرجال مسؤوليتها ( كسباق التسلح ، وتلوث البيئة وازدياد البؤس في العالم الثالث ) .

من ناحية أخرى يعني تحرر المرأة تحقيق قوى عاطفية وجنسية كانت كامنة خلال حقبة طويلة من الزمن وقد فشلت ولا توجد هناك صورة أو منهج موحد للتحرر في الأدب النسائي الحديث . بل هناك قطبان متناقضان أذكرهما فيما يلي بالإضافة إلى قصيدة للشاعرة أولا هان التي حصلت على شهرة كبيرة في سرعة صاروخية .

فمن جهة يعني تحرر المرأة المساواة الإنسانية بهدف المشاركة المتساوية مع الرجل للتغلب معا على مصاعب الحياة في المستقبل ( مارجوت شرودر ، اليزابيت بليسن ، هيراد شينك ، كاتيا بيرنر باربره فريشموت ) .

أما من جهة أخرى ، فيعني تحرر المرأة تحقيق هدف قوى انفعالية وترمي إلى التحرر الجنسي ، بقيت كاملة خلال حقبة طويلة وفشلت حتى الآن في اظهار الكفاءة وتحمل المسؤوليات ( كارين شتروك ، سفيندة ميربان ) .

اما اولاً هان ، فقد أصبحت خلال خمسة اعوام انجح شاعرة في جمهورية المانيا الاتحادية . وقد حصلت على جوائز أدبية عديدة . وتتميز قصائدها بلغة متفوقة ، لكن تفوقها هذا جعلها هدفاً للأنقاد . وهي نفسها لا تريد ان تعتبر ممثلة للأدب النسائي الألماني الحديث . لكنها كتبت أشهر واقسى - برأى - وأفضل قصيدة حول موضوع تم تناوله آلاف المرات، وهو بحث المرأة عن ذاتها . واود هنا بكل سرور عرضها أمامكم :

### « اغنية شكر »

اولاً هان

اشكرك ، لانك لم تستطع حمايتي  
لانك لم تكن الى جانبي حين كنت احتاج اليك  
اشكرك لانك لست فيه أنفياً بقلها

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

لانك لست عكازاً أتوكأ عليها .

اشكرك على كل رفسة منك ، كانت تعيدني الى صوابي

في طريقي الى نفسي

عليّ ان انطلق لوحدي

اشكرك ، لانك لم تصعب الامر عليّ .

اشكرك على وجهك الجميل

الذي يعني كل شيء بالنسبة لي ولا شيء

اشكرك ، لان لا شيء هناك اشكرك عليه

سوى هذه القصيدة وغيرها .

### الأدب الناطق بالألمانية (سويسرا أو النمسا)

يوجد بين أدباء اللغة الألمانية الكبار عدد من النمساويين ( هاندكه ، فريشموت ، بيرنهارد ) والسويسريين ( دورنمات ، ماكس فريش ، أدولف موسخ ) . وقد تعودنا منذ زمن بعيد أن نأخذهم في عين الاعتبار ، عندما نتكلم عن الأدب الألماني الاتحادي المعاصر . إذ أنهم ينشرون أعمالهم في دور نشر ألمانية . وتملك دور نشرهم في النمسا وسويسرا مكاتب فرعية لها في ألمانيا الاتحادية . كما أن أغلب قرائهم يتواجدون في ألمانيا الاتحادية . وتدور افتراضات حول الأعمال الأدبية العديدة الممتازة التي تصدر عن هذه المجتمعات الصغيرة الناطقة بالألمانية . كذلك حول تلك العلاقة الواضحة لكتاب مثل بيتر هاندكه ، وبريغول فريشموت ، وتوماس بيرنهارد باللغة الألمانية : ربما يرجع ذلك إلى أنه في المحيط الذي ترعرعوا في جنتاته ، كان على اللغة الألمانية القصوى أن ترفض نفسها أمام اللهجة المحلية وبالتالي جاء استعمالها من قبل هؤلاء الكتاب بشكل أكثر وعياً .

<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

### أدب العمال الأجانب والمهاجرين :

يقيم في ألمانيا منذ الستينات عمال أجانب مغتربون . كما جاء إليها خلال السنوات الأخيرة مهاجرون بشكل متزايد ، ويشكل الأتراك أكبر مجموعة من بين العمال المغتربين . أما المهاجرون فمنهم الأفغان ، والفيتناميين والسرلنكيين ( من طائفة التاميل ) وغيرهم .

ولم يعالج الأدب الناطق بالألمانية هذه الظاهرة إلا لمّا . وطال انتظارنا دون جدوى لرواية تدور حول العمال الأجانب والظاهر أن مثل هذا الكتاب سوف لا يصدر خلال السنوات القادمة بقلم كاتب ألماني بل بقلم أحد المهاجرين الأتراك . فقد قام بالفعل بعض هؤلاء المهاجرين بنشر

بعض أعمالهم باللغة الألمانية . وهم يتحدثون فيها عن تجاربهم الحياتية في جمهورية ألمانيا الاتحادية بأسلوب أدبي يشابه المضمون الشكلي لتراثهم الأدبي في الوطن الأم . ونشأ بهذه الطريقة تداخل ومزيج طريف بين أدبين وحضارتين مختلفتين .

وأشهر ممثل لهذا النوع من الأدب هو رفيق شامي السوري الاصل .

### الظليعيون

على رأس كتاب ألمانيا الاتحادية الظليعيين نجد كاتبين ( أحدهما امرأة والآخر رجلا ) ولدا في أواخر الخمسينات ، أي في السنوات التي شأهدت ألمانيا فيها ازديادا في عدد الولادات ومعجزة اقتصادية . أي انهما ينتميان الى جيل لم يعرف وبلاات الحرب والسنوات الصعبة التي تلتها .

ويمكن القول بأن أحداهما وليس أناؤهما ناهيك عن جيلهما ، هم الذين كانوا جنودا في الحرب العالمية الثانية . وكان لهذا طبعا اثر ليس باليسير على تطورهما الأدبي .

**أنا دودن** عكست في عملها « الفئمة الخائنة » الكآبة والياس ، وعبث الوجود ، صورة قائمة لا نجد لها مثيلا في الادب الألماني . فنشرت التشاؤم مستخدمة رموزا عديدة مستقاة من مواضيع وردت في تاريخ الأدب والثقافة الأوروبية وذلك بقصد اشاعة الثقة في نفسها . وجاء تشاؤمها دون سبب ، أكان اجتماعيا أو سياسيا أو نابعا عن الكفاح من أجل حقوق المرأة - ولم تحدث مثل هذه الظاهرة في الأدب الألماني منذ زمن بعيد .

أما **طلانعية توماس بيكرز** الذي استعار لروايته عنوان قصيدة معروفة لفريدريك شيللر « الكفالة » فهي مختلفة جدا . أجاد فيها استخدام

اسلوب شيللر لكن بطريقة ساخرة ليقص علينا حوادث لعبة ماكرة بطلها صديقان حميمان احدهما من المانيا الغربية والاخر من المانيا الشرقية . اتفقا مع احد كبار موظفي جمهورية المانيا على تحقيق تحالف ثلاثي كما في قصيدة شيللر .

والثير للدهشة في ذلك تلك البساطة المرححة التي يعرض بها هذا الكاتب الشاب وبسخرية ووعي واطلاع واسع ، الواقع المائي دون تفصيل احد قسمي المانيا على الآخر ، متجاوزا المحظورات ومعقفا بذلك الحس الادبي لدى الجيل الذي لم يبلغ الثلاثين بعد .

### ادب جمهورية المانيا الديمقراطية في المانيا الاتحادية

لا يشكل ادب جمهورية المانيا الديمقراطية موضوع بحثنا اليوم الا اني اود هنا ان اقدم لكم باختصار كيف يقبل الالمان الاتحاديون ادب جمهورية المانيا الديمقراطية . فلدى الالمان الاتحاديين طريقتين للحصول على الاعمال الادبية الصادرة في جمهورية المانيا الديمقراطية . وباستطاعتهم طلب اي كتاب يصدر في المانيا الديمقراطية من اي مكتبة . فاذا لم يكن الكتاب مفقودا بسبب محدودية الطبعة او بسبب فقدان الورق ، فيتم استلامه في بحر ثلاثة اسابيع من تاريخ تقديم الطلب . وتحفظ مكتبات مختصة على الدوام بتشكيلة مختارة من الكتب الصادرة في جمهورية المانيا الديمقراطية . وبعض النصوص المختارة من الادب الالمانى الشرقى، تطبع في المانيا الاتحادية او النمسا او سويسرا بعد الحصول على حقوق النشر لها بموافقة الرقابة في المانيا الشرقية . وبعض الاعمال الادبية في المانيا الشرقية يسمح بطباعتها في المانيا الاتحادية فقط لكن ليس في موطنها الاصلي .

واذا نشأ هناك منذ عدة سنوات بعض التخوف من أن ينمو ادب الدولتين الالمانيتين ولقتهما بطريقتين متناقضتين أو متنافرتين ، فقد أصبح واضحاً الآن أن هناك احتياطياً كبيراً من الاعمال الادبية المعاصرة خاصة النقدية منها ، يقرأ ويفهم على حد سواء في كل من الدولتين الالمانيتين . فالواضيع والمشاكل المطروحة فيهما لا تشكل بالذات شيئاً خاصاً باحدى الدولتين وايدولوجيتها دون الاخرى . بل يشمل ذلك شطري البلد ، مع وجود نمط غربي وآخر شرقي لنفس المشكلة المطروحة في كل مرة . ومثال ذلك احدث رواية ظهرت في المانيا الديمقراطية وهي « نهاية هورن » لكريستوف هابن ١٩٨٥ . حيث تسبب قساوة القلب وعدم اكتراث اهالي قرية صغيرة جميلة ، على دفع انسان انطوائي الى الانتحار .

(شتيفان هابن ، هيرمان كانت ، كريستينا فولف ، ابريمتراود مارغندر).

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وننتقل الآن من موضوع الادب في حد ذاته لتتكلم عن الانتاج الادبي، ووضع الكتاب ، ودور النشر ومجال بيع الكتب ، والمكتبات العامة واخيراً وليس آخراً عن جمهور القراء .

تعتبر المانيا الاتحادية ثالث اكبر دولة منتجة للكتب بعد الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفييتي ( بالعدد المطلق ) . والعجيب في ذلك ان هذه الكتب تخدم منطقة لغوية صغيرة نسبياً . فينشر في المانيا سنوياً ما يقرب من ٦٠ الى ٧٠ ألف عنوان جديد او طبعة جديدة لعنوان قديم . ويخضع اصدار الكتب لقانون السوق الحرة . بمعنى انه وباستثناء عدد صغير جداً من الكتب يتم اصدار الكتب من قبل دور نشر تجارية . ومن بين دور النشر هذه شركات كبيرة ( كونسرن ) مثل مؤسسة بيرتلزمان التي

## □ الأدب المعاصر والحياة الأدبية المعاصرة □

تملك حاليا اكثر من ٣٠ دارا للنشر ، وما زالت هناك مؤسسات عائلية للنشر مثل دار تينمان الناجحة والمختصة في شتوتغارت بنشر كتب الاطفال . واغلب دور النشر هي شركات مالية تستثمر جزئيا اموال مجموعة من الاشخاص او الهيئات اضافة الى رأس مال المؤسسة الخاص لتمويل حركة انتاج الكتب . والكتب في المانيا هي من السلع القليلة التي لها سعر محدد ، بمعنى انها تباع في كل مكان بالسعر الذي تفرضه دار النشر التي اصدرتها . ويمكنني ان اتكلم طويلا عن مغزى هذا النظام الموحد ، لكن اكتفي هنا بالإشارة الى ما يعنيه هذا بالنسبة الى المؤلف .

تحدد المكافأة التي يحصل عليها المؤلف حسب سعر بيع الكتب فيحصل المؤلفون عادة على ١٢ - ٢٠ ٪ من بيع الكتب المباعة . (واستثنى بول من ذلك الذي حصل سابقا وغراس الذي يحصل اليوم على نسبة أعلى من ذلك ) . فإذا كان سعر الكتاب في السوق يساوي ٢٠ ماركا ، فيحصل المؤلف عن كل نسخة يتم بيعها فعليا ( وليس فقط طبعا ) ٤ ماركات اذا كان العقد ينص على نسبة ٢٠ ٪ . ويتراوح عدد كتب الطبعة الواحدة من الأدب الروائي والقصصي من ٣٠٠٠ لغاية ٢٥٠٠٠ نسخة . اما الكتب التي تلاقي رواجاً كبيراً لدى الجمهور فتعاد طباعتها عادة خلال ثلاثة اشهر في طبعة تبلغ ٣٠٠٠٠٠ نسخة كـ بعض كتب الأدب المتبدل ليوهانس ماريو سيميل ، او كونزاليك .

بالإضافة الى ذلك يربح بعض الكتاب مبالغ اضافية عندما ينظمون قراءات لاعمالهم . كذلك يحصلون على اتعاب اضافية منذ عدة سنوات ايضا ، عن طريق ما يسمى بـ « قرش المكتبة » .

ففي إطار اجراءات التأمينات الاجتماعية التي لم تكن اجبارية لمدة طويلة ، اسست جمعية « استثمار الكلمة » . تقوم هذه الجمعية باجراء مسح في المكتبات العلمية العامة المختلفة على شكل استفتاء لتحديد عدد المرات التي يتم فيها استعارة اعمال هذا الكاتب او غيره . ثم يجري جمعها ويحصل الكاتب على اساسها دلى مكافأة تدفع من قبل وزارة الثقافة الخاصة بكل مقاطعة .

وليس في وسع اكثر المؤلفين الالمان ، باستثناء الكتاب الناجحين الذين اتينا على ذكرهم سابقا ، ان يبيعوا من دخل كتبهم المطبوعة . وعليهم ممارسة عمل آخر لاكتساب رزقهم وكثيرا ما يتوجهون الى وسائل الاعلام الاخرى مثل : الاذاعة والتلفزيون . واعتبر نصوص المسرحيات الاذاعية ، والافلام التسجيلية والوثائقية التلفزيونية واعادة اعداد النصوص الادبية من أجل الاستخدام في وسائل اعلامية اخرى ، من الأعمال التي تعود بدخل مجد على اكثر الكتاب الالمان الاتحاديين .

في عام ١٩٦٩ أعلن هاينريش بول الذي توفي منذ شهور قليلة عن « نهاية عهد التواضع » ، وهو مصطلح استخدم في مناسبات كثيرة فيما بعد . وتميزت هذه الحقبة في انه كان ينظر الى الكاتب خلالها على ان له مهمة سياسية ، كإنسان يمتلك الرؤية المستقبلية ، ويحمل بذور التغيرات السياسية . قررت يومها رابطة الكتاب الالمان الاتحاديين الاشتراك في نقابة عمال الطباعة والورق واصبحت بذلك ايضا عضوا في اتحاد النقابات الالمانية القوي . وكان لهذا القرار هدفان : تضامن الكتاب مع مستخدمي الطباعة واعتبروا بذلك انفسهم عمالا لخدمة الثقافة . من ناحية ثانية اكتسبوا بانضمامهم الى عضوية اتحاد النقابات قوة ساعدتهم في الدفاع



## □ الأدب المعاصر والحياة الأدبية المعاصرة □

عن مطالبهم للحصول على شروط عمل وأحوال معيشية أفضل ( بما يتعلق بالمعقود مع دور النشر والضمانات الاجتماعية والانظمة الضريبية ) .  
مع ذلك فليس كل كاتب عضوا في اتحاد الكتاب وليس جميع أعضاء اتحاد الكتاب راضين عن النقابة . ولا توجد حتى الآن « عقود جماعية » للمؤلفين مع ذلك ، اعترف حتى اشد النقاد ان اعلان بول « لنهاية عهد التواضع » ، ولرابطة الكتاب المنفصلة ، قد ساهم كثيرا في تحسين وضع الكاتب .

واخيرا اريد ان اذكر بعض الملاحظات حول تشجيع الكتاب في جمهورية ألمانيا الاتحادية . لا يوجد هناك معهد لتدريب الكتاب ، كما انطلقت مجموعة « ال ٤٧ » . وتنظم من وقت الى آخر بعض الجمعيات الادبية او دور النشر ندوات حول نواح معينة من الادب . كما خصصت خلال السنوات الاخيرة بعض المؤتمرات والندوات ذات الصلة بالتدريبية للشعر ، والرواية البوليسية ، وتشجيع المصطلح من طريق الادب .

وهنا اود ان استغل هذه الفرصة لقراءة احدى القصائد التحذيرية للشاعر ابريش فريد .

هاجر فريد الى لندن حيث يعيش هناك الآن . لكنه يعتبر من أهم الشعراء المعاصرين الذين يكتبون بالألمانية :

السلام

انا النصر

ووالدي هو الحرب .

أما السلام فولدي الحبيب

الذي أصبح يشبه والدي !

يوجد هناك جوائز أدبية عديدة ومعتبرة مثل جائزة بوشنر ، وجائزة هولدرلين التي تقدم من قبل الجمعيات الأدبية التقليدية ، أو جائزة « السلام لتجارة الكتب الألمانية » التي تقدم من قبل اتحاد دور النشر ومكتبات تجارة الكتب المسمى « بورصة الكتاب الألماني » .

وهناك أيضا منح تقدمها حكومات بعض المقاطعات الألمانية للكتاب الشباب الناشئين أو لمهمات خاصة . وهناك طبعاً جمعية « فيلاماكسيمو » التي تقدم تسهيلات لبعض الكتاب والفنانين التشكيليين الألمان للاقامة لمدة عام على مقربة من مدينة روما .

وهناك أيضا مدن تقدم جوائز محلية تمنح لمواضيع معينة تتناول موضوع « العمل في الأدب » أو إلى مجموعة معينة من الأشخاص ( النساء روزفيتا فون غنדרزهايم - جائزة باد هيرسفيلد ) أو لمهمة معينة ( تشجيع الناشئة ) .

وفي السنوات الأخيرة ظهرت هنا وهناك طرق مختلفة لتشجيع الكتاب . فبعض المدن أو الأحياء في بعض المدن الكبيرة تنتخب سنوياً « كاتب المدينة » ( بيرز - انكهيلم ، منطقة في فرانكفورت ) .

فيحصل الكاتب المنتخب لمدة سنة كاملة على مسكن - كثيراً ما يكون في بناء أثري - « كاجر تكريمي » . وعليه ان يتواجد خلال أيام معينة في المدينة وأجراء الحوار والنقاش مع الجمهور في المدارس أو المكتبات العامة، أو في الجامعات الشعبية والمراكز الثقافية ، أو لقاء محاضرات أو تقديم نص أو كتاب حول المدينة أو عن تجاربه الشخصية فيها .

والهدف من هذه الطريقة الحديثة لمساعدة الكتاب الناشئين ، هو خلق صلة أوثق بين الكاتب والقارئ ، وبين الأديب والجمهور الذي يتلقى الرسالة الأدبية .

وأنا متشوقة لمعرفة رأيكم حول هذا الموضوع ؟

# فالتريهينك

## الأدب الروائي الألماني المعاصر (في جمهورية ألمانيا الاتحادية)

• ترجمة : نوال غنيلي



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

في محاضرة مثل هذه ، لا يمكن تقديم صورة كاملة وموسعة عن الأدب القصصي الألماني في الوقت الحاضر ، ولكنني استطيع تعريفكم ببعض الأعمال الروائية التي تعتبر في الوقت نفسه نموذجاً لغيرها من الأعمال . وهكذا فسأعرض سلسلة من الأمثلة . وأرغب في البدء بابرار مكانة الأديب هاينرش بول Heinrich Böll ، لأنه عاش وكتب في المدينة التي أشعر أنها موطني أيضاً ، ولأنني عرفته معرفة جيدة ونشرت له مجموعة قصصية مختارة . ثم سأتناول الأدب الذي عالج مشاكل العمال الاجتماعية وخبراتهم في الدرجة الأولى . وأما نقطة الثقل التالية ، فهي عرض الماضي أو تاريخ ألمانيا عرضاً قصصياً . ثم سينصب اهتمامي على الأدب الذي يحلل التطورات الصناعية والتقنية في العالم الحديث تحليلاً نقدياً ، وأخيراً سأعالج أشكال عرض الواقع الفعلي .

□ فالتز هينك : الأدب الروائي الألماني المعاصر □

في عام ١٩٨١ ، نشر هاينرش بول ، حامل جائزة نوبل للأدب ، قصة عن سيرة حياته . وتناول فيها سنوات الدراسة ، في مدينته كولونيا ، مع وصف لمجال الحياة الذي استقى منه مادته أصلا ( ماذا ينبغي أن يصبح الشاب ؟ ) . وفي هذه المدينة ما يزال الماضي الروماني ماثلا في مخططاتها وفي الآثار الباقية ، فالكنيسة الرومانية والكاتدرائية القوطية هما من إنتاج العصور الوسطى المسيحية . وفي الحي الذي عاشت فيه أسرة هاينرش بول تجاوزت فئات البورجوازية والعمال مباشرة ، الواحدة إثر الأخرى . وفي هذه المدينة كانت المقدسات وما تزال تقع عن كتب إلى جانب الأمور الدنيوية .

لم يتعاطف هاينرش بول قط في رواياته الدائرة حول الحرب ، وفي أعماله الأدبية في فترة ما بعد الحرب يوما يسمى « بأدب الانقراض » أو في رواياته وأقاصيصه أثناء عهد المعجزة الاقتصادية ومجتمع الرفاهية — أجل لم يتعاطف بول قط مع المنتصرين ورجال الأعمال الأقوياء والإداريين الذين أعادوا البناء والموسرين الأثرياء ، وإنما تعاطف مع الجنود البسطاء والجياع والعاطلين عن العمل والذين لا مأوى لهم . لقد تضامن مع الفاقدين للمهارة « الفاشلين » أو « النعاج المظلومة » وباختصار مع التعمساء . وافرود بول في كتابه « علم الجمال الإنساني » مكانا لمعالجة الميول الدنييا وارتباط الإنسان بالجسد .

ومن المؤكد أن أقوى روايات هاينرش بول هي رواية « صورة جماعية مع امرأة » ( ١٩٧١ ) . وجوهر الرواية التي تقع أحداثها أثناء الحرب العالمية الثانية ، هو حب امرأة شابة من مدينة كولونيا لأسير حرب روسي . إنه حب ممنوع من الدولة يتم في الخفاء وثمره هذا الحب طفل ، أما قصة

□ فالتز هينك : الأدب الروائي الألماني المعاصر □

« شرف كاتارينا بلوم الضائع » ( ١٩٧٤ ) فتؤدي بنا في المقابل الى الحاضر الراهن مباشرة . وفيها يعتمد بول الى تعرية طرق التشهير الفاضحة التي تسلكها احدى صحف الاثارة . وقد مثلت هذه الرواية في فيلم لقي نجاحا واسعا . نشر بول الى جانب اعماله القصصية الواقعية والتهكمية ، مقالات ادبية وسياسة من حين لآخر . وارتقت مكانته المرموقة وبخاصة بعد منحه جائزة نوبل ( ١٩٧٢ ) ، لدرجة انه اعتبر « رمزا أخلاقيا » لألمانيا الاتحادية . ومع ذلك يجب القول إن اعباءه السياسية ضمن اطار « حركة السلام » قد طالبت بالانابة . فجاءت روايته الاخيرة « نساء امام منطقة النهر » ( ١٩٨٥ ) على شكل حوار ومعاذات مع النفس ، وتبدو اقرب الى المادة الخام منها الى الشكل النهائي لرواية ما ، وفيها يودع الاديب بول الحياة وهو حزين ، ولكن ايضا يكن ، فاننا لا نجد عملا من اعمال الروائيين الاخرين يعكس الملامح المرسومة للحياة الاجتماعية في ألمانيا الاتحادية كما هو الشأن في اعمال بول الادبية ، إنها بلا ادنى لبس تحمل طابع منشئه في بلاد الراين في كولونيا ، وكذلك تكاد جميع المؤلفات الثرية للكاتب اوغست كيون August Kühn ان تكون استكشافا ادبيا لمدينة مونيخ وماضيها وحاضرها . ويسترشد الكاتب دائما بنظرة صفار الناس والفئات الاجتماعية الدنيا ، وقد نجح « كيون » في احداث الاختراق في روايته « زمن للنهوض » ( ١٩٧٥ ) . وهي تاريخ لسيرة حياة عائلة عمالية ، يمر في الوقت نفسه عبر مائة عام من التاريخ الألماني ، ويسير كيون في روايته « السنة ٢٢ » ، « وسنوات فريتس فاكسموت العجيبة » ( ١٩٧٧ و ١٩٧٨ ) في اعقاب رواية بيكارو Picaro الاسبانية من القرنين السادس والسابع عشر . وهي رواية المهرج المسكين الاوربية التي تبحث عن البطل ( او نقيض

## □ فالتز هينك : الأدب الروائي الألماني المعاصر □

البطل ( بين أدنى الفئات الاجتماعية . على العكس من روايات الفرسان المحببة ، فيكارو أو المهرج المسكين مصنف من المنحطين اجتماعيا ، يتضور جوعا في مجتمع لا يرحم ، لكنه يحصل على حقه بنفسه بلا رادع ولا ضمير ، إنه مخادع ونذل . وينقل أوغست كoon هذه الشخصية الى عصرنا ، الى زمن الحرب العالمية الثانية ، وفترة ما بعد الحرب ، والمعجزة الاقتصادية الألمانية ومجتمع الرفاهية . فيعرض مسكينا من حي العمال . وهذا المسكين ينجح من خلال حسن التكيف بلذاء في أن يخرج سليما من الحرب ، وهو شقيق الجندي شفيك ، وشفيك هو صاحب تلك الشخصية المشهورة في رواية الكاتب التشيكي ياروزليف هازيك Jaroslav Hasek وهو رمز لقوة البقاء لدى الشعب الذي تقلب على مضطهديه . بيد أن شخصية المسكين تصبح أكثر إشكالية في رواية كoon الثانية ، فمع أن فاكسموت هو ربيب الأزدهار الاقتصادي ومجتمع الاستهلاك ، إلا أن هذه الشخصية غير ملائمة لعرض الظلم الاجتماعي في نظام الاقتصاد الحر . وسيطلق على فاكسموت حتى في المجتمع الاشتراكي اسم الرجل والمتهرب من العمل .

استطاع ماكس فون دير غرون Max Von der Grün وهو الممثل الرئيسي للرواية العمالية في منطقة الرور ، التوصل الى دائرة أوسع من القراء ، بوصفه ممثلا للأدب العمالي في جنوب ألمانيا . وكان غرون عامل منجم لفترة طويلة . وتعالج روايته « الضوء الكاذب والنار » ( ١٩٦٣ ) موضوعا ما زال راهنا حتى اليوم ، على الرغم من جميع التغيرات البنوية العامة في الصناعة العصرية . فاغلاق منجم للفحم يرغمه على البحث عن مكان عمل جديد .

□ فالتز هينك : الادب الروائي الالماني المعاصر □

وفي الوقت نفسه ، يعرض ماكس فون دير غرون مشاكل سيطرة الآلية على العمل بصورة تكاد تكون مطلقة . ومع انه يلوح ظاهريا ان شروط العمل تتحسن وتصبح اكثر ملاءمة ، من حيث ان العمل لم يعد يتطلب قوة جسمانية ، لكن الانسان يصبح في المقابل ملحقا بالآلة . هذا ولا تتوجه نظرة ماكس فون دير غرون النقدية السياسية الى ممارسات المفاولين ، وانما تتوجه الى النقابات التي تشارك من جانبها برؤوس اموالها في المفاولات . ومثال ذلك في رواية « الجليد المنزلق على خطوات » ( ١٩٧٣ ) .

ويربط ماكس فون دير غرون بين الرواية البوليسية والتخيل الوهمي في آخر رواية له حتى الآن وعنوانها « الانهيار الثلجي » ( ١٩٨٦ ) . واحداث الرواية مبنية بسبب اكتشاف احد الصاعيين ميتا . ويتجه البحث لمعرفة اسباب الموت والقتل ، والمثير فعلا في هذه القضية وصية الميت . فرجل الصناعة يولي بتصف العمل لطاغم التشغيل اي للعمال . ويجعل من ممثل العمال ، وهو رئيس لجنة المصنع ، رئيسا للمصنع ، وهكذا فالنموذج الاجتماعي الاقتصادي الذي تطوره الرواية ، يستند الى خليط من الاقتصاد الخاص والنظام الاقتصادي العام ، وهو خليط من المبادئ الرأسمالية والاشتراكية . والتخيل الطوبائي في هذه الرواية ليس ثوريا ، بل ارتقائيا . وافتراساتها هي تغيير النظام الاجتماعي الاقتصادي تدريجيا وعلى خطوات .

هذا وكان للنقاش الادبي مع ماضي المانيا وتاريخها تأثيره الاكبر على الراي العام بصورة فاقت ادب العمال في عشرات السنين الاخيرة ، ان كابوس ادب مابعد الحرب في المانيا هو هتلر ، ومشاركة الالمان في تبعة تولي الفاشية السلطة واندلاع الحرب العالمية الثانية . ويكشف هذا النقاش الادبي اساليب حياة الناس وسلوكهم تحت حكم الدكتاتور هتلر .

□ فالتز هينك : الأدب الروائي الالمانى المعاصر □

وأما غوتتر غراس Günter Grass فيحاول باللجوء الى وسائل غريبة في نقل القصة وروايتها ، وعرض مثال الارض المتنازع عليها بين المانيا وبولونيا ، ان يستحضر تلك الحقبة الزمنية الى الوقت الحاضر فيما يسمى « بثلاثية دانزيغ » التي تشمل رواية « طبل الصفيح المشهورة ( التي صورها المخرج شلوندورف Schlöndorff فيلما في عام ١٩٥٩ ) ورواية « سنوات الكلاب » ( ١٩٦٣ ) ورواية « القطة والقارة »

ورواية طبل الصفيح تستأنف الرواية النقدية الساخرة في المانيا، وذلك من خلال اسلوب نقل السيرة الذاتية ، وعرض صورة اجتماعية ملحمية واسعة وعريضة . وجعل الشخصية الرئيسية تقف في موقف اجتماعي هامشي ، تراقب من بعد ما يحدث في العالم . البعد وخاصة المنظور نابعان عن كون البطل ( أو تقبض البطل ) قوما . انه طفل توقف عن النمو لكنه - وضمن هذه الرؤية المشوهة - يرى بصورة اكثر حدة من الآخرين . ( الغرابة هي احدى امكانيات الدقة كما قال فريدريش ) دورنمات ) .

ان بقاء ماتزيربات عند مرحلة معينة من الطفولة جسيما على اقل تقدير ، يظهر رواية « طبل الصفيح » في موقع ساخر وهزلي مناقض لاحد تقاليد نوع معين من الرواية الالمانية ، ونقصد الرواية التربوية .

فرواية « حصاة المانية » ( ١٩٦٨ ) للكاتب زيفريد لينس Siegfried Lenz تفوص بشكل مقنع في المشكلة الاخلاقية والتاريخية التي جابهت بها الدكتاتورية النازية البشر . يعاقب أحد افراد معهد اعادة تاهيل المعوقين ، وله من العمر ٢١ عاما ، بكتابة موضوع عن « لذة



□ فالتز هينك : الادب الروائي الالماني المعاصر □

تلبية الواجب » . فماذا ستكون النتيجة ؟ مسودة بحجم كتاب ، تظهر الى اين يمكن ان يؤدي الخضوع بلا قيد ولا شرط الى مفهوم الواجب . انه سيؤدي الى قمع الفن والفنان . على ان الروائي لينس لا يخفي في هذه الرواية ان الاجهزة التنفيذية مازالت تضم قسما من المدنيين ، وانهم مازالوا يشغلون مناصبهم بعد انتهاء حكم الدكتاتورية الهتلرية ، وانه لم يتوصل الى استخراج الاستنتاجات الحقيقية من التاريخ في كل مكان .

وثمة صياغة اخرى لمشكلة الطاعة يقدمها زيفريد لينس في قصته « نهاية الحرب » ( ١٩٨٤ ) التي قدمت تمثيلية تلفزيونية . يقود لينس الحدث نحو ذروته بشكل نموذجي . ففي الايام الاخيرة من الحرب في ايار ١٩٤٥ ، عهد الى القارب كشف الالغام التابع للأسطول الحربي الالماني بمهمة انقاذ الجنود الالماني الحربي في نورلاند ، حتى لا يقبوا اسرى في معتقل اسرى الحرب في روسيا . وعندما علم بخبر الاستسلام امام قوى الغرب ( الحلفاء ) والذي سبق عملية الاستسلام العام ، تمرد افراد القارب ، فعرضوا على محكمة حربية ، وحكم على جزء من المتهمين بالموت ، هذا ولا يدع لينس مجالا للشك في فطاعة تنفيذ الحكم . لكنه لا يقدم حلا للصراع بين الامر العسكري والمهمة الانسانية ، بين الطاعة والعقل . انه يقدم للقارئ أسئلة حول قراره الخاص .

بعد الحرب ابعد ملايين من الالماني من المقاطعات الشرقية . واجدى هذه المقاطعات الضائعة ، مقاطعة شليزيرين . ولعل من مهمة الادب المحافظة على اشكال تاريخية من الحياة في ذاكرة الانسان . وقد قام بهذه المحاولة هورست بينيك Horst Bienek في اربع روايات تتناول السنوات الاخيرة

□ فالتز هينك : الأدب الروائي الأتاني المعاصر □

من حياة المقاطعة ) حتى نهاية الحرب في عام ١٩٤٥ ( بعنوان رباعية غلايفتس « Gleiwitz » ولا تعرف هذه الرباعية اي عداء للبولونيين الذين جاؤوا الى البلاد عند نهاية الحرب . ومبدأ ( بينيك ) القصصي هو الذكريات الملحمية ويستخدم في سبيل ذلك تقنية البؤرة . فيقحم قصته حياة عائلته الشليزية ويعرضها في الاجزاء الثلاثة الاولى خلال فترة زمنية مكثفة جدا لاتتجاوز اليوم الواحد في كل جزء .

والجزء الرابع فقط يعرض فترة زمنية اطول ، وهي الاسابيع الاخيرة من حياة مقاطعة شليزين الالمانية وحتى هروب السكان الى الغرب . كما يعرض مشاهد مع شاعر شليزين الكبير غيرهارت هاوتيمان ، واخيرا الحريق ، والقضاء التام على مدينة دريسدن المقصوفة بالقنابل .

لقد ثبت بينيك في رواياته الأربع الشكل المثالي للثقافية والدينية والوطنية التي مضت الى ان نهاية الصورة الانجليزية العين . وثبت ايضا لغة المقاطعة ولقاء الالمان مع البولونيين ومشاكل منطقة الحدود ، واهمية الكنيسة الكاثوليكية في بولونيا وشليزيا العليا ( وليس من العبث أن يكون البابا الحالي في روما من مواليد بولونيا ) . واطهر ان الناس مذبون في ظل الحكومة الفاشية ، لكنهم باتوا ضحايا مثل الآخرين . هنا تتوضح احدى امكانات الادب الملحمي وهي الحفاظ على التاريخ .

وفي كتاب « نحو الطريق الى مجتمع بلا اب » يصف عالم الاجتماع والنفس الكسندر ميتشرليش Mitscherlich عملية اجتماعية تاريخية سميها « بانطفاء صورة الاب » . فسلطة الاب تخبو وتشحب ، او ان جيل الشباب يثور ضد جيل الالباء . وقد ظهرت في عشرات السنين الاخيرة في المانيا الاتحادية سلسلة كبيرة من الروايات ، يسعى فيها

□ فالتر هينك : الأدب الروائي الألماني المعاصر □

الكتاب للبحث عن صورة الاب الضائعة . ويأملون من هذا البحث ،  
التوصل الى كشف اكثر المراحل سقما في التاريخ الألماني ، والسؤال  
الذي يطرحه الكاتب هو : كيف يمكن ان يحدث الا تلقى الدكتاتورية  
الهيترية سوى القليل جدا من المقاومة ؟

وبذلك يتجه البحث دائما تقريبا الى تصفية الحساب مع الاب .  
ففي رواية « الرحلة » يتناقش بيرنفارد فيسبر Bernward Vesper  
وهو ممثل اليسار الراديكالي مع شخصية فيل فيسبر ، وهو احد  
الشعراء من زمن هتلر .

وكذلك تفعل روث ريمان Ruth Reimann في روايتها « الرجل  
فوق المنبر » ( ١٩٧٩ ) . ازاله عبق الشاعر المسيحية البروتستانتية لدى  
والدها الاسقف الذي تخيم على عينيها فتاة . ازاء الظلم . هذه  
مجرد امثلة .  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وفي الغالب يعرض الآباء « كأتباع » يمشون في ركاب حكومة هتلر .  
ولكن ظهرت رواية قبل وقت قصير ، يبدو فيها ان مرحلة ادب انهام  
الآباء قد انتهت . وهي رواية « النظام هو الحياة بكاملها » ، للكاتب  
لودفيج هارينج Ludwig Harig ( ١٩٨٦ ) . ويعرض هنا احد الاتباع .  
وهو مواطن صغير يشعر بأنه أسعد ما يكون عندما يرتدي البزة العسكرية ،  
ولا يهتم بالسياسة والادب وانما بالرياضة . لكن هارينج لا يصفي الحساب  
مع آبيه . الكاتب يظهر السمات الاشكالية عند هذا المواطن الصغير من  
ناحية ، والسمات المكتسبة من ناحية أخرى دون ان يقلب ببساطة  
النموذج الذي كان سائدا حتى الآن . فيحل العفو في مكان الادانة . ان

## □ فالتر هينك : الأدب الروائي الألماني المعاصر □

صورة الاب لم تتضاءل هنا ، بل هي ماثلة ومحسوسة . والاهمية الخاصة التي تكتسبها هذه الرواية لهاريغ ، ربط قصة الاب ربطا وثيقا بتاريخ فرنسا والمانيا المشترك وبتاريخ منطقة الحدود المتنازع عليها عند السار وهي سارلاند .

فلمئات السنين كانت فرنسا والمانيا عدوتين لدودتين . وكان والدها ريغ قد شارك في كلا الحربين العالميتين ، حيث وقفت كل من فرنسا والمانيا في مواجهة الاخرى . لكن هذا العداء المتوارث قد دفن الآن كما تظهر الرواية ، وتعلم جيل الآباء والابناء الدرس وفهمه . وتحولت ارض الحدود الى معبر وجسر وبدلا من الكراهية بين الشعبين حلت الصداقة .

كان النقاش مع التاريخ من الدوافع الاساسية للقصة اثناء عشرات السنين الاخيرة . ولكن تبرؤا باستمرار في المجتمع الأوربي الحديث، الذي تسوده التقنية ، هموم وقلق بصدد المستقبل وتحتل الصدارة . وقد انعكست هذه الهموم في الادب الذي يحذر من مخاطر التصنيع واستغلال الطبيعة بلا حرج ... او يعتقد ان الكارثة قادمة لامفر منها .

ويرفع الكتاب اصواتهم ، مثل العرافه الاغريقية من العصور القديمة ، كاساندرا ، ويطلقون نداء كاسندرا المنذر بالويل والثبور . وهذا هو اسم رواية كريستافولف Christa Wolf التي ظهرت في عام ١٩٨٣ . والكاتبة مواطنة في جمهورية المانيا الديمقراطية ، لكنها حققت بهذه الرواية وغيرها نجاحا كبيرا في المانيا الاتحادية . لذا فاني اود ان اتناولها هنا . وفي محاضراتها التي ألقتها في فرانكفورت الواقعة عند نهر الماين - والتي لم تطبع مبدئيا الا في المانيا الاتحادية - قدمت الكاتبة

□ فالتر هينك : الأدب الروائي الألماني المعاصر □

شروحات وتعليقات على نشوء روايتها . « شروط مسبقة لرواية كاسندرا »  
مالذي اثار اهتمام الكاتبة كريستافولف ( بكاسندرا ) الكاهنة والعرافة  
وابنة ملك طروادة التمس ؟ بالتأكيد امكانية استخدام حرب طروادة  
المشؤومة كتحذير للعالم المدجج بالسلاح . بيد ان كريستافولف ترغب  
في نقل « قصة داخلية » . وابرار عملية الوعي لدى المرأة التي بلغت  
استقلالها الذاتي . وتحاول كاسندرا اضاء طابع الانسانية على الحرب  
على اقل تقدير .

انها تريد كسر وتحطيم قانون الانتقام ، الذي لاينتهي ، حيث يستفز  
الانتقام انتقاما آخر دائما ، وان تحول دون أن تعدم الاسيرة اليونانية بفعل  
الانتقام . لكنها في الاحمال فشلت كقائمة متكررة على قوانين « مجتمع  
الرجال » المحاربين .

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

ويتبلور موضوع تحرر المرأة في العلاقة بين الشخصيتين بينتزيلا  
وكاسندرا وفي التناقض بينهما . بينتزيلا لاقتاتل فقط ضد الاغريق ،  
وانما ضد جميع الرجال . انها تبدو كائن محاربة متعصبة . وتستبدل  
« هوس الرجولة » في مكان « هوس الانوثة » . ومن خلال شخصيتها  
تحذر الكاتبة كريستافولف من الطائفية الانثوية ، ومن النقد العقلاني الذي  
ينتهي الى اللاعقلانية .

والسمات المميزة لشخصية كاسندرا احساس صادق بالواقع  
لا يخطئ ، وهي بوصفها عرافة ، مراقبة وليست كاشفة للغيب ، تستشف  
المستقبل عبر الواقع . وهكذا تتحول الشخصية الاسطورية الى  
شخصية معاصرة .

لماذا اختارت كريستافولف حرب طروادة مادة لها ؟. لأنها ترى فيها نموذجا للتناقضات الاجتماعية في الوقت الحاضر . فطروادة بالنسبة اليها - كما قالت في محاضرتها في نيويورك - معادلة ميثولوجية اسطورية موازية لبربرية العصر الحديث ولانتاج القوى العظمى للصواريخ وأعمال التدمير في المجتمع الصناعي . انها تشير الى الظروف الحالية في اليونان ، والى مدينة أثينا التي تلوثت بالغازات ، والقضاء على أوليز بسبب منشآت المعامل ، وعلى أوليزيس بواسطة مصفاة النفط . ولكن لم توضح كل هذه الامور الراهنة في الرواية في واقع الامر فكاسندرا تقص ، من خلال استرجاع ذهني او تذكر لحياتها ، وعبر مونولوج داخلي ، قصة حرب طروادة ، وتاريخها الخاص .

الكوابيس والمخاوف من الكارثة العالمية الكبرى تطرح ايضا في الرواية الاخيرة حتى الآن لغوتفريد غراس Günter Grass ، وعنوانها « الفارة » ( ١٩٨٦ ) . ويربط غراس مرة أخرى بأشهر رواياته « طبل الصفيح » ، من خلال شخصية اوسكار ماتزيربات ، الذي يزور وطنه مرة أخرى بسيارة مرسيدس فارغه ، وقد اصبح مخرجا سينمائيا . وفي مسار آخر من الاحداث توصف رحلة سفينة للابحاث وطاقمها من النساء فقط - حيث تكتشف في بحر الشمال مدينة خرافية - وهي مدينة فينتا Vineta الفارقة ، تربط الحكايات الخرافية بين هذه الحادثة وبين سلسلة الاحداث التي تفسر بمثابة انتقاد تهكمي لحكومة المستشار الحالي والمانيا الاتحادية . ولكن يتخلل الرواية احساس بنهاية العالم والكارثة . وسبب هذا الاحساس هو الخبرة بان سباق القوى العظمى على التسليح لا يمكن ايقافه كما هو واضح . ويتوج التشاؤم لدى غراس في صور تخيلية عن انهيار العالم . ولا يبقى على قيد الحياة بعد

□ فالتر هينك : الأدب الروائي الألماني المعاصر □

انهيار العالم سوى الفارة . الفارة الانثوية وهي أيضاً القاصة بصيغة أنا في الرواية .

وعلى الرغم من ان هذه الرواية لفونتر غراس قد برهنت على اقبال على الخرافة ( الاسطورية على لسان الحيوان ) وبرزت القوة القديمة للفرائب المتخيلة ، والقدرة اللغوية التخيلية التي لاتنضب ، الا انها اصطدمت عموماً بالرفض من قبل النقد الادبي . وفي واقع الامر ثمة خواطر كثيرة تثير غراس ، فتراه يقدم الكثير من الاشياء المتنافرة ، كما لا يمكن غض الطرف عن شيء من الثروة المعينة ، فهو لم يترك شراً من شرور عالم التقنية العليا الا وذكره : موت الفأب ، وتلوث المياه والانهار ، والتلاعب بواسطة تقنية الجينات ، وتهديد البشر بالصواريخ عابرة القارات ، والتلوث الاشعاعي النووي . لقد انقل غراس روايته كثيراً . ولكن يجب على المرء ان يرى ان هذه المخاوف ليست فردية وانما جماعية .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هذا وسنعالج باختصار على اقل تقدير ، الكاتب الذي صاغ نثره القصصي وفق نموذج الموزايك ، وبث فيه ملاحظاته . وهو بوتوشتر اوس Botho Strausz . والسمة المميزة لكتبه هي حساسية الإدراك ، ورشاقة اللغة . وقمة أعماله كتاب « الزوجان ، المارة » . ( ١٩٨١ ) وهو عبارة عن مجموعة لقطات خاطفة لمجتمع يشاهد بعين النقد ، تلتقي فيه المراقبة والمعرفة ، كما لو انهما يلتقيان في البؤرة . واما أسلوبه النقدي فينطوي على مفلاحة في الدقة والميل الى الصياغات الثمينة .

اتسم أدب السنوات العشر الاولى التي أعقبت الحرب العالمية بشكل اساسي بأولئك الكتاب الذين التقوا فيما يسمى « المجموعة ٧ » . وقد دعاهم للاجتماع هانز فيرنر رشتير . ومن أوائل الذين حصلوا على جائزة نوبل من أفراد هذه المجموعة ، هاينرش بول .

□ فالتز هينك : الاءب الراوني الالائي المعاصر □

وقء انضم الى هءه المءموعة في وقت مبكر الكاءب القصصي والمسرءي مارئين فالزر Martin Wovlser وباءت روايائه الاءي كءبها في السءيناء والسبعيناء مرآة للءبراء الاجءماءية والءءول الاجءءامعي . وءءءرء روايائه الاءلأ في لئالئية قصصية وهي : « منءصف الوقت » ( ١٩٦ ) ، « ووءاء القرن » ( ١٩٦٦ ) و « الانبياء » ( ١٩٧٣ ) . ءربط شءصية انسلم كريسءلاين بين هءه الئالئية ، ويوصف فيها صعود كريءءلاين الاءءصافي في الاعلاءاء والءعاية . . فيءءول الى بيع البضائع بعء فشله كمفكر . ويسءنء الوصف الى ءلفية المعءزة الاقاءصاءية الالائية ، اما في الرواية الئانية فيءابلنا ككائب ، يءب « رواية موضوءية » عن الءب . وفي الءزاء الئالء من الئالئية ، ءفشل مءاولة كريءءلاين الارئاء في عمله من ءلال الءكيف مع المءءمع .

ويظهر فالزر في روايائه الاآرى ايضا . ءلك الضفوط المرءمة القسرية الاء تشوء الشءصية الفردية ، وهي قسر الانءفاع والءري ، ضفط الانءاز ، معركة المنافسة . كما عرض الموقف الفكري في اواآر السبعيناء في روايته « الءصان الهارب » ( ١٩٧٨ ) . ويظهر فالزر ، من ءلال المءل الرئيسي ، والشءصية المقاءلة له ، اي شءصية صءيقه السابق من عهد الشباب ، أن العوءة الى « الءصوصياء » الاء ءلقى الءماية ، لا فرصة لها ، ولم يعء في وسع الانسان الفرد أن يءلق معنى لءيائه ، وسيبقى اسير المظاهء الاء يءالبه بها المءءمع .

ويتمسك فالزر بالشءصية الرئيسية للرواية في قصة « الءريق » ( ١٩٨٥ ) . فالبطل يقاءلنا الآن وهو اساء مءاضر ضيف في اءءى الءامعاء الامريكية في كاليفورنيا . الءب يءءل مركز الرواية ، وهو ءب الاساء الفاشل لءلمءته .



□ فالتز هينك : الأدب الراولي الألماني المعاصر □

— وعلى الرغم من الخاتمة الاستسلامية ، فالاستاذ المحاضر يعود الى ألمانيا ، ويعلم أن الطالبة أصيبت بحادث أدى الى موتها — أجل على الرغم من ذلك فالانفتاح المبهج يميز الرواية ، حيث يتراجع عنصر النقد الاجتماعي الواقعي . وأما سعادة الكاتب بعناصر الطبيعة الرئيسية وبجسد الإنسان فلا تخطئها العين ، ولم يحدث في أي عمل آخر أن أوازن فالزر الى هذا الحد بين العقل والجسد .

وقد درس فالزر نفسه عدة مرات في الجامعات الأمريكية . هذا وقد عاش في نيويورك لفترة من الزمن أيضاً ، الكاتب أوه يونسون Uwe Johnson . ويونسون الذي توفي قبل عدة سنوات يعتبر بالتأكيد من أهم الكتاب الألمان في السنوات العشر الأخيرة . وذلك استناداً الى عمله الروائي الذي يقع في أربعة أجزاء ويحمل عنوان « أيام !لسنة » . ( ١٩٧٠ — ١٩٨٣ ) وهذه التلافة اللكمية من حياة جيزين غريسبال — وهذا هو العنوان — مصممة على شكل مذكرات يومية .

فجيزين غريسبال التي فرت من جمهورية ألمانيا الديمقراطية الى ألمانيا الاتحادية ، ثم هاجرت الى الولايات المتحدة ، تكتب قصة حياتها الى ابنتها التي تشعر انها أمريكية . وتصبح قصة حياة هذه الاسرة سجلاً تاريخياً لعشرات السنين من التاريخ الألماني ، من خلال منظور قرية صغيرة من قرى المقاطعة : حكم هتلر ، الحرب العالمية الثانية ، دخول الجيش السوفياتي ، وبناء النظام الاشتراكي . هذه هي المراحل الرئيسية لهذا التاريخ السياسي ، التي تتوضح فيها لمرات عديدة الصعوبات التي يعاني منها الإنسان المستقيم الذي يريد أن يثبت وجوده ضد ممارسات أجهزة الدولة والأجهزة التربوية .

□ فالتز هينك : الأدب الراوئي الألماني المعاصر □

ولكن الى جانب تقارير الذكريات ، ثمة وصف ينهج اسلوب المذكرات يعرض الحياة اليومية في نيويورك التي عاشتها جيزين وابنتها . ويتعزز طابع الرواية واسلوب المذكرات من خلال استشهادات من صحيفة نيويورك تايمز . وفي مسار الرواية الثاني ، تبرز للانتظار أحداث الستينات كحرب فيتنام ونضال السود في أمريكا من أجل حقوقهم ، وما يسمى « بربيع براغ » ، ( وتنتهي الرواية قبل وقت قصير من دخول قوات حلف وارسو الى تشيكوسلوفاكيا ) . وبين مساري الرواية الاثنين ، بين مستوى الماضي والحاضر ، ثمة صلات وموازيات وجوانب منسجمة ، تورِد دون تفسير ، وتترك للقارئ ليصدر حكمه عليها .

واسلوب الرواية المصري ناجم في الدرجة الاولى من خلال جمع مستويات مختلفة من الواقع . لقد تعلم يونسون تقنية المونتاج في روايات المدن الكبرى .

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

وتوصف الحياة في مقاطعة ميلكنبورغ بسخرية لاذعة . ويبرهن يونسون ان كاتب واقعي ملحمي من خلال دقته البالغة في المقام الاول ، التي يصف فيها مواقف الحياة بين البشر . وهو لا يفقد نفسه في التجريد النظري ، بل يتمسك بالمحسوسات دائما . وتعاطفه لا يتوجه نحو عالم الصناعة العليا ، وانما نحو عالم الحرفيين والمجموعات البشرية الصغرى . التي ما زالت ترمي حسن الجوار . وقد دعاه بيتر ديمتس « الاشرافي المحافظ » .

في القرن التاسع عشر ، كتب الروسي ليوتولستوي والافرنسي هونور دي بلزاك سجلا تاريخيا لعصرهما في عليهما الملحميين الكبيرين « الحرب والسلام » ، وما يسمى « الكوميديا الانسانية » . وأنا لا أود

□ فالتز هينك : الأدب الراوي الألائى المعاصر □

ان أرفع اوه يونسون الى مرتبة هذين الكاتبين الاوربيين - فمن غير الممكن بعد اسدار حكم عليه في الوقت الراهن . ومع ذلك يمكن القول ، انه لا يوجد في عصرنا كاتب الماني آخر نجح في تصوير ( بانوراما ) شاملة للعصر ، مثل اويه يونسون في ثلاثيته الروائية « أيام السنة » .

وقد تخلفت عن هذه الثلاثية قصة بيفرايس وعنوانها « جماليات المقاومة » ( الواقعة في ثلاثة اجزاء والصادرة بين ١٩٧٥ - ١٩٨١ ) وجزء منها تخيلي ، وجزء آخر عبارة عن سيرة ذاتية . فيفرايس اعاد أحد العمال سيرته الذاتية الى حد بعيد ، وحاول اظهار تطوره الذاتي من خلال التطور السياسي لهذا العامل ، وما اكثروا تناول موضوع الادب والفن في روايته . وتجد نظرية الواقعية الاشتراكية ، ومناقشات التعبيرية ، والنزاع حول فرانسل كافكا ، وجيمس جويس في المناقشات النظرية الماركسية ، تعبيرا لها في هذه الرواية ، التي تختلط فيها ملامح الرواية المعاصرة ، والرواية التربوية .

هذا وتحدد عناصر السيرة الذاتية ايضا رواية « لينس » للكاتب بيتر شنيدر Peter Schneider ( ١٩٧٣ ) . والتلميح هنا صريح الى رواية الاديب جورج بوشنر ، التي تحمل الاسم نفسه ( ظهرت في عام ١٨٣٥ ) . يصف شنيدر هنا المشاعر الحياتية لدى ذلك الجيل الذي كان مآله الى الاستسلام او الى النظريات المجذبة .

وكما اني ابتدأت الحديث بأديب من كولونيا ، وهو هاينرش بول ، كذلك أود الانتهاء ، بروائي منها ، وهو ديتير فيلرشفوف Dieter Wellershoff وهو مؤسس مدرسة كولونيا للواقعية الجديدة ، التي تبناها بعض الكتاب منذ منتصف الستينات .

□ فالتز هينك : الاءب الراولي الالائي المعاصر □

وفي راي فيلرسهوف ان الاءيب لم يعد يستطيع ان يرى تشابكات الواقع ، ولذا فهو لا يستطيع ان يعرضها . ويوجه الكتاب الى خبرات الفرد الفاعل المحدودة من ناحية ، لكنها خبرات مباشرة من ناحية اخرى . ومن اجل هذه الرؤية الذاتية ، استفاد فيلرسهوف من معارف علم النفس الاجتماعي ، وفي الوقت نفسه ، عاضد « الرؤية الذاتية المتحركة » من خلال تقنية قصصية تذكر بالمقطع في الفلم . « حدود الظل » ( ١٩٦٩ ) ويحاول فيلرسهوف في روايته « المنتصر ياخذ كل شيء » ( ١٩٨٣ ) دخول مجال الرواية العصرية ، انه يظهر صعود مقاول تجاري ، يذبل انسانياء ويجذب اثناء جريه لاقتناص النجاح ، واخيراً يتحطم ، ولم يتمكن فيلر سهوف ان يفتح النقد الاءبي بهذه الرواية .

ويتمتع فيلرسهوف بمكانة اكبر ، كمنظر اءبي ، وهو يناقض المفهوم القائل ان الاءب يستطيع تفسير الواقع مباشرة . ويخرج في مقاله « الخيال والتطبيق » ( ١٩٦٩ ) ، بفكرة طريفة جدا . فكما ان المرء يخلق من اجل رحلات الفضاء شروطا مشابهة للرحلات الكونية ، في حجرات التدريب ، كذلك يستطيع الاءب ان يقدم مجرات مشابهة للتطبيق العملي في الحياة ، او ملعبا من اجل السلوك التخيلي الافتراضي .

نستطيع في النهاية ان نلخص قائلين : الاءب ليس تطبيقا عمليا للحياة ، ولكنه من خلال تعريفنا باساليب التفكير والسلوك الغريبة عنا ، فانه يقوى مقدرتنا على النجاح في تجربة الحياة . انه يوسع افق تجاربنا دون ان نخوض التجربة بانفسنا .

---


القيت هذه المحاضرة في اتحاد الكتاب بتاريخ الثالث من نيسان والقيت في جامعة دمشق بتاريخ الخامس عشر من نيسان لهذا العام ١٩٨٧ بالتعاون مع معهد غوته .  
- الترجمة -

# أنت تبالف في رحلاتك إلى « هايدلبرغ »

تأليف: هاينرش بول  
ترجمة: إريناداود

الإهداء : الى « كلوس شتيك » الذي

يعرف ان هذه القصة خيالية من اولها الى  
آخرها . ومع ذلك فانها مصيبة في

ARCHIVE  
<http://beta.Sakhrat.com>

في المساء عندما جلس ببيجامته على طرف سريره يدخن لفافة تبغ في انتظار آخر الانباء ، حاول أن يتذكر أحداث هذا اليوم ليحدد اللحظة التي ذهبت فيها روعة يوم الاحد هذا . كان صباح هذا اليوم من شهر حزيران مشمساً ومنعشاً فيه برودة أيام ايار ومع ذلك فانه لم يخل من الاحساس بارتفاع درجة الحرارة حتى وقت الظهر . وكان الضوء ودرجة الحرارة قد ذكراه بالايام التي كان يتدرب فيها بين الساعة السادسة والثامنة قبل شروعه بالعمل .

في صباح هذا اليوم ركب الدراجة ساعة ونصف على ممرات جانبية في الضواحي وبين البساتين وفي المنطقة الصناعية ماراً بحقول خضراء وعرائش وحدائق ثم بالمقبرة الكبيرة حتى وصل الى اطراف القافة بميدا

□ انت تبالغ في رحلاتك الى « هايدلبرغ » □

عن رقعة المدينة ، كان يسرع على الشوارع المزقة مختبرا سرعته ودرجات تزايدها مع انطلاقه بأقصى سرعته ليتأكد من أن قدرته ما زالت على المستوى الذي يسمح له بالتقدم الى سباق الهواة ، وقد ملأه السرور بنجاحه في الامتحان وبنيته على العودة الى التدريب المنتظم . ان مهنته والتدريس في الدورة المسائية للثانوية لكسب المال ثم دراسته الجامعية في السنوات الثلاث الماضية لم تكن تترك له الكثير من الوقت للتدريب ، ولكن ما من شك انه كان بحاجة الى سيارة جديدة ، ولو ، فليتنفق غدا أولا مع « كرونسورغلر » ، ومن المؤكد انه سيتفق معه .

بعد التدريب قام برياضة بدنية على أرض حجرته المكسوة بالسجاد ، ثم استحم ولبس ثيابا داخلية جديدة . وفيما بعد انطلق بسيارته الى منزل أبويه ليتناول طعام الغفلة هناك جلسا على الشرفة التي كان أبوه قد اضافها الى البيت الصغير متناولين القهوة والخبز المحمص والزبدة والبيض الطازج والعسل . نظر الى شيش الشباك الجميل — هدية من « كارل » — وبينما ازداد الصباح دفئا كان يسمع القول المريح الذي كرره والداه : « فتح الله علينا ، ستفعل قريبا . » و « فتح الله علينا ، ستفعل بعد قليل . » وقالت الام « بعد قليل » وقال الاب « قريبا » . وقد تلذذ جميعهم باسترجاع الخوف الذي كانوا يشعرون به في السنوات الماضية ، هذا الخوف الذي كانوا قد تشاركوا به من غير أن يلوم بعضهم بعضا : بدءا من فوزه في بطولة المحافظة الى ان أصبح عاملا كهربائيا ثم الى نجاحه في الامتحان نهار أمس . لقد أزيل عنهم هذا الخوف وأوشك ان يتحول الى عزة المحارب القديم . سلاه المرة بعد المرة عن اللفظة الاسبانية لهذا الشيء أو ذاك مثل : جزر أو سيارة أو ملكة السماء والنحلة والنشاط والغفلة والعشاء وغروب الشمس . وكم كانا سعيدين

□ انت تبالغ في رحلاتك الى « هايدلبرغ » □

عندما بقي للفداء ، ثم عزمهما الى حفلة النجاح التي سيقمها يوم الثلاثاء في حجرته . خرج والده لشراء البوظة تحلية وبعدها وافق ايضا على شرب القهوة معهما على الرغم من انه بعد ساعة سوف يضطر الى شرب القهوة مرة ثانية عند اهل « كارولا » ، وعلاوة على ذلك تناول كاسا من عرق الكريز وهم يتحدثون عن اخيه « كارل » وزوجته « هيلدا » وطفليهما « إلكه » و « كلوس » اللذين اتفقوا على انهما مدللان لما يتوفر لهما من أحدث الأزياء والمسجلات والالعاب وما الى ذلك . وقد انقطع الحديث المرة بعد المرة بهذا التنهد المعبر عن الراحة : « ستفعل قريبا » و « ستفعل بعد قليل » حتى اصبح يشعر بعصبية لدى سماعه كلمة « قريبا » و « بعد قليل » . انه قد انتهى فعلا ! وما بقي الا حديثه مع « كرونسورغلر » الذي كان يعرف موقفه الإيجابي منه منذ البداية . وبعد ، لم يحقق نجاحا حقا بتدريسه اللغة الأسبانية في الجامعة الشعبية وكذلك بتدريسه اللغة الألمانية في الدورة المسائية للثانوية الأسبانية!

فيما تبقى من الوقت ساعد والده في غسل السيارة كما انه ساعد والدته في خلع الاعشاب ، ولما ودعهما جاءت امه بحقيبة تبريد لهملوءة بالجزر والسبانخ والكرز في اكياس حفظ المأكولات المأخوذة من الثلاجة ، ثم اجبرته على الانتظار حتى تقطف من الحديقة باقة من التيوليب لوالدة « كارولا » ، في اثناء ذلك فحص ابوه الدواليب وطلب منه تشغيل المحرك الذي اصفى الى صوته في ارتياح ، ثم اقترب من النافذة المفتوحة وساله : « امازلت تسافر الى « هايدلبرغ » ؟ - اعني على الطريق العام . » جاء قوله كأنه سال عن قدرة السيارة الهرمة المهلهلة التي كان عليها أن تقطع مسافة ثمانين كيلو مترا اجمالا واثمانا ثلاث مرات في الاسبوع .

□ انت تبالغ في رحلتك الى « هايدلبرغ » □

« هايدلبرغ » ؟ اجل ، مازلت اسافر اليها حوالي مرتين او ثلاث مرات في الاسبوع - سوف يمر بعض الوقت حتى اتمكن من شراء مرسيدس . قال الاب : بالمناسبة ، هذا الرجل من الحكومة - يشتغل بالثقافة على ماظن - قد عاد الي امس بسيارته المرسيدس للصيانة . انه لا يرضى الا بخدمتي انا . ذكرني باسمه .

اتقصد « كرونسورغلر » ؟

« اجل ، هذا هو . انه انسان لطيف ، بل يمكن ان اسمه إنسانا نبيلًا ولا سخرية » .

في هذه اللحظة جاءت الام بياقة الازهار قائلة : سلم على « كارولا » وطبعًا على السيد والسيدة . أما نحن فلنلقاها يوم الثلاثاء . « قبيل انطلاقه اقترب منه والده مرة أخرى وهو يقول : « لا تبالغ في رحلتك الى « هايدلبرغ » - بهذه السيارة الهرمة ! »

كانت « كارولا » غائبة لما وصل الى منزل « شولته - بيبرونغ » . كانت اتصلت هاتفيا لاعلامه انها لم تنته بعد من كتابة تقاريرها ولكنها ستعجل بعملها . وقالت ايضا انها لا تمنع ان يتناولوا القهوة قبل وصولها . كانت الشرفة اكبر وشيش النافذة اجود - على الرغم من لونه الباهت - من المقياس العادي ، كما كان الكل ذوي اناقة فائقة حتى في آثار الاهمال البسيطة الظاهرة على اثاث الحديقة وفي الحشيش النامي في الشقوق بين البلاط ، وقد كان فيه ما اثار استياءه مثلما اثاره بعض الاقوال السائرة بين الطلاب المتظاهرين . كانت مثل هذه الامور واللباس تشكل موضوعات مزعجة بينه وبين « كارولا » التي كانت تأخذ عليه عنايته بلباسه الذي قالت عنه انه بورجوازي اكثر مما ينبغي . تحدث



□ انت بالغ في رحلتك الى « هايدلبرغ » □

مع والدته « كارولا » حول حدائق الخضر ومع والدها عن رياضة الدراجة . بينه وبين نفسه اقر على ان القهوة كانت اسوأ من التي شربها عند اهله ، ولكنه حاول الا تتحول عصبته الى غضب . والحق انهما كانا شخصين لطيفين متقدمين في آرائهما وكانا قد قبلاه بلا تحيز واكثر من ذلك كانا قد اعلنا الخطوبة رسميا . ومع الايام اصبح يحبهما فعلا حتى والدته « كارولا » التي كانت في البداية تثير اعصابه بتكرارها كلمة « ظريف » .

اخيرا دعاه « د . شولته - بيرونغ » - وكما بدا له بشيء من الحياء - الى ان يرافقه الى الجراج حيث اراه دراجته الجديدة . في كل صباح كان يدور بها بعض الدورات حول الحديقة والمقبرة القديمة ، وبالفعل كانت الدراجة رائعة ولم يتردد ان يمدحها بحماس لا يشوبه الحسد . وبعد ان اخبرها بالركوب حول الحديقة شرح لـ « شولته - بيرونغ » آلية عضلات الرجل ( إذ تذكر ان السادات المتقدمين في السن في النادي كانوا يشكون في كل حين من تشنج العضلات ) . بعد نزوله من الدراجة وإعادتها الى الجراج سأل « شولته - بيرونغ » : ترى ، كم من الوقت تقدر أنني بحاجة اليه لأقطع بهذه الدراجة الرائعة المسافة بين هنا و - لنقل « هايدلبرغ » مثلا ؟ جاء قوله كأنه صدفة وبريئة لان « شولته - بيرونغ » واصل كلامه : « لقد درست في جامعة « هايدلبرغ » وكانت لدي أيضا دراجة كنت اقطع بها هذه المسافات بين هنا و « هايدلبرغ » في تلك الايام - وأنا في عنفوان شبابي - في ساعتين . وقد ابتسم ابتسامة طبيعية لم تفصح عن أي سوء نية ، وتحدث عن اشارات المرور وعن تجمع السيارات وكثافة المرور الزائدة بكثير عما كانت عليه في ذلك الوقت . وقال أيضا انه بناء على التجربة كان يحتاج

□ انت تبالغ في رحلاتك الى « هايدلبرغ » □

الى خمس وثلاثين دقيقة للوصول الى مكتبته بالسيارة ، اما بالدراجة فكان يحتاج الى ثلاثين دقيقة فقط . ثم سألته : « وانت ، كم من الوقت تحتاج للوصول الى « هايدلبرغ » بسيارتك ؟ واجابه : « نصف ساعة . » ان ذكره لكلمة السيارة ازال عن كلمة « هايدلبرغ » الصدفه نوعا ما ، ولكن في هذه اللحظة جاءت « كارولا » وكانت لطيفة وجميلة كالعاده ولكنها بدت بشعرها المشعث بعض الشيء شديدة الاعياء . والان وهو جالس على طرف سريره لم يعد يتذكر اذا ما كانت حالته العصبية قد اثرت عليها ام انها هي المسؤولة عن التوتر الذي ساد بينهما . قبلته طبعاً ولكنها قالت له بصوت هامس بأنها لن تخرج معه هذا اليوم . ثم تحدثا عن « كرونسورغلر » الذي قد مدحه جداً وعن الوظائف وحدود المحافظة عن ركوب الدراجة وعن لغة التنس واللغة الإسبانية وعما اذا كان سينال درجة « جيد جداً » او « جيد » . اما هي نفسها فلم تنل الا درجة « مقبول » . وعندما عرفوا انهم قد حصلوا على الشرفه بالقبول وبعض العمل ولم يلح عليه احد بالبقاء ، اشتد البرد على الشرفه بسرعة وقام ليساعد في اعاده الكراسي والاواني الى البيت . ولما رافقته « كارولا » الى السيارة فاجأته بقبلة حارة وبينما عاقفته مسنده نفسه اليه قالت : « إنك تعلم انني احبك جداً كما انني اعرف أنك رجل ممتاز ولا عيب فيك الا انك تبالغ في رحلاتك الى « هايدلبرغ » . بعد هذا عادت مسرعة الى البيت ملوحة بيدها ومبتسمة وحيته بقبلات بيدها . وقد استطاع ان يرى في المرأة انها مازالت واقفة تلوح بشدة .

لا يمكن ان يكون السبب غير . ولقد علمت انه كان يسافر الى هناك ليساعد « ديفغو » و « تريزا » على ترجمة الطلبات وكتابة الاستثمارات والاستخبارات ، وانه كان يؤلف المرافض ويكتبها على الآلة

□ انت تبالح في رحلتك الى « هايدلبرغ » □

الكاتبة : عرائض للشرطة فرع الأجانب ، وللمعونة الاجتماعية والنقابة ثم للجامعة ومكتب العمل ، وقضايا تخص المدرسة والحضانة والمنح والمساعدة المالية والملابس ودور النقابة . وقد عرفت ماذا كان يعمل في « هايدلبرغ » وحتى انها رافقته عدة مرات فيها ضربت على الآلة الكاتبة بحماس وأدهشته بمعرفة كلمات اللغة الألمانية المستعملة في الدوائر الرسمية . وقد كانت اصطحبت « تريزا » الى السينما والمقهى عدة مرات ، كما انها حصلت على مبلغ من المال من والدها لصالح صندوق التشيليين .

بدل ان يعود الى البيت سافر الى « هايدلبرغ » غير انه لم يجد لا « ديفو » و « تريزا » ولا « راول » صديق ( ديفو ) . في عودته وقع في صف طويل من السيارات ، في حوالي الساعة التاسعة من بيت اخيه « كارل » الذي جاء بالبيرة الباردة بينما حضرت له « هيلدا » بيضا مقليا . شاهدوا معا على شاشة التلفزيون بثا عن سباق الدراجات عبر سويسرا قام فيه « إدي ميركس » بدور غير مشرف . وعندما ودعها أعطته « هيلدا » كيس ورق مملوءا بملابس أطفال بالية لـ « هذا التشيلي النحيل الجسم واللطيف وزوجته » .

اخيرا اذيعت الانباء التي اصى اليها باذن غير واعية . تذكر اكياس الجزر والسبانخ والكرز التي وجب عليه وضعها في الثلاجة وقد اشعل اللغافة الثانية : في مكان ما - لعل لإرلاندا - اجريت انتخابات : حدث انهيال : فلان - احقا انه كان رئيس الجمهورية الاتحادية ؟ - قد قال كلمة إيجابية حول اربطة العنق : وفلان آخر كذب شيئا ما ، ارتفعت الاسعار ، مازال « عيدي أمين » مختفيا . لم يدخن اللغافة

□ انت تبالح في رحلتك الى « هايدلبرغ » □

الثانية الى آخرها ، بل اطفأها في كأس مازال فيه بقية من اللبن . كان منهوكا من التعب وسرعان ما استغرق في النوم على الرغم من ان كلمة « هايدلبرغ » مازالت ترن في رأسه .

تناول فطورا بسيطا متألفا من الخبز والحليب فقط ، ثم رتب حجرته واستحم وارتدى ملابسه بعناية ، عندما وضع رباط العنق تذكر رئيس الجمهورية الاتحادية - او هل كان المستشار ؟

قبل الموعد بربع ساعة جلس على المقعد في الدهليز امام مكتب السيد « كرونسورغلر » . وبجواره جلس رجل بدين في ملابس على الموضة بشيء من الإهمال ، كان يعرفه من محاضرات علم التربية ولكنه جهل اسمه . وهمس الرجل البدن اليه : « إنني شيوعي ، وانت ايضا ؟ » .  
قال : « لا ، فعلا لست شيوعيا ، ولا أنا خلدني » .

لم يبق الرجل البدن وقتا طويلا عند « كرونسورغلر » ولما خرج من مكتبه قام بحركة ربما اراد بها ان يقول : « خلاص » . ثم دعتة أمينة السر الى المكتب ، كانت لطيفة ، متقدمة في السن بعض الشيء ، وكانت تعامله دائما بود ، ولكنه فوجيء عندما اعطته دفعة مشجعة اذ كان يظنها أكثر جفاء من ان تقوم بمثل هذه الحركة . استقبله « كرونسورغلر » بلطف . انه كان رجلا ظريفا على الرغم من كونه محافظا ، وكان موضوعيا ، ولم يكن كبيرا في السن ، في اول الاربعينيات على الأكثر . وكان هو الآخر من انصار رياضة الدراجات . وهو الذي شجعه كثيرا . تحدثا أولا عن سباق الدراجات عبر سويسرا متسائلين عما اذا كان « سيركس » التجأ الى الخدعة حتى يستهان به في سباق

□ انت تبألف فى رحلاتك الى « هايدلبرغ » □

الدراجات عبر فرنسا . واعتقد « كرونسورغلر » ان تصرف « سيركس » كان خدعة ، اما هو فظن ان « ميركس » فعلا قد اقترب من النهاية ، اذ ان بعض مظاهر الارهاق من الصعب التظاهر بها . ثم انتقلا الى موضوع الامتحان : انهم قد فكروا طويلا فى اعطائه درجة « جيد جدا » ولكن مادة الفلسفة حالت دونه . اما الباقي فعمله فى الجامعة الشعبية ممتاز وكذلك فى الدورة المسائية للثانوية ، ثم عدم اشتراكه فى المظاهرات ، ولكن - وقد ابتسم « كرونسورغلر » ابتسامة لطيفة حقا - هناك عيب وحيد وصغير .

قال : « نعم » اعلم ذلك ، انه : اننى ابألف فى رحلاتى الى « هايدلبرغ » .  
كاد « كرونسورغلر » يحمر وجهه ، وعلى كل حال كان واضحا انه اصبح فى موقف حرج ، اذ كان انساألف حرف الجس ومتحفظا وكاد يكون خجولا . كان لا يميل الى الصراحة

<http://Archivebeta.Saknif.com>

سأله : « من أين عرفت ذلك ؟ » .

اجاب : « لقد اصبحت اسمع ذلك من الجميع وفى كل مكان ومن كل من اتحدث معه سواء اكان والدي ام « كارولا » والدها ، ومن جميعهم لا اسمع الا « هايدلبرغ » . اننى اسمع ذلك بوضوح واتساءل : « ترى » اذا طلبت بالهاتف « الساعة الناطقة » او استعلامات محطة القطار افلا اسمع « هايدلبرغ » ؟

فى لحظة عين بدا كان « كرونسورغلر » اراد ان يقوم ويضع يديه على كتفيه حتى يهدأ . وكان قد رفعهما ولكنه عاد ينزلهما على مكتبه قائلا : « لا اعرف كيف اعبر عن شعورى بالخجل . لقد كنت اراقبك

□ انت تبالغ في رحلاتك الى « هايدلبرغ » □

بود وانت تشق طريقك - ولكن هناك بلاغا لايمكنني تجاهله ، فالى جانب التعليمات والتوجيهات والارشادات التي يجب ان اراعيها جاءتنى ايضا النصائح هاتفا . ان صديقك - هو صديقك اليس كذلك ... » .  
« اجل » .

واستأنف « كرونسورغلر » كلامه : « في الاسابيع القادمة سيكون لديك وقت فراغ كثير . ماذا ستعمل ؟ » .  
قال : « سوف اتدرب كثيرا ، اي ساعد اركب الدراجة ، وسوف اقوم برحلات كثيرة الى « هايدلبرغ » .  
سأله : « بالدراجة ؟ » .  
اجابه : « كلا ، وانما بالسيارة » .

تنهذ « كرونسورغلر » وكان واضحا انه تألم تألما حقا . وعندما تصافحا قال له بصوت هامس : « لا تنس ان تاتي الى « هايدلبرغ » ، هذا كل ما استطيع قوله » . ثم ابتسم وهو يضيف : « تذكر » إدي ميركس .  
بدا وهو يفلق الباب ويعبر الدهليز يفكر في الامكانيات الاخرى : مترجم كتابة وارتجالا ودليل سياحي ومراسل سمرة باللغة الاسبانية . اما ان يصبح لاعبا محترفا فهذا صعب لانه كان قد تجاوز السن المناسبة ، وفيما يخص العمال الكهربائيين فقد ازداد عددهم بما فيه الكفاية .

نسي ان يودع امينة السر فعاد يلوح لها بيده .

---

من كتاب : « قصص منذ ١٩٦٠ من الجمهورية الاتحادية الالمانية والنمسا وسويسرا » تحقيق هاينرخ فورسفيخ شتوتفارت .  
دار النشر : ركلام شتوتفارت ١٩٨٢ ، ص ٢٤٦ - ٢٥٣ .

# ألفاظ ركيكة

تأليف: الزه إيشينجر  
ترجمة: إريسداداود



ARCHIVE

أصبحت الآن لا استعمل الألفاظ الأجود . لذلك اكتب : « المطر الذي يسقط على النوافذ . » أما سابقا فمن المؤكد أنني كنت أجد تعبيرا مختلفا تماما . ولكن ، كفانا تغنا فلنكتف بـ « المطر الذي يسقط على النوافذ . » في الحقيقة لقد خطر ببالي لفظ آخر ولم يكن لفظا أفضل فحسب بل كان لفظا ادق أيضا ، غير أنني نسيته بينما كان المطر يسقط على النوافذ او فعل ذلك الفعل الذي افلتت من ذهني . ولا اشغل فكري كثيرا بما سوف يخطر ببالي لوصف المطر القادم سواء اكان مطرا اخف من مطر اليوم ام اشد منه ، لأنني أرى ان عبارة واحدة كافية لوصف جميع أنواع المطر . ولا يهمني اذا صح استعمال لفظة « سقط » لوصف المطر الذي لم يصب النوافذ الا بقطرات قليلة وبما في استعمالها في هذه الحالة من مبالغة . كما أنني لن ابالي بضعف اللفظة لوصف مطر يكاد يكسر زجاج النوافذ . الآن اترك اللفظة كما هي اي اقر لفظة « يسقط » واترك التفكير في بقية الامكانيات للآخرين .

وعلاوة على ذلك خطر بيالي التعبير « جر الهلاك أمامه » ، ولاشك في ان هذا التعبير يتعرض للنقد أكثر من « المطر الساقط » ، وذلك لعدم وجود شيء يمكن ان نجره أمامنا وانما ندفع الأشياء كالعربات او الكراسي المتحركة ، اما الأشياء التي يمكن ان نجرها وراءنا فهي مثلا اكياس مملوءة بالبطاطا او أشياء أخرى ، ولكنه غير ممكن في حالة من الحالات ان نجر وراءنا الوفا واشكالا من الهلاك ، لان نقلها يتم بطريقة أخرى . طبعاً اعلم ذلك وفي هذه الحالة ايضاً كان تعبير افضل على لساني ولكنه مالبث ان اقلت مني ، ولو ، إنني لا تحسر عليه . وبالمقابل لا اصر على التعبير « جر الهلاك أمامه » ولكنني اغيره . اما التعبير « قرر شيئاً » فهو قابل للنقاش ، ان القوالب اللغوية المستعملة حتى الآن لا تسمح باتخاذ قرار في الحالات التي لا تتجاوز ان تكون احتمالاً فقط . يمكن ان تناقش هذه المسألة ، غير انني سأكتف بمثل هذه المناقشات — وهي تجري في اغلب الأحيان في سيارات اجرة على الطرق خارج المدينة — واتحمل عباراتي القابلة للنقد .

بطبيعة الحال لن انال بالفاظي هذه استحساناً ، ولكنني أشفق عليها أشفاقي على الملقنين وصانعي المناظر المقربة . فلقد أصبحت اميل الى ما يندرج تحت الدرجة الثانية او الثالثة والذي يتوارى عنهما بمرور ما هو جيد ، ولو فقط بالنظر الى ما هو من الدرجة الرابعة والذي يظهر للجماهير بكثرة . ولا داعي للاستياء من هذه الحقيقة ، لان هذا ما يطالب به الجمهور ، ولا اختيار لما هو جيد . ترى ، هل انا مخطئة في رأيي؟ الا يمكن ان يختفي ما هو جيد عن انظار الجمهور ثم يسفر عن وجهه امام الامكانيات الاضعف ؟ سوف تكشف عن ذلك الايام .



## □ الفلاسفة ركيكة □

ان العملة الموجودة تغطي الحاجة - اي المعقد والقابل للاكتساب  
واذا كنت اعتمد على الوسائل الناقصة فذلك امر يخصني انا وحدي.  
وكذلك اصبحت اكثر حذرا في الربط بين الجمل . فمثلا لا اقول «بينما  
يسقط المطر على النوافذ نجر الوانا من الهلاك امامنا » وانما اقول ان  
المطر الذي يسقط على النوافذ والوانا من الهلاك نجرها امامنا . وهكذا .  
ولا احد يستطيع ان يطلب مني تحقيق روابط طالما هناك مجال لتجنبها  
اني قادرة على الاختيار بخلاف الحياة التي هي الاخرى التي افلتت مني  
تسمية افضل لها . ان لفظة « الحياة » ليست لفظة متميزة ولا لفظة  
« الموت » ، وكلاهما يغطي بدل ان يعرف . وربما اعلم السبب : وهو  
ان التعريف يقارب حد التفويض ويعرض المعرفة لقبضة الاحلام. ولكن،  
لاداعي ان اعلم ذلك او ادخل في هذه المسألة . ومما لاشك فيه انني  
استطيع تكرار لفظة « الحياة » حتى اسمها واضطر الى استعمال  
لفظة اخرى معبرة عنها . وينطبق ذلك على لفظة « الموت » واكثر .  
ولكنني لافعل ذلك بل اكتفي بالموجود ومن ثم اقف موقف المتفرج وهذا  
يشغلني بما فيه الكفاية . وكذلك اصفي الى مايقوله غيري ، ولكن في  
ذلك اخطارا خاصة . ان في هذه الحال احتمالا كبيرا لنشأة خواطر .  
قبل وقت قصير سمعت العبارة « اجمع الهلاك » وقد جاءت على  
صيفة الامر ، وهو شيء لايعجبني . لو جاءت على شكل الرجاء لكان من  
الممكن ان افكر فيه ولكن الاوامر تخيفني .

وهذا هو السبب الذي جعلني اكتفي بما هو من الدرجة الثانية،  
فالدرجة الاولى مرتبطة بالاوامر ولذلك اكف عن طلبها . انني لم اعد  
اسمح لاحد ان يخيفني ، فكفاني خوفا . واكثر من ذلك سئمت خواطري

التي في الحقيقة ليست خاطري أنا والا كانت لها تسميات أخرى. انها اقرب الى زلة اللسان منه الى الخواطر او سموها كما تشاؤون . ولجميعنا مايكفي من التجارب وما اقل الذين هم قادرون على الدفاع عن انفسهم . فقد يولد معظم الناس ويحاطون على الفور بكل ما لا يكفي للاحاطة بهم ، وقبل ان يتمكنوا من تحريك الراس يشغلون بتسميات غير مصيبة بدءا من اسمهم الشخصي . ويمكن اثباتها حتى في الحان التنويم ، ثم يتضخم عددها في المراحل اللاحقة . اما انا فباستطاعتي ان ادافع عن نفسي ، فبدل ان اكتفي بأول مايخطر ببالي يمكنني ان اكشف عن الاحسن . ولكنني لا افعل ذلك لانني لا اريد اثارة الانتباه بل افضل ان احتلظ بالناس من غير ان يحس بي احد . انني اتفرج اي اتفرج على السرعة في تسمية كل شيء بغير اسمه ، وقد أصبحت اشترك في ذلك منذ وقت قصير . ولكن مايميزني عن الآخرين هو اني اعني ماذا افعل . انني اعلم ان العالم اسوا من اسمه ولذلك لاعجب في ان اسمه هو الآخر سيء .

في رأيي ان العبارة « اجمع الهلاك » من الجودة المبالغ فيها . انها ذات حدة ودقة اكثر مما ينبغي ، شبيهة بصرخات آخر اسراب الطيور الراحلة ، وتفوق اللفظة المعبرة عن الحقيقة الخالصة حسنا الحقيقة نفسها . وبمثل هذه العبارة اثر الانتباه وافقد موقف المتفرج والمتواضع الذي قد طال كفاحي للوصول عليه بادخالي الى صفوف الذين يحددون التسميات . كلا ولن افعل ذلك ، وانما ساستمر في وصف المظهر الذي يسقط على النوافذ وساطل بالقرب من الخرافات الرامية الى هدف — واذا كان لابد من الهلاك فليكن هلاكا نجره امامنا . تكاد تكون هذه العبارة الاخيرة من الدقة البالغة ، ولعله يحسن بنا الا

## □ الفاظ ديمكة □

نتكلم البتة عن اي نوع من انواع الهلاك لانها تمثل حقيقتها بدقة بالغة تدور في صمت مثل طيور اغراء حول القياس . اجل ، ان القياس لفظة جيدة وعلى كل حال يكفي مافيها من عدم الدقة . نعم ، اني مع القياس والمطر الذي يسقط وكل الاسماء الشخصية والالقاب والى آخر ذلك بلا نهاية واطل المتفرج الساكت الذي اريد ان اكون والذي ينظر اليه باستحسان تارة من هذه الجهة وتارة من تلك ، وييدي في الجيب اترك كل انواع الهلاك لمصيرها ولا اذكرها بل افضل ان اتركها . والحق ان « اتركها » ايضا عبارة مبالغ في جودتها اي عبارة جيدة مثيرة للضحك . لانه لا ، ابعثوا الهلاك بكل الوانه لانه يؤدي الى دقة غير مرغوب فيها ولانه غير موجود في لحن من الحان التنويم .

هاهوذا مرة اخرى « المطر الذي يسقط على النوافذ » فلنتركه هكذا لانه يترك كل شيء في دائرته غير المصيبة ، ونصر على إيقائه حتى يبقى « نحن » نحن وحتى يبقى كل شيء خلاف ذاته بدءا من الطقس حتى الملائكة .

وبهذه الطريقة يمكننا ان نعيش وان نموت . اما من يطلب المزيد من عدم الدقة فبامكانه ان يتابع البحث في هذا المجال غير المحدود .

---

من كتاب : كتاب قراءة - الادب الالمانى في السبعينات ، اصدره « كريستوف بوخفالد » وكولوس فاغتباخ » ، برلين ، فاغتباخ ١٩٨٤ ، رقم الطباعة ٢-٨٥٣١-٣٠١٢-٣ ، ص ١٨٢-١٨٥

١٩٨٧/٢/١٥

# خطبة خالست من فوق جهاز التلفزيون

تأليف: مكارتن فالرز  
ترجمة: إريسا داوود



## ARCHIVE

لما انتهى برنامج التلفزيون ولم يصلح الجهاز غير خشخشة مزعجة وقف على الجهاز وبصوت خافت غطته هذه الخشخشة قال في الغرفة الفارغة : « من الافضل لو تسلمنا التلفزيون كليا ولو اقام عندنا في البيت على الدوام . لامكننا الاستغناء عن ممارسة العيش بانفسنا والاكتفاء بأن نقوم بالتمثيل . ان الاسوا في هذا الامر هو سيطرة الممثل الشديدة على المرء الذي يجب في آخر المطاف ان يظل خارجا في العالم الواقعي غير الممثل . والحق ان الممثل هو الواقع بعينه ولكن باضافة مكافاة اليه . ان الممثل امر يطاق بخلاف كل الامور الاخرى ، والمعنى الناتج عن الحياة الخاصة لا يمكن قبوله . وعندما يتضح لنا هذا المعنى نلوذ بالفرار الى أي مكان او أي شيء ولا سيما الى التمثيليات . فهي تقدم لنا معنى احسن او معنى أعمق وعلى كل حال تقدم تعويضا رائعا، عن عبث

الوجود أو على الأقل ترينا شيئاً من البطولة أو تسمعنا موسيقا الأرغن .  
ما اظلمنا حين نلوم التمثيليات بأنها تلهينا لأن هذا تماماً ما لا تفعله ، وإنما  
تنبه بجمالها وكمالها الدائمين لافتتار وجودنا الخاص الى الجمال والنقص  
فيه . والحق يقال إن المشاهد المعذب بالكمالات المستفزة يحتاج كل مساء  
وهو يضطر الى العودة الى الواقع الى كتيبة جنود تحت امره حتى يحقق  
لنفسه بمساعدة هذا الجيش المسلوب الإرادة وبكل وسائل السلطة هذا  
الكمال في العالم الواقعي ، وذلك في الليلة نفسها . والحق أنه يريد بواسطة  
العنف أن يفسح لنفسه المجال ليتحرك في العالم الواقعي راضياً عن نفسه  
كما استطاع الممثلون أن يتحركوا في التمثيلية بفضل الكذب الذي يتوقف  
عليه عالم التمثيل مبدئياً . إنه يريد القيام بجولة سريعة في ظروف تقدم  
له المعنى والسعادة والنصر . ويشعر أن تدوم هذه الجولة على الأقل  
المدة نفسها التي ولجج عليه مشاهدة تلك الظواهر في التمثيل . ولا داعي  
أن تدوم أكثر فإنه لا يريد أن يكون غير ولكنه يريد أن تستغرق الأمور عنده  
المدة نفسها التي كانت تستغرقها في التمثيل . النصر – الانتقام – عدم  
المسؤولية : هكذا تكون النهاية جيدة ومرضية اي تكون مكافأة . ولا يهم  
نوعها وإنما المهم أن تحول دون هذا التخبط المتناوه المباشر الى غرفة النوم  
الحقيقية وهذا السقوط الثقيل على السرير الهرم . ايها الناس ، ابقوا  
ولو مرة واحدة على السجاد ! ترى ، ما كان شكل تلك الاسرة التي كان  
شاهدها قبل قليل ؟ لا ، ليس من المعقول أن نظلّموه هكذا . ما أبشع هذه  
الرائحة التي تفوح من بياضات سريره ، وما أشدّ الالم الذي لا يهدأ .  
اضف الى ذلك اليقين بأن كل شيء في صباح اليوم التالي سيكون قد ازداد  
سوءاً . ولا سلاح في يده ، لأن الاسلحة كلها في أيدي الممثلين . الا ليت

لنا ليلة « بارتولوميويس » (١) واحدة ، فنجر - كل المثلين من أسرهم ونضربهم بالسوط وننتف ريشهم ونضعهم على الخازوق ونشققهم ونحرقهم . فليقتل في هذه الليلة نفسها كل المثلين الخداعين والقائمين بتمثيل الكمال والمنتجين للمشاعر الرفيعة والمتفاخرين بالإحساس المرفه وسفلة الموهبة والمبتسمين السياسيين وعازفي العيث ومهيني الإنسانية والمدعين بالتندرة ، كل هؤلاء الذين يفرضون علينا مشاهدتهم والذين يروننا العالم عالماً سليماً، أو عالماً فاسداً كما يشاؤون ، أي كل هؤلاء الذين ليس لديهم ما يصلح للابتداء المباشر وفي الليلة نفسها بتحسين حياة المشاهد . إن هذا ما يجب أن ينفذ فعلاً وبلا رحمة . والا يأتي احد بالبكاء المستعطف في سبيل الحرية حتى يبدأ كل شيء من جديد . كفى ولولة سواء اكانت من « هامبورغ » أم « ميونخ » فلتنته حضارة الزعماء كلها . اشعلوا النار وفجروا مؤسسات التمثيل واحرقوا قصور الوسطاء واشتقوا عصابة « شبرينغر - لاس » من غروتر ، غارونر ، غارونر ، بيرتلسمان - حكومة - معارضة - زائد شبيغل - زائد اصحاب الملايين والمصارف زا ... زائد ... » (٢) حتى لا يمكن لاحد أن يصنع اية صورة ويكون كل واحد مجبوراً أن يعيش بنفسه ولا يستطيع أن يهرب الى التمثيل . إما ان يدخلونا جميعنا في مؤسساتهم وذلك ليل نهار فنكون بفنى عن ممارسة العيش بأنفسنا لاننا نقوم بالتمثيل فقط ... او كفى تمثيلاً وليعاقب

(١) ليلة « بارتولوميويس » : مذبحه في ١٥٧٢/٨/٢١ قتل فيها ٢٠٠٠٠ بروتستانتى فرنسي بأمر من الملكة الام « كاتارينا دو ميديتشي » في باريس .

(٢) شبرينغر : وكالة انباء ، س.ب.د. : الحزب الاشتراكي الالمانى ، غروتر - يار - بيرتلسمان : دور نشر ، شبيغل : مجلة المانية . ( المترجمة ) .

□ خطبة « غلستل » من فوق جهاز التلفزيون □

بالاعدام كل من يستمر في تمثيل شيء . ان الحياة والموت حق للجميع . ولا يسمح لاحد بالخلود . اما الذي ينطق كلمة الخلود او يحاول ان يحصل عليه بالحيل فيعدم على الفور بالرصاص وذلك على يد كل من يباغته وهو على وشك المحاولة . ولكن ، لا مكافأة او وسام او مجرد استحسان مقابل اعدام الآخرين بالرصاص ، وكذلك لا ترقية لتحقيق عمل سواء اكان في الماضي ام المستقبل . ولن يسمح البتة بالتميز او بتطوير ما يؤدي اليه . اخيراً على الحياة العارية ان تشق طريقها . فلتختف كل الدرجات حتى يعيش كل من على هذه الارض حياته خالياً من التمثيل وبعيدا عن الظلم . ويحق لكل انسان ان يعيش كما هو من غير ان تستهين به قدوة ما . إن المهم في الامر هو شخصه لا غير ، ومهما كان أصله او فصله . هل ستوجد موسيقا ؟ على كل حال لن يسمح لاحد بصنع الموسيقا . واذا وجدت موسيقا على الرغم من ذلك فلا تمنع بل فرح بها . اما الصانعون فنرفضهم . ايها الناس ، انظروا الى المخطوطة / تذكروا كم برجاً وديراً وجب اقتحامها حتى تستمر الحياة . والحق ان بين تلك الابراج والاديرة كان ما هو اجمل واحسن بكثير من قصور التمثيليات . ولن نصفي الى احد بلا تمييز حتى ولو كانت بقرة متفلورة لا تدر الا باللبن المقشود كالملكة البريطانية او اميرال تكوين الآراء بانف مزين بالاشربة في مدينة « هامبورغ » امحوهما قبل ان يرق قلبي . ابعدهما وامثالهما وانقلوهم الى جزر ، رجاء الى جزر على الاقل ، ولن يرق قلبي اكثر من ذلك . ثم تحاط هذه الجزر بسور مصنوع من تماثيل مقلدة بشكل دقيق تمثال الحرية الامريكية يرتص بعضها مع بعض بمقدار ١ : ١ حتى لا يمكن لاحد من السادة ان يفلت من هذه الجزر بل يسلم جميعهم انفسهم الاخيرة في ظل هذا التمثال الذي خدعونا به جميعنا . وهناك يجب ان يعيشوا الى يومهم الاخير ،

□ خطبة « غلستل » من فوق جهاز التلفزيون □

اي وراء سور ضخ من تماثيل الحرية البيتونية حتى لا ينسوا ابدا  
سبب وجودهم داخل هذا السور وهو : حريتنا . فما داموا خارج هذا  
السور فنحن الاسرى الذين سمحوا لهم بمشاهدة الحرية في تمثيلياتهم  
فقط ، تلك التمثيليات التي حتمت علينا اسرنا » .

لما انتهى الى ذلك قفز من الجهاز وقال بصوت خافت : « ان كل  
انسان ينطوي على ظواهر لا متناهية العدد ، لم يلاحظها احد في يوم من  
الايام ، ولم يعيشها هو نفسه كتجربة من تجارب حياته . ولم يشاهد  
اخذ التنوع غير المحدود الذي يتميز به كل انسان . ثم اطفأ الضوء وذهب  
الى سريره محاولا الا يصدر عنه أي صوت حتى لا يزعج سنام « ماريانه »  
التي وجب عليها ان تنهض من فراشها قبله .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



---

من كتاب : كتاب قراءة ، الادب الالمانى في السبعينيات ، أصدره (كريستوف بوخالد)  
و «كلوس فاغنباخ» ، برلين ، فاغنباخ : ١٩٨٤ ، رقم الطباعة ٢ - ٨.٣١ - ٣.١٢ - ٢ ،  
ص ١٤٥ - ١٤٧ .



# الجرذ الأنثى

تأليف: غونتر غراس  
ترجمة: إريناداوود



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

رايت نفسي في المنام أودع  
كل الاشياء التي تحيط بي  
والتي تمتد ظلاليها : هذه الكثرة من الضمان الملكية .  
واودع الموجودات ، هذه القائمة  
من شتى المقتدرات .  
واودع النفحات المتعبدية  
والروائح المنشطة  
اودع الحلاوة والمرارة  
وكل ما هو حامض  
وحدة جنة الطفل الحارة .

أودّع دقائق الزمان ، وأزعاج يوم الاثنين ،  
وضاعة الريح في يوم الأربعاء ، ويوم الأحد وخبثه  
حين يرداد ملله .  
أودّع كل المواعيد :  
كل ما هو آت  
في المستقبل القريب والبعيد .

رايت نفسي في المنام أودّع كل فكرة  
ميتة كانت أم حية  
ساعة ولادتها

أودّع المعنى الذي يبحث عن المعنى  
وراء المعنى .

أودّع الأمل ، هذا العناء على الدوام  
كما أودّع الريح الموكب الذي  
أدرّه القصب المخدر .  
<http://Archivebeta.org/hrit.com>

وإبراد الأحلام المخزنة ،  
وكل ما كتب على ورقة ويفيد مثلاً من الأمثال  
كالفرس والفارس حين تحولا الى تمثال .  
إنني أودّع كل تصورات الانسان .  
والاغنية ، هذا العويل الملقى  
والاصوات المتضافرة وتهليل الجوقة  
التي تتعدد فيها الاصوات ،  
وحماس الآلات  
والله و « باخ » ( ١ ) .

١ - « باخ ، يوهان سيباستيان » : موسيقى الماني ١٦٨٥ - ١٧٥٠ ( الترجمة )

رايت نفسي في المنام اودع الاغصان  
تساقطت اوراقها واودع الكلمات :  
البرعم والزهرة والثمرة ،  
وفصول السنة التي سُمّت اجواءها  
وتصرّ على الوداع .  
وليتني اقول ، ولو مرة واحدة ، كلمات :  
كضباب الصباح واواخر الصيف  
والمعطف وكذبة نيسان  
وزهر الثلج والسورتنجان (٢)  
والتحط والصقيع والذوبان .  
يا ليتني اهرب من الآثار المطبوعة في الثلج ،  
وعسى ان يكون الكرز ناضجا ساعة الوداع  
ويعبث الوقواق بالنداء ،  
يا ليتني افجر قرون البازلاء  
الاخضر ، او انفخ في زهرة سن الاسد  
التي عرفت مراميها اليوم فقط .

رايت نفسي في المنام اودع  
المنضدة والسرير والباب ،  
فأحمل المنضدة والسرير أثقالا  
وافتح الباب على مصراعيه متمرنا على التوديع .  
ها هو ذا يومي الدراني الاخير : اتهجى

---

٢ - السورتنجان : نبات عشبي بصلي ، ازهاره بيضاء او وردية .  
يظهر في الخريف وفي الربيع .

اسماء الاصدقاء ،  
 احفظ ارقامهم الهاتفية ،  
 وهناك ديون اصفياها ،  
 وفي النهاية اكتب الى اعدائي  
 كلمة : دعونا من هذا - او :  
 ليس من وراء النزاع مغنم .  
 وفجأة لدي الوقت .  
 تجول عيني كأنها مدرّبة على التوديع  
 في الآفاق من حولها ، في التلال وراء التلال  
 والمدينة على ضفتي النهر  
 وكان هناك ما هو جدير بالذكر  
 ويسوجب الحفاظ عليه  
 وينتقل ما هو واضح جلي : هو متروك ولكنه لا يزال  
 محسوسا ، ليحفظ  
<http://Archive.italSakart.com>

رايت نفسي في المنام اودّعك ،  
 انت وانت وانت ، وكذلك  
 عدم كفاءتي ، وبقية الانا الباقية :  
 كل ما بقي وراء الفاصلة  
 والذي اهميل منذ سنين .  
 اودّع الغربة المألوفة الى حد السام  
 والعادات التي تسيطر علينا بادب  
 وحقدنا المدون والمسجل .  
 اجل ، ليس هناك ما كان اقرب  
 إليّ من برودتك . ما اكثر الحب الذي  
 ذكره على غير حقيقته . وفي النهاية كان

كل شيء مؤمنة : باكوام من دبابيس المشبك .  
وما تبقى الا توديع قصصك ،  
التي تبحث دوما عن السدود ، عن الباخرة  
الآتية محملة باللاجئين  
من « شترالزوند » (١) المدينة المحترقة ،  
ثم توديع كؤوسي التي لم تكن  
سوى قطع زجاج مكسور  
ولم تظن انفسها في يوم من الايام  
انها غير قطع زجاج مكسور .  
كلا ، لا وقفة على الرأس من اليوم فصاعدا .

ولا الم من اليوم فصاعدا  
ولا تطلعات . ان هذه النهاية مبروقة :  
اسلوب من اساليب المدرسة  
قد درّب في دورات دراسية .  
انظروا ! ما أرخص الاسرار العارية !  
ان الخيانة لم تعد تقدّر بالمال .  
وبابخس اثمان العدو تفسر الاحلام .  
اخيرا تتساوى الامتيازات ، وتسوى بيننا  
نتيجة الحساب ،  
وللمرة الاخيرة ينتصر العقل ،  
فلا تمييز بين كل ما له نفس  
وكل ما يزحف ويطيّر  
وكل فكرة لم تولد بعد

١ - شترالزوند : ميناء على شاطئ بحر البلطيق ( الترجمة )

وما كان يحق له أن يحيى ، ربما ،  
ولكنه أسقط في الآخر .  
ولكن ، لما رايتني في المنام أودع كل المخلوقات  
حتى لا يبقى أي أثر لجميع الحيوانات  
التي ادخلها نوح الى الفلك ،  
رايت في المنام بعد الخراف والدجاج والسمك  
التي قنيت كلها مع جنس البشر ،  
رايت اثنى جرد واحدة تلد تسعة اولاد  
وكان المستقبل امامها .

فسحت وكذبت واتكرت كل شيء : ليس نحن ! فلم تكن مغرمين  
بانفسنا ، بل كنا يفتنى عن المرأة . ولا حياء الصفا به معنى عميقا ، ولا  
هدف غير انفسنا كان يفرينا ويرفع لنا او ننسنا انفسنا : كلا ، لم يوجد  
الجرذ الكامل .  
<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

ولم نبين المباني ذهنية ذات الطوابق المتعددة التي سمونا بها حتى  
نصل الى النجوم ساعين وراء وهم الخلود المحض . وتكاثرنا خالين من  
هذا العبث الانساني من غير أن نحصي عددنا في يوم من الايام .

ومهما كنا صالحين للتشبيهات والصور التي رسمها الانسان -  
فكلما تحدث عن البلاء كما في الكتاب المقدس مثلا - فاننا لم نجد مثلاً لنا  
ولا قدوة يمكن أن تقتدي به ، لا بين الحيوانات الاخرى ولا عند الانسان  
الذي تربطنا به الروابط منذ بدء خايقة الجرد . والحق يقال ، انه قد  
ادهشنا ولكنه لم يصبح لنا إلهاً. وذلك منذ ازمة وجوده ووجود ظله  
على الارض .

من كتاب : « الجرد الاثنى » لـ « غونتر غراس » ، دار النشر « لوخترهاند » ،  
دارمشتات ، ١٩٨٦ ، ص ١١٥ - ١١٨ .

# الدمية المتجولة

قصة: بيتر هرتلينغ - ترجمة: فريزة التجار  
مراجعة: د. عبده عبود

في الواقع كان باستطاعتي أن أبدأ قصتي بكان يا مكان ، كانت هناك دمية . ولكن ما سأرويها ليس حكاية خرافية بل قصة دمية اشترتها ام قبل سنوات كثيرة ، وبالتحديد عام ١٩٤١ من أحد المحال التجارية . فقد كانت لتلك الأم ابنة مريضة ، و ارادت أن تدخل السرور الى قلبها . وكان الزمن زمن حرب ، لم يكن الحصول فيه على الدمى بالامر السهل . اما اسم الابنة فهو « هيلدا » ، وكانت مصابة بالحمى القرمزية . ولكن ما ان تسلمت الدمية حتى تحسنت حالها على الفور . فقد كانت تلك الدمية أجمل من سائر الدمى ، ووصل طولها حتى ركلة « هيلدا » ، لها شعر اسود متين ، ووجنتان حمراوان ، وعينان زرقاوان براقتان . اضافة الى قدرتها على تحريك ذراعيها وساقيها . وكانت « هيلدا » تلعب طوال النهار مع الدمية التي سميتها « جيردا » ، فتجلس معها في السرير ، تخلع عنها ثيابها ، ثم تلبسها اياها من جديد مزارا وتكرارا . كما كانت تفعلها ، وتسرح لها شعرها .

## □ الدمية التجولة □

عاشت « هيلدا » مع ابويها في بلاد بعيدة عن بلادنا ، هي تشيكوسلوفاكيا . وذات مرة جاء الأب الى البيت بصندوق صغير اعتبره سريرا لـ « جيردا » . وكانت « هيلدا » كلما ذهبت مع امها الى السوق تأخذ معها دميته نظيفة الثياب ، مريحة الشعر . ولا احد يعرف بالضبط ماذا حدث بعد ذلك . ففي احدى المرات رافقت الفتاة امها ، وفي الطريق اصطدمت بأحد المارة ، فسقطت الدمية من ذراعيها، وارتطم رأسها بأرض الشارع ، مما ادى الى حدوث شرخ فظيع في الرأس . حينئذ بكت « هيلدا » ، فواستها امها قائلة : - في المحل الذي كنت قد اشتريت منه الدمية رجل يستطيع ان يعيدها كما كانت تماما . ثم مضتا الى ذلك المحل ، وهناك قام الرجل بفحص الدمية ، وقال :

« باستطاعتي ان اعالجها » . ففرحت « هيلدا » فرحا شديدا ، ولكن والديها لم يعودا الى ذلك المحل لأخذ الدمية ، لأنهما انتقلا من تلك المدينة ، ونسيانها .  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وبالفعل تمكن الرجل من تصليح الدمية ، ولم يعد المرء يرى فيها اي تسرخ ، فعاتت جميلة كما كانت سابقا . ثم وضعها الرجل على احد الرفوف ، حيث الظلمة والقبار . وهناك استلقت الدمية فوق علبة مكعبات ، بينما وقف الى جانبها فيل قماشي صغير ، سقطت عيناه المصنوعتان من الازرار . قبعت الدمية هناك مدة طويلة ، مما سمح للقبار بأن يجعل منظرها بشعا : في تلك الاثناء اقتربت الحرب من المدينة أكثر وأكثر ، واصبح المرء يسمع دوي المدافع . وكثيرا ما حلقت الطائرات لتقذف القنابل ، وتهدم المنازل ، مما جعل اناسا كثيرين يقضون نحبهم تحت الانتقاض . أما بائع الالعاب فلم يعد لديه ما يبيعه . وعندما سألته سيدة عما اذا كان لديه ولو دمية صغيرة ، لان غدا عيد ميلاد



## □ الدمية التجولة □

ابنتها ، وليس لديها أية هدية تقدمها اليها بهذه المناسبة ، تذكر الرجل الدمية المنسية ، فأنزلها من الرف ، ونفخ الفبار عن وجهها ، ثم سعل وعطس ، وقال : « لم يبق عندي غير هذه الدمية » .

وهكذا انتقلت الدمية الى « لوره » ، التي سمها « بوبي » والآن تحسنت أحوال الدمية حقا . فقد كانت تنام مع « لوره » ، التي تدلّعها ، حتى انها صنعت لها ثيابا جديدة . وعندما كانت الطائرات تأتي وتقذف القنابل ، فيضطر الناس للتزول الى الملجأ ، كانت « لوره » تأخذ معها « بوبي » في كل مرة . والآن زحفت الحرب على المدينة ، فقررت أم « لوره » أن تهرب من المدينة بصحبة أناس آخرين ، فركبوا قطارا مكتظا بالناس بصورة لا مثيل لها . وبعد سفر طويل وصلوا الى مدينة في ألمانيا . وكانت الام قد قالت لـ « لوره » قبل الرحيل : لا يمكنك أن تأخذي الدمية معك . فسالت « لوره » : من سينزل في حققتا بعد أن تتركها ؟ « أجابتها الام : « لا أدري » . « عندئذ جاءت « لوره » بقطعة صغيرة من الكرتون ، وعلقت فيها خيطا ، ثم كتبت عليها : هذه دميتي بوبي ، واسمي لسوره هيمرلنغ ، وعمرى سبع سنوات . فعلى من يجد بوبي ان يرسلها لي . ثم علقت الورقة في عنق الدمية ، التي ظلت في صندوق يحوي امتعة قديمة . واخيرا سقطت قنبلة على المبنى ، مما ادى الى تهدم الطابق العلوي . اما شقة عائلة « لوره » فلم تصب بأي ضرر ، وانتقلت اليها عائلة تشيكية . فقام الجد باعادة ترتيب كل شيء ، حيث دهن الابواب والجدران ، وعثر على الدمية اثناء قيامه بذلك . كان الجد ملما باللفة الالمانية ، فقرأ القصاصة ووضعها في جيبه . اما الدمية فأعطاه الحفيدته ، وقال لها : حافظي عليها ، واعتني بها جيدا . فهي لطفلة المانية . والآن أصبح للدمية اسم جديد هو « بومبلا » ، وقد اعتنت الفتاة الصغيرة بها

جيدا . ولكن عندما كبرت ، وقلت رغبتها في اللعب بالدمى ، أعادتها لجدتها ، الذي أصبح الآن طاعنا في السن ، لكي يحتفظ بها . وبمحض الصدفة تناهى الى سمع الجد أن عائلة « هيمرلنغ » التي ارتطت عن مدينة تشيكوسلوفاكيا ، تعيش الآن في مدينة نورنبرغ الألمانية . فكتب الى تلك العائلة رسالة يسألها فيها عما إذا كانت قد نسيت دمية جميلة سوداء الشعر . كانت « لوره » قد كبرت في تلك الاثناء ، ولكنها بالرغم من ذلك فرحت كثيرا بالرسالة ، وكتبت ردا عليها تقول فيه : نعم ، لقد تركت دمية . وما إن تلقى الجد الجواب حتى وضع الدمية في علبة ، وأرفقها برسالة يرجو فيها أن يظل اسم الدمية « بوميل » . فدرت « لوره » قائلة : سيظل اسم الدمية بوميل ، هذا أمر لا جدال فيه .

ونظرا لأنه لم يكن في الأسرة فتاة صغيرة ، فقد وضعت الدمية فوق الخزانة ، وكانت « لوره » تحدث معها أحيانا وتخاطبها دائما بـ « بوميل » . وبعد مدة قصيرة رزقت « لوره » طفلة ، فأصبحت الدمية لتلك الطفلة ، التي أحببتها كثيرا ، وأبقت لها الاسم نفسه . وكان الناس يعجبون لهذا الاسم الغريب ، ولكن الفتاة تقول لهم : « كفى ! هكذا اسمها ، وسيظل هكذا ! » .

لم تعد « بوميل » جميلة كما كانت في السابق ، وكاد شعرها أن يسقط ، كما فقدت عيناها برقيقهما واتسخ جلدها القماشي . إلا أن الفتاة ظلت على حبها لها . وعلى الرغم من أنها أصبحت تملك أربع دمي أخرى أكثر جودة وجمالا ، فقد ظلت « بوميل » دميها المفضلة ، التي تأخذها معها حتى في العطلة . وعندما سافرت مع أهلها الى هولندا لقضاء إجازة على شاطئ البحر ، قالت الفتاة : إن الهواء النقي يفيد « بوميل » ، فهي مسنة تماما . وكلما ذهبت الى السباحة برفقة أمها ، كانت تجلس دميها على الشاطئ ، وتلبسها لباس استحمام حقيقي صغير . وفي

## □ الدمية المتجولة □

أحدى المرات قالت الام : في الحقيقة يجب أن ندع احدا يصنع لـ «بومبلا» شعرا جديدا . ولكن الفتاة زعمت ان « بومبلا » ليست بحاجة الى شعر جديد ، لان ذلك سيجعلها تفارقها مدة طويلة . ولكن الفتاة اضاعت الدمية خلال العطلة دون ان تدري كيف حدث ذلك . فقد نسيتهما في مكان ما . وما ان تبين لها أنها فقدتها حتى أخذت تنتحب ، ثم بدأت عملية بحث كبيرة عن « بومبلا » شارك فيها كل الناس الذين في الفندق، حيث مشوا على طول الشاطئ ، وفتشوا الكثبان الرملية ، وسألوا سائق الباص عما اذا عثر على الدمية . الا أن الدمية ظلت مفقودة .

لكن الدمية أصبحت منذ وقت طويل في أيدي مالكة جديدة. كانت الفتاة قد نسيتهما فوق أحد المقاعد الموجودة على حافة الطريق الرملية، حيث قضت الدمية ليلتها . وفي اليوم التالي مررت من هناك مجموعة من الاطفال . كانوا اطفالا مرضي جاؤوا من ألمانيا ، ونزلوا لبضعة اسابيع في بيت على البحر . وكان بينهم فتاة مشوهة الذراع وغير قادرة على التنفس بشكل جيد اسمها « بريجيت » . رأت هذه الفتاة الدمية ، فالتقطتها في غفلة عن عيون الممرضة . ولم ينتبه احد الى أنها تحمل معها طوال الوقت تلك الدمية القبيحة القديمة ، التي كانت تكلمها وتجلسها الى جانبها . والان أصبح اسم الدمية « كاميليا » ، فقد رأت « بريجيت » ان هذا الاسم اجمل من سواه . ثم أخذت الدمية معها الى البيت ، فوالداها ليس لديهما الكثير من النقود ، وقد كانت هذه دميتهما الحقيقية الاولى . وفي البيت قالت الفتاة لأمها : لقد أعطيت هذه الدمية في هولندا كهدية ، والان عادت أحوال الدمية جيدة كما في السابق . صارت لها ثياب جديدة ، وحاولت أم « بريجيت » ان تفصل لها ذراعها وساقها قليلا . لكن الوسخ لم يزل عنها ، وبدا عليها الكثير من البقع.

## □ الدمية المتجولة □

وعندما ذهب «بريجيت» الى الطبيب لمراجعته بسبب ذراعها المشوهة، انتهت قصة الدمية . فقد اجلست «بريجيت» الدمية «كاميليا» على حافة شرفة المطبخ الصغيرة ، وقالت لها : « هنا يمكنك ان تستمتعي . بالشمس » . وذلك لانهم كانوا يسكنون في الطابق السادس من مبنى مخصص للايجار . هبت ريح قوية ، فنفخت الدمية ورمتها من الكرسي ، فتدحرجت على حافة الشرفة ، وسقطت عميقا الى قناء المبنى ، حيث ارتطمت بالارض المرسوفة ، مما جعل الشرخ القديم الذي في راسها ينفتح من جديد . لم يلاحظ احد ذلك . وبعد برهة عبر رجل الغناء ، فرأى الدمية والتقطها ، لكنه لاحظ انها مهشمة ، فرماها في برميل القمامة .

تراه كان سيفعل ذلك لو انه عرف قصة تلك الدمية ؟؟

بيتر هيرتلينغ في سطور :

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

— ولد عام ١٩٣٣ بمدينة «كيمينس» .  
— عمل بين ١٩٥٦ و ١٩٦٢ محررا في صحيفة «دويتشه تسايتونج» التي تصدر بمدينة كولونيا ، واشرف منذ ١٩٧٠ على اصدار مجلة « الشهر » .

— ترأس بين ١٩٦٧ — ١٩٧٣ دار نشر في مدينة فرانكفورت .  
— يعيش منذ ١٩٧٤ في بلدة « فالدورف » بالقرب من فرانكفورت كاتبا متفرغا .

— يكتب الشعر والقصة القصيرة والرواية للكبار والناشئة على حد سواء .

— منح اهم الجوائز الادبية الالمانية ، وقد كان آخرها جائزة « هولدرلين » ، التي حصل عليها عام ١٩٨٨ .  
— يعتبر من أبرز اعلام الادب الالمانى المعاصر .

# بیسوس کینفدوتشکه

تأليف: الفرد أندرش  
ترجمة: إرينا داوود

تفحصت « كارلا » راس « مارسيل » ثم قالت : « إنه صدع لا غير ، جرح سطحي فقط » .  
ازاحت شعره الأسود عن الجرح لتكشف عن مساره قدر استطاعتها في ضوء الصباح . كان « مارسيل » واقفا مسندا ظهره الى الممود الكهربائي والدم ينزل في مجريين على وجهه ، وكل مادخل في عينيه كان يمسحه باحتراس .

قالت « كارلا » موجهة كلامها الى « ليو » : « من الضروري أن يضمّد جرحه ، ومن الأفضل ان يتم ذلك عندي في المستشفى . ترى ، هل سنجد هنا سيارة أجرة ؟ » .

(\*) يسوع كينفدوتشكه : اسم مركب من « يسوع » : السيد المسيح و « مارتين لوتر كينغ » : ١٩٢٩ - ١٩٦٨ قسيس وقائد مقاومة السود الامريكيين ، قتل اغتيالا ، و « رودي دوتشكه » : شخصية برزت في الستينيات في حركة الطلبة السياسية في المانيا الاتحادية . ١٩٦٨/٤/١١ أصيب دوتشكه بجروح خطيرة اثر محاولة اغتيال وتوفي ١٩٧٩/١٢/٢٤ نتيجة تلك الجروح .  
( المترجم )

١٩٨٧/٢/١٥

كانت « كارلا » طالبة في كلية الطب ، وفي الوقت الحاضر هي في مستشفى الموابيين حيث تقوم بالتمرين .  
قال « ليو » : « أرى ان تعودي الى البيت أولا لتفري ثيابك . لاشك في انك مبتلة تماما .

هزت رأسها قائلة : « لاداعي الى ذلك ، فالمعطف قد منع المطر عن تبليل ثيابي . وعلى كل حال لي في المستشفى ملابس احتياطية » .  
كان شعرها الاسود سواد شعر « مارسيل » ملتصقا برأسها .  
وقد ارتدت معطفا مشعا فاتح اللون مشدودا بحزام .

بينما اجبر « ليو » نفسه على رؤية الدم المتسرب في لحية « مارسيل » كان يسمع وراءه اقوام المشركين في المظاهرة وقد ابتعدوا عبر شارع « كوخ » . وكانوا قد توقفوا عن الترافيل اذ ان هجوم الشرطة لم يتجاوز ناصية شارع « شارلوت » . اما خرطوم المياه فما زال يعمل على الرغم من ان الشارع قد خلا من الناس . ادار « ليو » وجهه عن « مارسيل » و « كارلا » ونظر الى شعاع الماء الذي اناره كشاف من وراء السور . وفجأة اغلق خرطوم الماء ولمدة ثوان لم يكن هناك سوى السكون واللمعان وسط الشارع الاسود . ثم ظهر شيئا فشيئا رجال الشرطة خلف الشارع فما اكثر الخوذ والمعاطف التي احاطت ببيتاية وكالة الانباء . وعلى بعد حوالي مائة متر من خراطيم المياه وقريبا جدا من الناصية الواصلة الى نقطة التفتيش « تشارلي » كان رجل مستلقيا على الرصيف ووجهه مائل الى الاسفل ، توجه اليه رجل في ملابس مدنية فربما كان طبيبا سمح له بالمرور رجال الشرطة الواقفون في عدد من الصفوف التي حاصرت حدود القطاعات (✱) .

فكر « ليو » أنه على الرغم من هذا الشغب فقد توجد بعض سيارات  
الاجرة عند موقف المترو « شارع كوخ » ، ولكن السير في هذا الاتجاه  
معناه الوقوع المباشر في قبضة الشرطة .

قال : « هيا بنا ! في ساحة « اسكان » توجد سيارات اجرة » .

كانوا بين الآخرين الذين انصرفوا عن ساحة الاحداث . وعندما  
ساروا في شارع « انهلتر » كان الليل - ليلة من ليالي نيسان في « برلين » -  
باردا وخاليا من الناس . وكلما عبروا دائرة من الضوء لاحظ « ليو » أن  
« كارلا » كانت تراقب « مارسيل » بعين فاحصة ، الظاهر أنها خشيت  
تدفق الدم بشكل فجائي وغزير .

عند الحوض الاخضر في ساحة « اسكان » وجدوا سيارة اجرة  
واحدة .

وكان السائق قد وضع إحدى ذراعيه على المقود ورأسه على يده  
كانه نائم . ولكن لما انسك « ليو » بقبضته الباب قال دون ان يفروقفته:  
« ارفع يدك ! انا لانتقل الطلاب » .

كان « ليو » عندما يحدث له امر مماثل لهذا يفكر اول ما يفكر في قواه  
البدنية الفائقة وان الكثيرين من معارفه كانوا يسمونه « الثور » . وبفضل  
قواه البدنية كان باستطاعته ان يسحب الرجل من سيارته بقبضة واحدة .  
ولكن عندما اوشك ان يمد يده الى الباب تذكر امتناعه قبل نصف ساعة  
عن دفع الضربة التي اصابت راس « مارسيل » .

قالت « كارلا » معتاً مجروح يحتاج الى المعالجة بأسرع وقت  
ممكن « لم يرد الرجل عليها بل اطلق نافذة السيارة وراؤه يمد يده الى  
ميكروفون الهاتف اللاسلكي .

» \* في مدينة برلين .

عند ذلك اقترح « ليو » : فلنذهب الى باب « هالة » ونركب من هناك المترو الى « فدينغ » ثم ننقل الى قطار آخر باتجاه شارع « بوليتز » اعترضت « كارلا » : وهناك يجب ان ننقل الى المترو مرة أخرى . اما اذا مشينا عبر حديقة الحيوانات فسنصل بسرعة اكبر .

راى « ليو » صحة قولها ، ولكنه في هذه اللحظة كاد يفضل ركوب المترو من باب « هالة » الى « فدينغ » اذ ان القطارات في هذا الخط كانت تسير تحت شارع « فريدرخ » بلا توقف على طول امتداده مجتازة « برلين » الشرقية . وفي اغلب الاحيان كان الضوء يتضاءل في العربات التي كادت تكون خالية من الركاب ، وكان الراكب فيها يجلس في عتمة عديمة اللون والمحطات التي كانت تمر بها ظهرت كأنها غيوم مشكلة من البلاط الاصفر : مراكز المدينة — الشارع القوي — باب اورانيا نبورغ . وعلى العموم كان رجال من الشرطة الشعبية يقفان جنباً لجنب على أرصفة المحطات والبندقية على كتفهما .

وصلوا الى قناة الدفاع المدني حيث التفوا الى اليمين . هناك قرا « ليو » : « ضفة رايبسبيتش » وخطر بباله أنه لمثل هذه الليلة يجوز ان تكون لها رائحة القتل اي رائحة « كوبيس » (١) و « رايبسبيتش » (٢) و « ليبكيتش » (٣) و « لوكسمبورغ » (٤) وأنه يحق لها ان تكون ليلة مستغيثة . ولكنها كانت ليلة عادية من لبالي شهر نيسان فقط والانارة

(١) و (٢) : اشتركا في احزاب قام به بحارة الاسطول الالمانى في ١٩١٧/٨/٢ على السفينة « الامير الحاكم لويبولد » ، واعدا في ١٩١٧/٩/٥ .

(٣) و (٤) : من مؤسسي الحزب الشيوعي الالمانى عام ١٩١٧ . ( الترجمة )



□ بسو كينغدو تشكله (») □

فيها سيئة وماء القناة الكثيف راقدا وتافها بين منحدرها الحصويين بلونهما الفاتح ، ومن حين الى آخر سيارة تمر بالدائرات الوانية الحركة التي رسمها الضوء على شارع الضفة .

عاد السور يرتفع على الطرف اليمين حيث كان في بعض الاحيان يشكل وصلة بين حيطان مستودعات واحيانا اخرى جبهات طويلة بعض الشيء . مشوا الى جانب السور ملتفين شمالا الى شارع « لينك » الطويل والخالي من الناس . ومن خلف السور انتشر ضوء جعل الطرف الذي كانوا يسرون عليه اشد ظلمة .

حين وصلوا الى شارع « لينك » انحلت عقدة لسان « مارسيل » فعاد يقول : « إن انتقاد لوكاش » (١) لـ « بوخارين » (٢) غلط . لقد أدرك « بوخارين » في ذلك الوقت المكان بعض الامور التي لم يرها بعد « لوكاش » .  
سأله « ليو » : ترى هل نشرت على « بوخارين » ؟

http://Archivebeta.Sakhril.com

اجاب « مارسيل » : أجل ، لقد وجدته عند تاجر الكتب القديمة في شارع « فلنسبورغ » وكدت لا اصدق عيني : طبعة ١٩٢٢ وباللغة الالمانية . وهتف « ليو » : « رائع ! متى تعبره لي ؟ »

ورد عليه « مارسيل » : ليس بعد . سنقيم اولاً حلقة دراسية خاصة به . كان « مارسيل » يدرس علم الاجتماع . بعد توقف العمل في المعهد كان الطلاب يقررون مؤقثاً موضوعات الحلقات الدراسية . تابع « مارسيل » يوضح رايه : ان « بوخارين » هو الوحيد الذي يرى اهمية دور

(١) لوكاش : د . جورج لوكاش ، ١٨٨٥ - ١٩٧١ ، فيلسوف وأديب ( مجري ) وناقد أدبي .

(٢) بوخارين نيقولا : عالم اقتصادي ، بلشفي ( روسي ) ، اعدم ١٩٢٨ . ( المترجم )

التكنولوجيا اذ يقول : ان كل نظام تكتيكي قائم في المجتمع يحدد ايضا النظام القائم بين ظروف العمل وبين الناس . ولهذا السبب بالذات يهاجمه « لو كاش » مدعياً ان « بوخارين » يساوي بين التكتيك والقوى الانتاجية ...

قطع « ليو » كلامه قائلا : اني لا اراه في ذلك مخطئا جدا ، فعندنا في الفن المعماري يتطابقان .

فقال « مارسيل » : حسن ، ولكن « بوخارين » لا يذهب الى هذا الحد . ان كل مقاله ان تطور المجتمع مرتبط بتطور التكتيك . وهذا مايسميه « لو كاش » مذهباً طبيعياً باطلاً .

سكتوا فجأة لان سيارة شرطة توقفت بجانبهم ، وهبط الشرطي الذي جلس بجوار السائق من السيارة واتجه نحوهم وقال :

<http://Archivebeta.Sakr.ir/1001>

« هوياتكم من فضلكم »

سأله « ليو » : ولماذا ، هل المشي هنا ممنوع ؟

ورد عليه الشرطي : ان اردت اثارة المشاكل فبأمكانك ان تدخل السيارة مباشرة .

اخرج « ليو » هويته الصادرة في برلين وناولها الرجل ، فقد اعتادوا كطلاب على معارضتهم للتفتيش دون سبب ، ولذلك اصطحبوا دائما هوياتهم .

نظر الشرطي الى « مارسيل » وسأله : ماذا حدث لك ؟

قالت « كارلا » : لقد وقع فاصيب بجرح في راسه .

قال الشرطي : وقع ، هكذا ببساطة ؟

□ يسوع ينفذ وتشكله (✠) □

ردت عليه « كارلا » : كلا ، لم يقع هكذا ببساطة ، بل وقع على راسه ومثل ذلك قد يحدث . اني اعمل في مستشفى الموابيين الى حيث نريد نقله .

بعد ذلك ناولته هويتها الصادرة في المانية الغربية ، واخرج الشرطي مذكرته ليسجل اسماءهم .

قال « ليو » : لا يحق لك ان تسجل اسماءنا .

اجابه بمنتهى الهدوء : لو عرفت ماذا يحق لي ان افعل لتعجبت .

ولما احس « ليو » بيد « كارلا » على كتفه قال بصوت عال : « لا تخف ،

ان امسك بأذى » .

ونظر اليه الشرطي قائلا : « سمعت بانك قد هددت سائق سيارة اجرة قبل قليل » .

اجابته « كارلا » : « هذا غير صحيح ، الحقيقة ان السائق رفض نقلنا وابتعدنا عنه دون ان ننس بكلمة . وكاد صوتها ينقلب الى صراخ وهي تقول : « لم نقل كلمة واحدة على الرغم من قوله بأنه لا ينقل الطلاب » .

وحتى هذا الشرطي لم يستطع ان يتجاهل ان هذا الشاب قد طالب بحقه لاغير ، فتخلى عن « ليو » .

اعاد لـ « كارلا » و « ليو » هويتهما التف الى « مارسيل » :

« وهويتك » . ولما رأى جواز سفر مارسيل السويسري لين سلوكه وقال بأدب :

إن اردت ننقلك الى اقرب محطة اسعاف .

قال « مارسيل » : اريد ان تسجل في دفترك اسمي ايضا .

اجابه : « لاداعي الى ذلك » .

عند ذاك خطف « مارسيل » جواز سفره من يد الشرطي ثم ادار له ظهره وواصل سيره .

وفكر « ليو » ان تولية الرجل ظهره والانصراف عنه لم يكن خروجاً جيداً فحسب بل ايضا افضل تصرف دبلوماسي ، فمن يعلم ماذا كان ليحصل لو طال وقوفي في وجه هذا الشرطي . ولكنه مالبث ان اجاب نفسه :

« كلام فارغ ، ماكان يحصل شيء ، فاني فشار لاغير . وقد يعرفه « مارسيل » ، اجل ، اذا استطاع ان يلاحظ ماحدث حوله قبيل اصابته بالضربة ، فلا بد من ان يعرف الحقيقة . ولعله انصرف بهذه السرعة لانه احس بالحرج وهو يسمع مباحثاتي . تنني اباهي ولا شيء آخر .

اما « مارسيل » فبدا كأنه يفكر في موضوع مختلف تماما ، اذ انه - وهم مازالوا يسمعون سيارة الجيب تدور ثم تنصرف بصوت اشبه بلعنة غابت شيئا فشيئا في سواد الليل - تابع حديثه فقال :

لقد عارض « بوخارين » امكانية التنبؤ بسرعة التطور الاجتماعي . انه اراد ان يحول علم الاجتماع الى علم من العلوم الطبيعية . يجب ان تناقش هذه النقطة بالتفصيل . وعلى فكرة ، ان الاغلبية منا تحولت عنه لانه يقف موقفا شديدا الحذر مبالغا فيه ، بل يقول البعض انه متشائم . ولهذا السبب يوافقون على رأي « لوكاش » الذي أدرك تماما خطورة « بوخارين » وصرعه استنادا الى « لينين » . ان هناك ثوارا يحاولون تقديم البرهان انه لامخرج من الوضع . وهذا خطأ . فلا توجد أوضاع لامخرج منها بشكل مطلق .

هنا سأل « ليو » : اهذا ما عابه « لينين » على « بوخارين » ؟

□ يسوع ينفذ وتشكله (✉) □

كلا ، كل شيء الا هذا . ولكن « لوكاش » يروي هذا القول عن خطبة القاه « لينين » في مناسبة ملاءمة لها ب « بوخارين » . ولكنه رواه بذكاء . ان « لوكاش » عبثي في الاستفادة من الاقوال المأثورة .  
توقف فجأة وسأل :

اي « ليو » ، هل نحن في وضع لامخرج منه على الاطلاق ؟  
واجابه « ليو » : بالعكس ، يكفي ان تذكر كل الامور التي حركناها بمجرد بعض الشغب في الجامعات وبعض المظاهرات . اننا مازلنا في اول الطريق . .

جاء جوابه عفويا ولكنه أحس على الفور بأنه لم يكن صريحا تماما وكأنه لم يقصد الا تهديّة « مارسيل » ومع ذلك كان ماقاله رايه الحقيقي ولم يقله فقط ارضاء لـ « مارسيل » الذي بدأ يحف الدم على وجهه . قال « ليو » ليلهي رفيقه مع الموضوع وهو « بوخارين » سيرهم : لا تبالي في تعبير « لوكاش » ! فالواقع انه قد اجاد في بعض ماكتبه . هل تعرف مؤلفه « الرواية او الوصف » ؟

ولما اجابه « مارسيل » بالنفي اراد « ليو » ان يشرح له المحاسن في مؤلف « لوكاش » « الرواية او الوصف » ، ولكن « كارلا » قطعت حديثه بالسؤال :

« هل تعرفان حق المعرفة كيف مات « بوخارين » ؟ » .

واجابها « ليو » : « طبعا نعرفه : « ستالين » والمحاكمات الصورية الخ ... » .

قالت « كارلا » : « الفاظ ، مجرد الفاظ فارغة : « ستالين » والمحاكمات الصورية » .

« إذا تقصدين بهذا القول ؟ »

« إن » بوخارين « قد وصف نفسه أمام المحكمة إنساناً إجرامياً الطبع . ثم أنكر » تروتسكي « . وفي الصباح الذي نفذ فيه حكم الإعدام رمياً بالرصاص كان عليهم أن يسحبوه من زنزانته وهو كتلة لحم مولولة . توسل حتى إلى فرقة الإعدام لتبقي عليه حياته . »

قال « مارسيل » : ما أسخف هذا الكلام ! اقربي « ميرلو - بونتي » إن أردت أن تعرفي مجرى محاكمة « بوخارين » ! .  
فاجابته « كارلا » بعنف : « قد قرأته . »

بدأ « ليو » وهما يتنازعان يدفع حجراً أمامه في الشارع ، إذ أحس بالحاجة الملحة إلى فعل شيء ما . لقد أصبحت هذه الليلة تتحول إلى كارثة حقيقية . مضت برهة وهي يركض وراء الحجر يدفعه بقدمه ثم توقف وانتظر رفيقيه .  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قبل ما يقارب سنة وبعد فترة وجيزة من تعرفه على « كارلا » كان ذات يوم قد سألها : « ما السبب الحقيقي الذي دفع بك إلى الانضمام إلينا ؟ » وقد استطاعت أن تعدد الأسباب بوضوح تام : كان والدها جراحاً ورئيس مستشفى في « دويسبورغ » وأرادت « كارلا » هي الأخرى أن تصبح طبيبة مختصة في الجراحة . وكان في شبابه قد أمضى فترة قصيرة في معسكر اعتقال ، فلم يمت ابنه « كارلا » نظرية في المقاومة بدائية نوعاً ما ولكن فعالة . كان يقول لها : « في تلك الأيام خضعتا كلنا دون استثناء أمام السلطة مثل الكلاب فوقنا في الفخ كالارانب . ولم يخطر ببال أحد منا ، وأقول ذلك المرة تلو المرة ، إن أحداً منا لم يخطر بباله أنه من الممكن أن يستعمل العنف ضد العنف ، أحداً لم يقاوم مقاومة حقيقية والسلاح

بيده . وكان الرأي السائد انه ليس هناك من أمل . انت يا « كارلا » لست سوى فتاة ولكني اتضحك بأن تقفي دائماً الى جانب المقاومين في وجه الظلم . « وكان السيد الكبير - في الحقيقة لم يتجاوز الخمسينيات بعد - مخلصاً لمبادئه مهما كانت الظروف ، وكان يكتب لابنته رسائل تشف عن تعاطفه معها ، ولكنه علاوة على ذلك كان يناقش معها مسائل تكتيكية ليحميها من ارتكاب حماقة خالصة . وفكر « ليو » : « إن « كارلا » حالة واضحة فلها الانا الأعلى المتكامل اي والدها » . و « كارلا » ممن يعتمد عليها ، ويمكن الاعتماد عليها أكثر بكثير من كل هؤلاء الذين ينضمون إلينا لأنهم يرون أهلهم محدودي الأفق .

ما زالوا يسرون الى جانب السور ولكن على الجانب المقابل بميل الى اليسار ظهر الآن مبنى الجمعية الموسيقية - خيمة « شارون » الحجرية - الذي أعجب به « ليو » فلما رآه . وقد كان محاطاً بنسيج من الضوء الأبيض الذي حول السور الى سور عادي .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

قال « مارسيل » : « اعدراني ، إنني أحس بالحاجة الى الجلوس لحظة » . وجلس على الرصيف وإذ به « كارلا » تركع بجانبه قائلة : استلق على ظهرك وتنفس بعمق عدة مرات ! « فاستلقى على الأرض ووضعت « كارلا » ذراعها تحت رأسه . ولاحظ « ليو » جوربها وحذاءها المبتلة فقال لها : « والله يا « كارلا » ، سوف تمرضين » .

هزت براسها فقط وهي تراقب تنفسات « مارسيل » وقد رفعت رأسه حتى تمنع نزيف الجرح من جديد .

قام « ليو » يتمشى بغير هدف وأحس بالحرج لأنه لم يجد ما يفعله . مضت برهة وهو يمشي وإذ به يكتشف الكتابة على السور الذي أناره هنا الضوء الخافت الآتي من مبنى الجمعية الموسيقية . وهتف « ليو » : « يا بني آدم ، تعالا الى هنا ! » .

كان « مارسيل » قد عاد الى الجلوس وأسندته « كارلا » وهو يحاول الوقوف على رجليه . ثم اتجها الى حيث وقف « ليو » وقرؤوا معا الكتابة « يسوع كينغدو تشكه » المكتوبة على السور بالعلبشور الأحمر في سطر واحد وبأحرف كبيرة ، ولما لم يترك فراغ بين الأسماء الثلاثة أصبحت وكأنها اسم واحد .

وقال « ليو » بضحكة عالية : « أجل ، يوجد بيننا مجانيين ! » .  
وقف رفيقاه صامتين . وبعد فترة قصيرة قالت « كارلا » : « اسمع ،  
إنني لا أرى فيه ما يدل على جنون كبير » .

أما « مارسيل » فحدق بوجه عابس الى الأحرف ثم قال : « دعني  
وكل هؤلاء الرسل لعدم استخدام العنف ! » .

واعترض « ليو » : « مهلاً ! لا يجوز أن نجمع بين هؤلاء و «دوتشكه» .  
وقال « مارسيل » : « لا تأتوا بسلية » : «دوتشكه» الذي لا يتوقف  
عن الهذيان بالمسيرة الطويلة عبر المؤسسات العامة . وحتى الآن لم يزد  
على ذلك فكرة واحدة » .

كان « ليو » مستعداً ليناقد موضوع استخدام العنف وعدم  
استخدامه ولكن حين شرع يواصل سيره رأى سيارة أجرة واقفة على  
ساحة « كيمبر » قريباً من مبنى الجمعية الموسيقية فاندفع إليها بسرعة  
البرق .

في السيارة انهارت قوى « مارسيل » وارتكن في الزاوية مغمض  
العينين . جلس « ليو » على المقعد بجوار السائق . أدار جسمه بعض  
الشيء ومدّ ذراعه الى الوراء ، غير أن « كارلا » لم تمسك بيده وإنما قالت  
بصوت خافت : « لا ، ليس الآن » .



كانت حديقة الحيوانات مظلمة وبدا لهم كأنهم مارّون بمنطقة ريفية في الليل .

سحب « ليو » ذراعه واستقام في مقعده . وكانت هذه المرة الثانية التي يسحب ذراعه في هذا اليوم .

ومرة أخرى رأى الشرطي يقترب من « مارسيل » الذي استمرّ يلقي الحجارة بشكل منهجي عندما بدأ رجال الشرطة بالهجوم وفرّ الآخرون راكضين . فقد كان عين العقل أنهم هربوا وكانت حماقة كبيرة ارتكبوها « مارسيل » بوقوفه والاستمرار في إلقاء الحجارة . واندفع الشرطي الى « مارسيل » وهراوته مرفوعة . ولما كان على مقربة منه كان بوسع « ليو » الوقوف الى جانب « مارسيل » أن يشل بحركة بسيطة من يده رجل الشرطة . ما نكل ما وجب عليه أن يساعد المرفوع والمستعد للضرب ويدبره دوراً قصيراً وشديداً حتى تنخلع الذراع كله عن مفصل المنكب : ومما لا شك فيه أن الرجل كان سيتقلب على الأرض صارخاً من شدة الألم . ولكنه لم يقم بهذه الحركة . والواقع أنه مدّ ذراعه ولكن ببطء شديد وقد تعمد إبطاء الحركة وتأخيرها حتى انتهت فعلاً بعدم إصابة الشرطي ولكن بإمساك ذراع « مارسيل » الذي أصابته ضربة الشرطي . وقد أمسك بـ « مارسيل » بشدة ودفع به الى الورا وسحبه ثم حمله . والحق يقال إن رجال الشرطة لم يمنعوه عن عمله هذا . وقد تعود « ليو » على عدم هجومهم عليه إذ كاد طوله يبلغ المترين وجسمه القوي كان يشبه عملاقاً مرناً . إنه لم يكن ثور وإنما رياضياً نشيطاً متخصصاً في قذف الكرة . وكان المدرب يلح عليه أن يخفف من نشاطه السياسي وكان يقول إن « ليو » إذا ركز على قذف الكرة فإنه سيرتقي خلال سنة واحدة الى المرشحين للبطولة العالمية . كان شعره الأشقر

قصيراً ، وهذا بالإضافة الى شكل وجهه بفضل عضلات وجنتيه جعل معظم الناس يظنه اميركياً، في الوهلة الأولى .

سمع « كارلا » تقول : « ما اعظمك بوقوفك الى جانب « مارسيل » وتخليصه من المأزق الذي كان فيه ! » .

وتنفس « ليو » الصعداء ، فإنها لم تلاحظ إذن ماذا قد حصل فعلاً . وعلى العموم قد صح قولها إذ انه فعلاً بقي الى جانب « مارسيل » . أما في الأخير فقد ساوره الخوف . وكان خوفاً، فيزيائياً عادياً لم يذهب بقتله ولو لحظة واحدة بل كان خوفاً خالصاً، أحس به بكل جوارحه . كان قد قدر بمنتهى الدقة النتيجة التي كانت ستسفر عن تعجيزه المعتدي عليهم : على اقل تقدير كان خمسة رجال أو عشرة سينقضون عليه فيحطمونه هو و « مارسيل » أيضاً . والحقيقة أن إصابة رأس « مارسيل » بالضربة بسبب علم تدخله كانت أخف الضروبي . وقد مرّ تسلسل الأحداث كلها على ساحة وعينه . إن الذي حدث كان كامنغاً عن قذف الكرة وإسقاطها من راحة يده لتدحرجها في الرمل لأنه كان قد شعر باضطراب في نفسه أو لأنه لم يركز على رجله اليمنى بالقوة الكافية .

أخيراً ظهرت الأبراج المضاءة لحي العصابة الهنزية ثم نفق القطار السريع . وعندما توقفت السيارة أمام المستشفى كان على « كارلا » و « ليو » أن يبذلا جهداً لإقناع « مارسيل » بضرورة خروجه من السيارة . قال : « اتركاني أجلس هنا، ما أجمل هذا المكان؟ » عند ذاك ارتسم القلق الحقيقي على وجه « كارلا » .

كانت العيادة غرفة كادت تكون خالية من الأثاث ، الأمر الذي جعل « ليو » يفكر أن الحياة العملية هي التي حددت تجهيز مثل هذه الغرفة المكون من نقالة لفحص المريض وخزانة للأدوية وثلاثة كراسي . وجلس

« ليو » الى جانب « مارسيل » مستجيباً، الى طلب « كارلا » التي قالت له قبل خروجها من الغرفة : « اجلس الى جانبيه إذ انه قد يسقط » .  
 امعن الفكر والحالة هذه في الغرف الوظيفية المحضة . إن هذه النقالة وتلك خزانة الادوية لم تستدعيا في الذهن سوى انهما نقالة وخزانة للادوية .  
 هكذا — بمثل هذا الاثاث وهذه الغرفة — كان يتصور الفن المعماري —  
 اي مبانٍ وغرف تكشف بذاتها عن وظيفتها ولا تكون كالاصنام .

قال « مارسيل » وقد غاب عن وعيه الى درجة انه تكلم بالعامية :  
 « عم تلعي نفسي » . قال « تلعي » مشدداً على حرف العين الحلقى .  
 تطلع « ليو » فيه ورأى وجهه الشاحب .

والحمد لله ان « كارلا » قد رجعت ومعهما طبيب . وعلى الرغم من انها لم تغب إلا بعض الدقائق فانها تبكت من تغيير منظرها تغييراً كاملاً .  
 فالآن ليست معطفاً ابيض وحذاء رياضياً كما انها استطاعت ان تجفف شعرها وتمشطه وبالإضافة الى ذلك قد حصلت على الطبيب .

كان الطبيب طويل القامة نحيف الجسم ونتيجة ذلك كان منحنيًا، بعض الشيء . وكان رجلاً يناهز الأربعين من عمره . اتجه مباشرة الى « مارسيل » ودون ان يسأل اي سؤال نظر الى الجرح ثم تلمسه مراقباً ردود فعل « مارسيل » . وكان انطباع « ليو » ان الطبيب استلطف « مارسيل » . والحق ان « مارسيل » كان محبوباً، عند الجميع . على الرغم من إقامته في برلين منذ سنة فما زال منظره وكأنه خارج من المقهى « اوديون » في زوريخ . ورغم لحيته التي تركها تطول منقوشة ومع انه قد بدل من جهد ما بدل في إهمال نفسه فقد كان ذا جمال مؤثر . وحتى في هذه اللحظة كان له وجه كأنه مرسوم من « تشيلستينو بياتي » ، اي صورة الوجه الدامي لشاب شاحب اللون ذي نظرة متوهجة على غلاف

كتاب . ولكن « مارسيل » كان كل شيء ما عدا نموذجاً للفنون الرفيعة ، وإنما كان مناضلاً صغيراً له منهجه وكان شديد العناد ، مثله مثل الرجل السويسري الذي جرح حاسته بالعدالة .

لقد تعارفا في كلية الهندسة في الخريف الماضي في الوقت الذي كان « ليو » فيه يكتب موضوع امتحانه عن تاريخ الفن المعماري ، وقد جمع في المكان الذي كان يدرس فيه من الكتب ما كان يشكل مكتبة صغيرة . كان « مارسيل » لا يظهر قبل الساعة الحادية عشرة أو الثانية عشرة . ولما جاء كان يجلس على المقعد غير المشغول والمجاور لمقعد « ليو » سواء الى جانبه اليمين أو اليسار . وكان يقرأ الجرائد ومن حين لآخر كان يكتب شيئاً على ورقة .

و ذات يوم خاطب « ليو » قائلا : « المئذنة إذا كنت ازعجتك ، ولكني - لو سمحت - أريد منك عن معنى كلمة » إنسولاي « . وقد أشار الى صفحة العنوان لموضوع البحث الذي قام به « ليو » . كان إذا مجرد فضول دفع به الى الجلوس بجوار « ليو » ، وقد اعترف بذلك فقال : « إن هذه الكلمة أصبحت تلاحقني منذ اليوم الذي قرأتها فيه عندك . هل تكتب موضوعاً عن الجزر ؟ » (١) وأجابه « ليو » : « كلا ، ان كلمة » إنسولاي « تعني المساكن الشعبية في روما القديمة » .

« إنها تسمية غريبة لمبانيات » .

وأضاف « ليو » مفسراً : « كانت » الإنسولاي « المساكن الكبيرة الأولى . وكانوا يفصلون بين هذه المباني بالشوارع والمساحات غير المبنية سهلاً لمراقبة العامة » التي كانت تسكن فيها . وقد شيدت أكبر

(١) كلمة « إنسولا » لاتينية وتعني الجزيرة .

« الإنسولاي » في عصر « نيرون » . واليوم اقتربنا من اليقين ان سبب الحريق الذي اشعله « نيرون » كان رغبة في التخلص من احياء الفقراء المحيطة بميدان روما لانها قد تطورت الى ما يشبه الادغال التي حالت دون مراقبتها .

تحدثا بصوت هامس تبعاً للتعليمات الخاصة بالمكتبة .

وسال « مارسيل » : « هل زرت روما ؟ »

واجابه « ليو » : « أجل ، لقد كنت هناك طوال الصيف إذ حصلت على منحة من إيطاليا لتحقيق هذه الدراسة » .

ولما اعجب بـ « مارسيل » كما اعجب به الجميع سأل : « وماذا تعمل انت ؟ » وأشار - وربما بشيء من الاستهانة - الى الجريدة في يد « مارسيل » . ناوله « مارسيل » قصاصة ورق وهو يقول :  
« انظر ، هذا هو اليوم الذي تم فيه عدد وحيد » .

اخذ « ليو » قصاصة الورق وقرا في دهشة الكلمات التي كان كتبها « مارسيل » بخط مستقيم وواضح بإهمال قسم الاحرف الأسفل . وكانت الكلمات التالية : « تنابلة - متسكعون - مشاغبون - غوغاء - اساليب كئاب الدفاع النازية - مراهق مشاغب ومتطرف - محرضون - خيالون سياسيون - بلطجة سياسية - متحدثون - مراهقون مجائين - إرهاب - أعمال العنف - مجرمون » . وبعد فراغ بسيط كان أضاف إليها الكلمات التالية : « المستقيمون - الصلابة - المنطق » .

وقال « مارسيل » هامساً : « إنني أقوم بدراسة لغوية واجتماعية حول الحث على القتل . والعنوان : « قبل الإضطهاد - طريقة إنشاء احياء اليهود بواسطة اللغة » .

حديق « ليو » في قصاصة الورق ثم سال : « امتشائم انت الى هذه الدرجة ؟ » ورد عليه « مارسيل » : « وانت ، الست متشائمًا ؟ » ثم اضاف مشيراً الى قصاصة الورق : « هذا سيؤدي الى القتل بالتأكيد » .

ترك الطبيب « مارسيل » وهز كتفيه قائلاً : « على كل حال يجب ان نصوره » . فطلب من « ليو » ان يساعد « مارسيل » في خلع ملابسه ثم التفت الى « كارلا » قائلاً : « قبل كل شيء علينا ان نطهر الجرح . واثناء ذلك ساناكد من خلو غرفة العمليات رقم اثنان » .

بعد خروج الطبيب قالت « كارلا » ملتفتة الى « مارسيل » : ستجري العملية وانت تحت تخدير نصفي ، فلن تحس بشيء . بدأ « مارسيل » غير مكترث لما جرى حوله ، بفضل نعمة الدفاء وتحت الضوء الرمادي الساطع سمح لهما غير مبال بخلع ملابسه ولكنه ذهب وحده وهو في ثيابه الداخلية الى سرير الكشف واستلقى عليه . ودلّ رقيقاه رقة جسمه ونحافته .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

اقتربت « كارلا » منه بغطاء صوف وبسطته عليه .

وسأله « ليو » بصوت منخفض : « هل يعني هذا انه اصيب باكثر من صدع ؟ »

وقالت « كارلا » : « في مثل هذه الحالات يحتمل دائماً وجود كسر » .

هزت راسها استياءً عندما قال لها : « ما اجملك في معطفك الأبيض ! »

عاد الطبيب معلناً ان غرفة العمليات ستكون جاهزة بعد عشر دقائق .

ومرّة ثانية جالس نبض « مارسيل » ثم جلس على احد الكراسي ، والظاهر انه كان متعباً .

وفجأة سمعوه وهو يقول : « ما بالكُم تمدّون ايديكم الى ملبس الثورة بدلاً من أن تبحثوا عن خبز الإصلاح ؟ ! »

اوشك « ليو » ان يجيبه جواباً ، حاداً ، ولكنه ردع نفسه كي لا يسبب لـ « كارلا » إزعاجاً . فقد تكون مضطرة ان تحافظ على علاقات طيبة مع رجل الطب هذا . وجلس « ليو » على حافة النافذة لأنها كانت المكان الأكثر عتمة . في هذه الغرفة الطبية أخرجته طوله الفائق وضخامة جسمه . وكانت « كارلا » هي التي أجابت بلا تردد : « إننا لم نعد على استعداد لناكل قذارة هذا المجتمع » .

والقى « ليو » بنظره الى الطبيب : « ترى ، هل سيمبر عن غضبه او اشمزازه ؟ » ولكن الظاهر انه تعود على ان البنات اللواتي احطن انفسهن بهالة رومانتيكية بالشعر المسترسل القائم اللون والوجوه الشاحبة لم يترددن عن التفوه بعبارات مقدعة . وبدأ كأنه انسحب الى حالته السابقة من الإغواء .

اما بعد قليل فقد عاد يقول : « مجتمع : ليس بأهمية في اي مجتمع تعيش ، وإنما الذي يهمنا في النظام الاجتماعي هو استقامة الرأس الذي يتولى تنظيمه أو عدم استقامته » .

قالت « كارلا » : « يا خبر » !

وتدخل « ليو » قائلاً : « هل أفهم من ذلك انه يكفي ان تكلف بعض الناس الطبيبين بالقيادة فيكون لنا مجتمع رأسمالي سليم ؟ أتؤمن فعلاً بمثل هذا ؟ »

ورد عليه الطبيب : « او مجتمع شيوعي سليم . أجل ، هذا ما أراه فعلاً » . قال « ليو » : « إنها نظرية النخبة التي لا تصلح لشيء . مجرد كلام له وقع حسن في السمع مثل كل هذه الألفاظ الطنانة القائلة بالحرية الفردية ، ولكن ... » .

في هذه اللحظة دخلت ممرضة وقطعت كلامه بالخبر أن غرفة العمليات جاهزة . فقامت هي بمساعدة « كارلا » بدفع النقالة التي كان « مارسيل » مستلقياً عليها خارج الغرفة . وابتسم الطبيب لـ « ليو » بأدب قبل أن يلحق بالآخرين . وعندئذ تأسف « ليو » أنه قد رماه بعبارة « الفاظ طنانة » .

ما زال والده مستيقظاً حينما عاد « ليو » إلى البيت . كان يسكن مع والده في أحد البيوت المتلاصقة المتشابهة في « لاتكفيتس » . أما أمه فقد ماتت ساعة ولادته . كان والده بين سنتي ١٩٣٣ و ١٩٤٥ سجيناً في معسكر اعتقال ولما خرج منه لم يعرف خيراً من تحبيل زوجته فتوفيت المرأة التي قد أعيتها الحرب وطول الانتظار بسبب متاعب الولادة . وأحياناً قال والد « ليو » : « لو واثك أمك اليوم وطول قامتك ! » أما هو نفسه فكان أقرب منه إلى القهر والنحافة . كان في الخامسة والستين من عمره وقد أوحى منظره بأنه « ليو » كان لا يزال اشتغل ميكانيكياً في مصنع « سمينس » وقبل ثلاث سنوات أحالوه على المعاش وهو في مرتبة معلم . وقد صرف المال الذي حصل عليه تعويضاً عن السنوات التي قضاه في معسكر الاعتقال على دراسة « ليو » الجامعية ؛ هذا بالإضافة إلى المائة والثمانين ماركا المانياً، الوارد من صندوق برلين الذي كان يغطي المصاريف فقط .

وذات مرة قال « ليو » لوالده : « سوف أعوضك عن الاثنتي عشرة سنة التي قضيتها في « اورانيا نبورغ » (١) . » في البيت ومع والده كان يتكلم بلهجة برلين . ورد عليه والده : « اترك هذا الموضوع ولا تفكر فيه . لقد وقع المحذور » .

(١) اورانيا نبورغ : من أكبر معسكرات الاعتقال في ألمانيا بين ١٩٣٣-١٩٥١ (الترجمة) .



اما بينه وبين نفسه فكان غير مقتنع بوجوب وقع الواقعة . إن الحقيقة انه كان في سنة ١٩٣٣ عضواً في الحزب الشيوعي الألماني في إدارة الحي « فدينغ » وقد كلفته اثنتي عشرة سنة من عمره . وكان يلخص موقفه من الحزب في الجملة الآتية : « نظرياً ، كان الحزب دائماً عظيماً . » ثم اضاف الى ذلك : « إن التنبؤ ، بحدوث الامور لا يكفي على الدوام . »  
الح على ان يصف له « ليو » بالتفصيل المظاهرة امام وكالة الانباء ، هز براسه هزة معبرة عن الاستحسان فقال :

« لا بأس بما تحققون هكذا ببساطة وبغير منظمة ولا حزب ! »

جلسا في المطبخ و « ليو » الذي لم يأكل شيئاً منذ العصر أكل قطعة خبز عليها شريحة من السجق وشرب كأساً من البيرة .

وتابع ابوه : يا للعجب ، كم مرة كنا نعيد النظر في كل امر قبل الاقدام على تنفيذه .  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كان يدخن غليوناً مقوساً وقد اخرج منه سحابة من الدخان وهو يقول :

« لست ادري اذا كان في مصاحتكم انكم قليلاً ما تفكرون . واعتقد انكم لا تعرفون عدوكم حق المعرفة . من المؤكد ان هذا « رودى دوتشكه » لم يعرفه » .

لاحظ « ليو » الانفعال الشديد الذي هز بدن والده وهو يتذكر ايامه في معسكر الاعتقال ، فقال له :

« يا ابي ، هذا لا ينفع شيئاً . وعلى كل حال يجب ان نمر وحدنا بتجاربنا » . بعد ان هذا والده رد عليه : « يا ابني ، اني اعرف ذلك ، ولكنني متأكد من هزيمتكم في الوقت الحاضر » .

كان « ليو » لا يشعر بالرغبة في حديث حول النصر أو الهزيمة ، لان ما قاله والده قبل قليل قد حمله الى فكرة جديدة ، وهي انه اذا كان هناك حزب ثوري كبير يتروى هذا التروى المبالغ فيه قبل الاقدام على عمل ما لعله يستطيع ان يسدح لنفسه بالتفكير في العواقب وباختيار اخف الضررين بدل ان يضرب ضربات عشوائية لمجرد كون صديق له في حالة خطر .

ولكن وبطبيعة الحال قد غيرت امثال وجهات النظر هذه كل شيء ، ولا بد من ان يطرح على « مارسيل » هذه المسألة . قال لنفسه : « غدا بعد ان اتأكد من عدم اصابة « مارسيل » بكسر سوف اذهب اليه واكشف له انه كان بيدي ان ادفع عنه الضربة » . فبدأ يتصور كيف سيكون رد فعل « مارسيل » . ربما سيقول : « ولا يهمك » ، ففي كل معركة تفسير الاوضاع الذاتية .

وسوف يحاول « ليو » ان يشرح له الامر بكل ما عنده من صبر . وقد سمع نفسه وهو يقول : « لقد كنا ثوريين الخوف من العنف ، وفي هذه الحال لا نستطيع ان اؤيد ان الآخرين يستعملون ذلك العنف الذي افنقر أنا بالذات الى الشجاعة لاستعماله . وكذلك لم يعد بوسعي ان انضم الى هؤلاء الذين تسميهم رسل عدم استعمال العنف - أي ان يكون المرء لطيفا لانه جبان : اذا هذا مرفوض ! »

تري ، بماذا يمكن لـ « مارسيل » ان يعارض هذا الراي ؟ ولكن لم يجد « ليو » حججا قاطعة يمكن ان يضعها على لسان « مارسيل » . طبعاً ، سوف يلقي « مارسيل » محاضرة منهجية حول أهمية العنف الموضوعية وحول افساد طريقة التفكير الثوري بواسطة علم النفس . وسيقول كل هذا ليس مواساة لصديقه وليخلصه من الموقف الحرج الذي هو فيه ، وانما لانه كان فعلاً يؤمن بقوة المعرفة الموضوعية وانه لا أهمية للضعف

الشخصي بالقياس إليها . فماذا تعني لحظة واحدة من الفشل في تاريخ الثورة الطويل ؟ لا شيء .

وأخيرا سيأتي بأقوال مأثورة لـ « ميرلو - بونتي » وسيقول على سبيل المثال :

« ان الثائر النشوان بثوريته فمنشؤه مصنع اللوحات الفنية في مدينة « إينال » (١) » .

بعد انصراف والده للنوم اتصل « ليو » هاتفيا بالمستشفى . ومر من الوقت ما بدا له دهرا حتى سمع صوت « كارلا » في السماعة تقول له :  
« ان حالة « مارسيل » على ما يرام ولم يصب بكسر . وكله يومان او ثلاثة أيام حتى يخرج من المستشفى » .

ثم أعلمته بمواعيد الزيارة وكان يحس أنها توقعته ان يتفق معها على شيء ، فقد زالت عنها البرودة السابقة .  
بعد اعادته السماعة تذكر انه ما زال يحتاج الى بعض المعلومات لموضوعه « الانسولاي » . فكانت هناك بعض العمارات في « اوستيا » التي لم يدرسها بعد . ولا شك في ان والده سيعطيه المال لمصاريف السفر وعلى كل حال لم يكن بحاجة الى الكثير .

(١) إينال : عاصمة محافظة الفوج ( فرنسا ) اشتهرت بمصنع لوحات . ( الترجمة )

من كتاب : « دفاع عن المستقبل » قصص ألمانية ، أصدره « مارسيل رايج رانيكي » ، ميونخ ، دار النشر لكتب الجيب ، ١٩٨٦ ، ص ٣٩٣ - ٤٠٨ .

# يَوْمَ الْأَحَدِ فِي بَيْتِ آلِ كَرِيسَانْد

تأليف: غابرييله فوهمان  
ترجمة: إريسا داوود



ARCHIVE

كان يوم الأحد وهو عادة يوم مزيج في بيت آل « كرايساند » أو يوم سعادة صافية كما تقول السيدة « كرايساند » . وكان الطقس بالنسبة لها يلعب دورا لا يخلو من الأهمية ، وكانت تفضل في يوم الأحد ان يميل الطقس الى الغسق . وفرت هذا الميل الى الظلمة لنفسها ولزوجها « ارتور » بما كانت تعانيه من النزعات التي فرضت عليها في طفولتها والتي كانت تصاب فيها برعاف أو بعضة لجورها الأبيض الذي كانت تلبسها غصبا عنها من كلب إوليسي . ومنذ تلك الأيام كانت تحب السماء المتلبدة بالغيوم وهطول المطر . أما « ارتور » فكان لا يكتثر للطقس ، وكان طبعه بشكل عام يختلف عن طبع زوجته « ميلي » . ليس « ميلي » اسمها الحقيقي وإنما تسمى « إليزابيت » وهي نفسها راضية بهذا الاسم . إن « ارتور » وحده كان يسميها « ميلي » منذ حوالي أربع سنوات ولا يعدل عن ذلك . وفي الوقت الأخير كتبت السيدة « كرايساند »

□ يوم الاحد في بيت آل « كرايساند » □

عن مجادلته في هذا الامر الذي كان يهمها جدا في السابق . لقد خجلها « ارتور » بقوله انها لاتجيز له الحق في التعبير عن عواطفه ولو مرة واحدة . أفلم تذكر انه سماها « ميلي » مازحا في ليلتهما الاولى ؟ وابن اذا الغرابة ؟ ان الحقيقة ان السيدة « كرايساند » لم تذكر شيئا من هذا القبيل ولكنها لم تعترف بنسيانها . وعلى كل حال فقد كانت تتناسى ذكرياتها غير المريحة كما في هذه الحالة . على الرغم من ذلك اسعدها إلحاحه بعد كل هذه السنين على استعادة لحظات لاشك في انها كانت جميلة بالنسبة له . لذلك لم تعد تعارض تعلقه باسم « ميلي » بما فيه من غموض مغمم بالحب والحنان . وكانت تقول لأقربائها المحتجين على تغيير الاسم هذا : هكذا خطر ببالي . ورجاء لاتطلبوا مني ان أبوح بالسبب الذي دفع به الى ذلك ، لانه من الامور الخاصة جدا . — بالمناسبة . لم يعد لـ « ارتور » اقرباء . وهو امر تحسده عليه « إليزابيت » ، ومع ان جميع اقربائها يتلون يقفون في صفها ضد « ارتور » فيبدونها وضعه افضل من وضعها .

مايربح يوم الاحد هذا . بعد الفطور الذي تناوله بكل هدوء خطرت لـ « ارتور » فكرة رائعة بان يقوموا بنزهة صغيرة في السيارة . كانت « إليزابيت » تحب الرحلات بالسيارة مع « ارتور » ، ولا سيما والطقس مائل الى الفسق . والحق انها احست بشيء من تائب الضمير بسبب « إلفريده » احدى صديقاتها التي اخبرتها باحتمال زيارتها ، ولكنها كانت عادة لاتتقيد بمواعيدها ، وعلى كل حال كانت كتبت « ربما . . . ولدى مروري . . » . وقال « ارتور » بطريقته اللطيفة وبصوته الحنون الذي لم يتكلم به الا في يوم الاحد ولكن ليس في كل يوم احد : « كلام

فارغ يا « ميلي » . اذا ارادت ان تزورنا فلتعطنا خبرا قطعيا . وكانت لفظة « قطعي » من الفاظ « ارتور » المفضلة . ثم اضاف مبتسما : « لانتفلي بالك يا « ميلي » . وجد ان الفكرة بتسميتها « ميلي » كانت فكرة عبقرية . فكلما خاطب زوجته استطاع ان يفكر بـ « ميلي بخشتاين » ، وما اكثر هذه الفرص الخفية مع انها اصبحت خالية من مضمونها مع مرور الايام . ولو ، المهم انه مازال يشعر بشيء من الانفعال في كل مرة . وقال لزوجته « إليزابيت » : حضري نفسك يا « ميلي » .

وهكذا انطلقا بالسيارة . منذ شهر واحد يملكان سيارة جديدة وهي اكبر السيارات التي كانت لهما حتى الآن . وقد وعدا ابوي « إليزابيت » بقضاء العطلة الصيفية معا وبرحلة على امتداد الشاطئ البلجيكي تتخللها استراحات قصيرة ، اذ ان والد « إليزابيت » كان قد اقام هناك قبل خمس واربعين سنة ، والآن كان يتطلع الى زيارة فندق معين في مدينة « دويان » مع زوجته . سوف يسرون في سيارة آل « كرايساند » الكبيرة على طول امتداد الشاطئ والبحر على جانبهم اليمين . وحسب الخطة ستجلس والدة « إليزابيت » عند الطرف اليمين حيث البحر لانه لم يسبق لها ان رأت البحر . وسوف يجلس زوجها على اليسار حتى يشاهد مرة اخرى الاماكن التي كان فيها في الماضي . وكان والدا « إليزابيت » يتطلعان الى هذه العطلة بينما كانت « إليزابيت » قد اتصلت قبل وقت وجيز عن طريق الهاتف باحدى معارفها المقيمة في سويسرا مستفسرة عن بيتها الصغير في منطقة « التسين » وعن إمكانية استئجارهما هي و « ارتور » هذا البيت لمدة ثلاثة اسابيع . ولحسن الحظ تم الاتفاق على ذلك . وفي الاخير عبرت « إليزابيت » عن طلب بسيط

□ يوم الأحد في بيت ال « كرايساند » □

وهو أن تؤكد معرفتها هذا الاتفاق الهائفي في رسالة على شكل دعوة تكون نصها بما معناه : « صديقي العزيزين ، لا يمكن أن ترفضا الدعوة الى زيارة مكان يستحق ان يسمى فردوسا على كرة الارض ، أي ان تقضيا ثلاثة اسابيع في شقتنا المريحة لشخصين . . . » وما اشبه ذلك . والحق ان صديقتها استغربت هذا الطلب ولكنها اقتنعت بضرورة هذا الاجراء لما قالت لها « إليزابيت » عن طبع « ارتور » الذي يشق عليه الفراق عن بيته وعمله . في هذه النقطة الاخيرة بالذات كانت - والحق يقال - غير صادقة ، اذ ان « ارتور » كان يحب إجازته السنوية قبل كل شيء آخر كما انه كان يرحب بكل يوم عيد . وكذلك كان يقف موقفا إيجابيا من الحوادث التي حدثت اثناء العمل والتقارير الطبية والإجازات الاستثنائية . اما المشكلة الحقيقية التي كانت تواجهها « إليزابيت » فكانت في صعوبة تربيته مما خلق له ، لاسيما في هذه الشديدة الى الامور القاطعة . وبالإضافة الى ذلك كان عليه ان يتألف فعلا على خيبة امل والدي زوجته . ولكن من ناحية اخرى سيحافظ على سلامة السيارة التي كانت تهمة . وفيما بعد اصبح يفكر مرتاح البال في تغيير الوضع ويتطلع الى اجازتهما في « التسين » . لم يخبرا والدي « إليزابيت » بعد على الرغم من وصول الرسالة المطلوبة للتسوية . وكانت « إليزابيت » تعلم تماما انه كلما تأخرت عن إخبار والديها ازدادت الضربة بالنسبة لهما شدة . ترى ، بماذا تبرى نفسها وهي تناقش الامر بينها وبين نفسها ؟ وما اكثرها تلك المرات التي تحاسب فيها نفسها مما يدل على ان قلبها ليس قاسيا على الإطلاق ، حتى يقول « ارتور » في بعض الاحيان : « كفاية ! » ويقصد بهذه العبارة حياة « إليزابيت » النفسية . ومن بين مسوغاتها القول بشعور غريب بشيء

يضغط على خاصرتها اليسرى وعندما تفحص موضع الألم يخيل اليها ان هناك شيئا صلبا ولكن ليس دائما . ومرة اكتشفت وجود نقطة على عضدها اليمين . انها بحاجة الى الراحة حسب رأيها . ومن يعلم ، قد تكون هذه الظاهرة خطيرة . وكذلك كانت تشعر في الوقت الاخير ان اعصابها ليست على مايرام . وكل هذا كان يؤكد حقها على ان ترحم نفسها من المناوشات المستمرة بين والدتها وزوجها . ثم وبفض النظر عما كان يخصها فقد كانت تشك في فائدة تغير المناخ لوالديها الكبيرين . كيف مثلا سيكون رد فعل قلب والدتها المتعب على هذا المزيد من الأوكسيجين الموجود في جو البحر الذي لا يقال عنه عبثا إنه مناخ مؤثر . اما ما يخص والدها فقد جنبته الهم على عدم وجود أي شيء من ماضيه في الحاضر . وعلى الرغم من ذلك فلن تشعر « إليزابيت » في هذه العطلة الصيفية في « التسين » براحة تامة . سوف تنسى الودائع بمجموعاتهم من الخرائط الجغرافية ومشورات المصائف الواقعة على شاطئ البحر ، وسيرسم لهما « بيرنهارد » مخططا لمدينة صغيرة ، اذ لاشك فيه انهما سيدعوانه اليهما الابن الصغير لـ « سوسن » أخت « إليزابيت » .

كان « بيرنهارد » واقفا تحت مظلة باب البيت يلوح بيده توديعا للزوجين « كرايساند » المتبعدين بسيارتهما . وكان المطر يهطل ولكنه لم يصب « بيرنهارد » الواقف تحت المظلة . وفي المساء مازالت « إليزابيت » ترى امامها مشهد الوداع هذا القصير . سمح لـ « بيرنهارد » بقضاء الايام الاربعة الاخيرة التي بقيت من عطلة الربيع في بيت آل « كرايساند » أي مع خاله وخالته . لم تتحمس « إليزابيت » لاقتراح اختها هذا قائلة بينها وبين نفسها : « لا ارى الجانب المفري في ذلك . » ولذلك



□ يوم الأحد في بيت آل « كراساند » □

قالت لاختها : ليس لدينا أولاد . أفنن يشعر عندنا بالملل ؟ وأجابتها « سوسن » : إنك تعلمين أنه يجب أن يكون مع الكبار ، وبالإضافة إلى ذلك لديكما هذه الحديقة الجميلة والبركة فيها . صدقيني سيكون راضيا عندكما .

كانت هذه الأفكار تشغل « إليزابيت » في يوم الأحد الممتع هذا وهي و « أرتور » منطلقان بالسيارة . لم يكن « أرتور » جافا مع الأطفال ولكنه من ناحية أخرى لم يكن مولعا بهم . لذلك فضلت عدم السؤال عن رايه في اصطحاب « بيرنهارد » في هذه الرحلة . وقد لا يتحمل السير بالسيارة . غير أنها قد تكون مخطئة في هذا الافتراض خالطة بينه وبين الصغير « هيرمان » ابن أخيها « تيو » . ربما كان هذا الأخير هو الذي كاد يتقيا ذات مرة في سيارة آل « كراساند » وفترض كساء المقاعد للخطر . وهكذا بقي « بيرنهارد » في البيت ، والحق أنه لصالح الأطفال أن يضطروا من حين إلى آخر إلى التسلية بالاعتماد على أنفسهم . وعلى كل حال قد وضعنا ثقتهما فيه بتركه وحده مع تحفهما النفسية الموضوعة على الترابيزات وعتبات المدفأة والنوافذ ، وبينها بعض القطع الثمينة التي لا يستطيع الطفل بعد تقدير قيمتها ، وما أسهل إفساد الشيء الذي لا يمكن التعويض عنه . لذلك رأت « إليزابيت » أنه من المفيد أن تشغل « بيرنهارد » بعمل ما حتى لاتعطيه فرصة لارتكاب حماقة ما ، كان يلعب بالالواني الفخارية الآشورية أو يمس الرموز المقدسة . لقد قرأت مرّة أن الطفل يتوق إلى تحمل المسؤولية وذلك في مقالة عنوانها « المعالجة عن طريق العمل » ، ولحسن الحظ تذكرت « إليزابيت » هذا الموضوع قبيل انطلاقها مع « أرتور » . فطلبت من « بيرنهارد » تنظيف المستودع

□ يوم الاحد في بيت آل « كرايساند » □

في القبو وترتيبه علما بأن « بيرنهارد » منظم صغير ومتفنن حقيقي . في المساء كان الزوجين « كرايساند » جالسين بمنتهى الراحة في غرفة جلوسهما الجميلة والانيقة . وما اريح يوم الاحد هذا . اما النبيذ الذي كانا يتلذذان به فلم يتصف بطعم جيد فحسب بل هو ايضا نبيذ من محصول نادر يفيدهما صحة . كان النبيذ مأخوذا من مخزن والد « إليزابيت » ، لأن « آرتور » لا يملك الوسائل الكافية لإنشاء مخزن خمور . فلا يمكن ان يملك الانسان كل شيء كهواية جمع التوادد والانفاق على مخزن خمور مثلا . ومقابل زيارتهما هذين العجوزين باخلاص ومجبة كل اسبوعين تقريبا - في يوم الاربعاء على الغالب بعد تأكدهما من تفاهة برنامج التلفزيون في ذلك اليوم - اي مقابل هذه التضحية للأقرباء بساعة ونصف الي ساعتين كانا يأخذان النبيذ خلسة وهي مخالفة صغيرة تعويضاً عن تضحيتهما . وبينما كانت « إليزابيت » تجلس عند والديها حتى لحظة الوداع والانصراف كان « آرتور » يخرج من الغرفة قبل ذلك ولا يستغرب احد غيابه الطويل . وقبل عودته الى الجماعة كان « آرتور » يحرك سيفنون المرحاض غير ان جهده لم يتوج بالنجاح هناك وانما في مخزن الخمور .

كان المطر ينهمر على أوراق الاشجار ولذلك شغل آل « كرايساند » المدفأة بعض الوقت . اما « بيرنهارد » فكان في سريره منذ مدة طويلة . كان قد رتب القبو على اكمل وجه وسمح له بطلب مكافأة . وللأسف انار ماطلبه بعض الزعل . أراد ان يشاهد برنامجا معيناً في التلفزيون . ولكن من آراء آل « كرايساند » ان التلفزيون مضر للأطفال . بالاضافة الى ذلك فقد يسيء الى العيون ، على الاقل الى عيني « بيرنهارد » الذي كان

□ يوم الأحد في بيت آل « كرايساند » □

بحاجة الى النظارة على كل حال . وسأله « أرتور » : هل تريد فعلا ان تزيد زوجة نظارتك سمكة ؟ انه لمنظر قبيح واسمع كلامي . برأي « إليزابيت » كانت هذه الملاحظة قليلة الدوق ، وحصل « بيرنهارد » على علبه شوكلاتة مكافاة لترتيبه القبو . وقد اشترى آل « كرايساند » قبل هذه الزيارة الممتدة الى اربعة ايام علبتين من الشوكلاتة اذ في نهاية الامر كانا يعملان حسابهما لمثل هذا المزيد من المصاريف الصغيرة . وسوف ينال « بيرنهارد » العلبه الثانية ساعة الوداع امام عيني امه .

ملا « أرتور » الكاسين من جديد . كانت « إلفريده » الصديقة قد جاءت فعلا كما اخبرهما « بيرنهارد » . لم يبدأ الفيلم الذي احب « بيرنهارد » مشاهدته إلا بعد ثلاثة ارباع الساعة . فتح آل « كرايساند » الجهاز قبل ذلك . انهما يجان ان ينجلي كل شيء كما اعتادا عليه . فمثلا لا يمتنع « أرتور » عن التجشأ بين الحين والآخر لأنه يفيد صحته نظرا الى الامساك الذي كان يعاني منه . وتحب « إليزابيت » ان تخلع حذاءها مثلا . انها امور صغيرة ولكنها مجتمعة ذات وزن . ويحب الزوجان الانفراد معا وكلاهما اعتاد الآخر ، وخلال الثماني عشرة سنه لم يحدث بينهما اكثر من امرين كانا موضع خلاف شديد بينهما . اما القصص مثل قصة « ميلي بخشتاين » فلم تنكشف على الإطلاق ، ولو عددا كل هذه التوافه التي بقيت قيد الكتمان لو صلا الى مجموعة لابأس بها . قالت « إليزابيت » لنفسها : « ما طيب هذه الراحة ! » في تلك الاثناء أصبحت ثملة بعض الشيء ولكنها مرتاحة لهذه الحالة . منذ خلو حياتها تقريبا من كل ما يشير الانفعال كادت ترتاح لكل شيء .

وعلاوة على ذلك فسوف تتناول في وقت متأخر كأس خليط من الحليب والمسل مع ملعقة من الطرون وهو جرعتها المنومة . كانت تفكر

في المشهد الصغير والقبيح الذي شهده الحمام قبل قليل . انها انسانة  
لينة عادة اي انسانة لها حياة نفسية ، ولكن أحيانا تساورها رغبة لاتقاوم  
في ان تضرب . قالت لـ « ارتور » : غدا سأعلم الوالدين نهائيا . وسأل  
« ارتور » الذي كان يفكر بمكتب البريد رقم ٤ وكان شارد الدهن  
بعض الشيء منذ تفكيره بوجود ذهابه الى ذلك المكتب في اليوم التالي :  
« ماذا ستعلمينهما ؟ » وأجابته « إليزابيت » : سأعلمهما تغيير خطة  
العطلة الصيفية . وبينما كانت تفكر في ان الحزن قد يكون شعورا طيبا  
في بعض الاحيان وان هذا النبذ فعلا نبذ جيد قالت : مسكينان هذان  
الابوان الصغيران . في الحقيقة لاهمية لقضية العطلة الصيفية وانما  
المار في انتقالهما القريب الى ذلك البيت الصغير جدا . يتسع بيت  
آل « كرايساند » -والحق يقال - لشخصين آخرين ، ولكن قرب العيش  
مع الاقرباء امر غير مستحسن والزواج لا يافسان فيه . قرعت  
« إليزابيت » الكاس لـ « ارتور » وشربت نخبته ثم سألت : « مارايك؟ »  
وأجابها انه يحاول متابعة برنامج التلفزيون - لعبة سؤال وجواب -  
غير انه في الحقيقة كان يفكر في الرسالة السماوية اللون التي سيستلمها  
في اليوم التالي اثناء استراحة الظهر في مكتب البريد النظيف رقم ٤ ،  
هذا المكتب البعيد المنعزل الذي لن تراه زوجته ابدا ، او ... عادت  
« إليزابيت » بأفكارها الى ماحدث في الحمام حيث رفض « بيرنهارد »  
ان يخلع ثيابه مادامت هي في الحمام بينما كانت تلح على ان تغسله هي  
نفسها ، واذ بها تشدد حذامه ثم تضربه : والآن كانت تحس بأذنيها تطنان  
ولكن بسبب عمل النبذ . اما « ارتور » فكان يخطط ان يمر مرة  
بزوجته في السيارة بمكتب البريد رقم ٤ ، وكان يعرض عليها عشيقته  
الجديدة بعينها . صب بعض النبذ في كاسيهما وسمى « إليزابيت »  
« ميلي » دون ادنى تفكير في تلك « ميلي » السابقة ، وانما كان يرى

□ يوم الأحد في بيت آل « كرايساند » □

نفسه امام شباك البريد الى جانب بعض الاشخاص الكئيبين الآخرين ، ولكنه لم يشعر بتأنيب الضمير وقد اكد لنفسه : إنها لسمة جميلة من سمات اخلاقي أنني مهما فعلت لم اشعر بتأنيب ضميري ، ويبدو لي كل شيء طبيعيا . في هذه اللحظة قامت « إليزابيت » من مكانها وكان يراقبها بلطف بفضل ميله الى التأمل في هذا المساء . ولكن مع كل تسامحه لم يستطع ان يمتنع عن متعة تخيل صورة احلى : « ارنه » ، يالها من كنز في قميصها الاسود . هل اشتد المطر ؟ يبدو كذلك . ما أجمل يوم الأحد هذا . وقالت « إليزابيت » : سأنظر مرة أخرى الى « بيرنهارد » كانت تحس بتزايد حرارة جسمها وسوف تأخذ حبة ضد وجع البطن مع انها قد تجاوزت سن اليأس . لقد كانت متعلقة بهذا الدواء كأنه ذكرى من ذكريات الشباب . دخلت الى الغرفة المظلمة التي كان ينام فيها « بيرنهارد » ولم يجد سوى « كرايساند » قصدا غرفة خاصة بالضيوف في بيتها الواسع . لذلك وجب على « بيرنهارد » ان يكتفي بكنبة مهترئة في حجرة القبو خصصت للكوي . فمن المعروف ان الاطفال يحبون مثل تلك الحلول المؤقتة التي فيها شيء من المغامرة . سوف تقول لاختها « سوسن » : إنني رجعت اليه كل ليلة لأطمئن عليه وليس هناك منظر مثير للعواطف اكثر من طفل نائم - او ما أشبه ذلك . اضاءت المصباح القديم الذي كان سابقا في مكتب « ارتور » .

كان منظر « بيرنهارد » دون النظارة منظر قزم كبير السن . وما زالت آثار البكاء ظاهرة في الحمرة حول انفه في وجهه الشاحب .

لم يحس « ارتور » بغياب « إليزابيت » الطويل ولذلك زال شعورها بضرورة الدفاع عن نفسها لدى عودتها . ووجدت « ارتور » سستغرقا في مشاهدة الفيلم الذي كان « بيرنهارد » قد تلهف على مشاهدته . وشاهدت « إليزابيت » هي الاخرى الفيلم . كان فيلما

□ يوم الأحد في بيت آل « كرايساند » □

غير صالح للأطفال . والحق ان آل « كرايساند » يعلمان ان بعض الناس مهملون في مثل هذه المسائل ، وعلى الرغم من انهما لم ينجبا اولادا فقد كانا يحبان المناقشات التي تدور حول تربية الاطفال ولهما آراء ثابتة في هذا المجال .

التفت « إليزابيت » الى زوجها سائلة : « هل بقي شيء من النبيل ؟ » أجل ، بقي قليل . ثم حان وقت النوم . لقد قررا عدم مشاهدة الفيلم الى نهايته اذ ان النوم اهم . اما ما يخص تبادل اللثام بينهما فلم يترقبا احدهما . و « إليزابيت » بشكل خاص لم تهتم في يوم من الايام بهذا الجانب من علاقتهما ، وفي الوقت الحاضر كانت تشعر انها اصبحت في منأى عن الخطر . ولكن تجاه « ارتور » كانت تتظاهر بالمشاعر غير الموجودة وقد تصبرت على بدل تضحياتها التي باعدت بينها اكثر فاكثر . حسن لهذا ايضا أصبح في خير كان ، واخيرا وليس آخرا لصالح « ارتور » طالما وجب عليه ان ينهض من فراشه في ساعة مبكرة . ما احسنه « ارتور » بحساسيته بعيدا عن كونه عاشقا متيما . وما زال « ارتور » يحاول ان يتذكر من هي التي كانت لها الندبة الناجمة عن عملية الزائدة الدودية ، اكانت حبيبته « إرينه » ام زوجته ؟ كان يرى الندبة بكل وضوح حتى يستطيع ان يرسم مجراها ، ولكن على بطن من ؟

وعاد الهدوء بعد مرور عصية قصيرة ومزعجة بالزوجين « كرايساند » وبالفعل ماكانت في البرنامج . نسي « ارتور » ان يقفل التلفزيون اذ مازال يفكر في مسألة الندبة . وفجأة وجدت « إليزابيت » نفسها مضطربة الى حد لا يطاق . وفي لحظة اصبحت ترى يوم الأحد هذا في صورة قبيحة ومشمزة . وبدأت تدور بين اثائها الجميل وقد رأت في المرأة المزخرفة وجها لثيما : وجهها هي . عندئذ تذكرت والدها

□ يوم الأحد في بيت آل « كرايساند » □

الطريدين والصديقة المهمة و « بيرنارد » هذا الصبي الصغير . ولكن المؤلم حقا ان شيئا لن يتغير . انها استطاعت ان تنبم ولا غير .

اخيرا رات حلا لتخرج من المازق ولو لهذه الساعة المتأخرة من المساء فقط . ولو دخلت السرير في مثل هذه الحالة النفسية لأسأت الى صحتها واضطرب نومها واستيقظت في الصباح حاسة بأوجاع ومتاعب كتلك التي تنجم عن وليمة مفرطة . هكذا نزلت ودون ان يمنمها « ارتور » الى القبو حيث أيقظت ابن أختها . أمسكت به وجرته من سريره ودفعت به الى سلم القبو تقبله في الطريق مرة بعد أخرى ثم اجلسته على أريكة في غرفة الجلوس . هناك قالت له : « تعال يا حبيبي وشاهد فيلمك » . ولكن « بيرنارد » دون نظارته لم يعد يرغب في مشاهدة الفيلم الذي انتهى على كل حال بعد ربع ساعة . بالاختصار : فقد أهان « بيرنارد » خالته بانصرافه صامتا .

ARCHIVE

ظل « ارتور » في غرفته في انتظار « بيرنارد » وهما في السرير ، ابدي اهتماما بـ « إليزابيت » . ما أكثر الايام التي لم يضمها فيها الى صدره ! في هذه الليلة اخذ على عاتقه ان يقترب منها . وتأثرت « إليزابيت » بمحاولته بقدر ما اصطدمت به . اذا كانت هذه بداية مرحلة جديدة فانها متشكرة . وكانت تفكر : يارب ، كيف يمكنني التخلص منه ؟ وفي وقت نفسه اظهر « ارتور » قدرته على تجديد ما كان ذكرى قديمة بينما دبر في نفسه كيف يمكنه التراجع بعد تأكده من مسألة الندبة . وهذبات « إليزابيت » من روعها الى حد ما . ولولا استغراق « ارتور » في النوم لكان لابد من ان يتسم لاستعدادها للمساعدة . قالت هامسة في محاولة منها ان تحرر نفسها : برفق يا « ارتور » ، فأحيانا يوجعني الطرف اليميني وقد تكون الزائدة الدودية السبب . غير أنها لم تكن تشعر بوجع ، ولو لكان ذلك على الطرف اليسار . ولكن الساعة المتأخرة لم

□ يوم الأحد في بيت آل « كرايساند » □

تسمح بمناقشة مثل هذا الامر . قبل ان يستغرق « أرتور » في النوم تذكر التضاريس الجميلة التي احاطت بالندبة ، والحق ان « إرينه » لم تكن هي دون هذه الندبة . وتذكر ايضا ان « ميلي » هي الاخرى التي كانت لديها ندبة ولكن عند الترقوة . وهكذا تسرب في الاخير في دماغه التعب سره الساخر الذي وراء تعلقه باسم « ميلي » ، هذه الخداعة الظريفة الصغيرة . ومن المؤكد انه كان يتمتع بليلة مريحة .

وازدادت « إليزابيت » هي الاخرى نعاسا . والذي أثر تأثيرا كبيرا في عودة نبضها الى حالته الطبيعية تفكيرها بأن تقدم لوالديها تمثال « الزنجي » هدية وهي تشرح لهما قضية العطلة الصيفية . كان « الزنجي » تمثالا خشبيا نفيسا من افريقيا ، رمزا للخصوبة ، واقتناه آل « كرايساند » بشمن رخيص من صديق مفلس كان مولعا بجمع النوادر . والحق لهما لم يشعرا كثيرا بهذه الحقة التي وجداهما فاحشة اكثر مما ينبغي . وبسبب هدية الترضية هذه شخصية بينما سيقبلها « أرتور » مكافأة لأخراجه من البيت لاسيما ان بعض معارفهما واصدقائهما كانوا يستغلون هذا « الزنجي » لتعليقات لاذعة .

ان للجميل الذي يقوم به الانسان تأثيرا مريحا في النفس وينشرح صدره . واصبحت « إليزابيت » متأكدة من زوال الحمرة عن وجهها . ويتنهد تقلبت اخيرا على الرقدة التي تتخذها عادة لتستغرق في النوم . تتميز غرفة نومها بانسجام ، يفصل بينها وبين غرفة نوم « أرتور » بابان ، ولو كانت لها ارفع اذنين في العالم لما استطاعت ان تسمع غطيظه .

---

من كتاب : « دفاع عن المستقبل » ، قصص المانية ، أصدره « مارسيل راين رانيكي » ، دار النشر الالمانية لكتب الجيب ، ميونخ ١٩٨٦ ، رقم الطباعة ٣ - ٤٢٣ - ١٥٣٠ - ٦ ، د.ت.ف. ١٩٨٧/٢/١٥ ٣٩٣ - ٣٨٣ ١٥٣٠ ، ص



# أزواج وعابرو سبيل

تأليف: بوبتوش تراوس  
ترجمة: إريش داداود



## ARCHIVE

محكمة « تيرغارهن » في طراكم المتاجرة بالمخدرات « إيلونا م. » .  
عمرها ٢٩ سنة . تعاطى الحقن منذ ١٩٧٢ . غير متعلمة تمارس بين  
الحين والحين البغاء . وقد خالفت أكثر من مرة القانون الخاص بالمخدرات  
وحكم عليها ثلاث مرات . منذ نصف سنة تقيم في سجن النساء « ليرته »  
حيث تستمر في تعاطي الحقن وبيع المخدرات . بعد تأكدها من هوية  
المتهمة والقاء نظرة فاحصة اليها قالت رئيسة الجلسة : « إنها في حالة  
جيدة نسبيا . » تتصف « إيلونا » بقامة قصيرة وشعر مخضب بلون  
احمر وقسمات غير بارزة في وجهها الشاحب وبصدر ومؤخرة مائلين الى  
السمنة بخلاف نصفها الاعلى الذي يتميز بنحافة بالغة حتى يبدو الشديان  
الناهدان الثقيلان غريبين عن هذا الجسد المفضى من الهيروين . وفعلما  
لانسجم جسد هذه الطفلة الضائمة مع الجاذبية الخاصة بالأمومة . وتتكلم  
بصوت خافت ورتيب جدا حتى يضطر المدعي العام ان ينبهها لرفع صوتها

كي يسمع بوضوح تلك الاقاويل التي اعتاد على سماعها في مائة قضية متشابهة لان كل المذنبين على المخدرات يكذبون ، وهو يعلم ذلك اذ كان يسمع منهم جميعا الاكاذيب نفسها القائلة بانهم على استعداد لمكابدة مشقة العلاج لمجرد تأجيل تنفيذ الحكم مرة اخرى . وقالت الحاكمة: « إنك فعلا تتكلمين بصوت خافت جدا . هل اسنانك في حالة سيئة ؟ » واجابت « إيلونا » : « لا ، عالجوها في السجن . » ومع ذلك تظل المتهمه تتكلم بصوت خافت دون ان تقصد التظاهر بالاضطراب لتكون موضع الشفقة . وبينما تعطي المعلومات المتعلقة بشخصها وتتابع التحقيق الذي يجري بلهجة واقعية غير قاسية ، تتضح لها شيئا فشيئا وضعها الحقيقي الميؤس منه ، وقد أصبحت تدرك الآن هذه الحقيقة التي كانت تسترها عنها لغة الحبس وأوساط المذنبين ومصطلحاتها . كانت رئيسة الجلسة تشتغل منذ عشرين سنة تقريبا في حمل الجرائم المرتبطة بالمخدرات وتشتهر في الأوساط المعنية باسم <http://www.leschouk.net> . وأصبح المحامون يتفاءلون برئاستها الجلسة التي تحاكم فيها قضية من قضاياهم . في هذا الميدان اللعين حيث لايجدي التهديد بالعقاب ربما تكون صورة الام الحنون التي تحذر بلطف وضمير حي هي الوسيلة الوحيدة التي تؤدي الى نتيجة ايجابية في الحالات غير الميؤس منها . ولكن من ناحية اخرى لاستطيع بصفتها راعية القانون ان تخوض معركة ضد مرض الادمان، وهكذا لم يبق لها الا الاعتراف بينها وبين نفسها بعدم جدوى المكان والاحداث التي كانت تحتل مكان الصدارة منها . وتشبه احكامها شكلا غريبا من اشكال المساعدة والرعاية لصالح محاسبيها . بطبيعة الحال تعرف الاخطار التي تكمن في تأجيل تنفيذ الحكم ، كما انها تعرف مدى الامل في نجاح علاج آخر . والحقيقة ان عملها القضائي في آخر المطاف ليس الا مكافحة احكام الاعدام التي صدرت منذ زمن طويل .

## □ ازواج وعابرو سبيل □

يتميز المدعي العام بصغر السن والبرودة ، وفي تلك المشاهد  
التعسة يجب ان يقوم بدور غير المتعاطف الشاق ، لذلك لا يمثل الا قالب  
المدعي العام الفارغ ولا ينوب عن الدولة ، لان الدولة كما هو معروف  
لامصلحة لها في القضاء على المذنبين . في مطالبة النيابة العامة بلغ به ان  
يدعي ان حالة المتهمه وصلت بها الى حد « لا يمكن اتقاها » . ومثل  
هذه الملاحظة التي تكشف عن انعدام الانسانية تناسب المحامي الذي  
يقوم بالدفاع عن « إيلونا » لانها تغطي له الفرصة لاداء مرافعته بالحدة  
اللازمة . قبل ذلك يستمع الى شاهدة . وهي فتاة تلبس جاكته جلد  
وينطال جينس وحذاء مطاطيا ولها شعر طويل موج ، وتأثير المخدرات  
باين على جفניה اللذين يشق عليها رفعهما وعلى ذراعيها اللذين يقومان  
بحركات غريبة دائرية وضعيفة . تهتمها الحاكمة بالحاج انها تستطيع  
رفض اية شهادة اذا كانت تسيء الى نفسها ، وتسالها مرة اخرى :  
« هل فهمت ؟ » كانها ارادت التأكد من سلامة سمعها . وتتكلم الفتاة  
بصوت المتهمه نفسه الخافت . ولكن ، في لحظة ماتشوش كلامها الذي  
يدور في دائرة جمل متكررة خاليا من أي معنى . عندئذ يسالها المدعي  
العام : « متى تناولت الحقنة الاخيرة ؟ » وكانت الفتاة على وشك ان تقول :  
« في هذه الساعة » ولكن الحاكمة تدخلت بسرعة قائلة : « اظن ايها  
السيد المدعي العام ان الشاهدة في حالة لا تسمح بمتابعة التحقيق معها . »  
بعد انسحاب المحكمة للمداولة تهم كاتبة المحضر الشابة التي تكاد تتساوى  
مع المتهمه في العمر كما ان لباسهما وقص شعرهما متشابهان تهم  
بالخروج الى الممر واذا بحارس القاعة الذي كان يقرأ في مجلة

« لاعب كرة القدم » أثناء المحاكمة يقوم بسرعة من كرسيه ويلحق بها محاولاً أن يعيدها بعنف الى القاعة لانه خلط بينها وبين المتهمه . اما هذه الاخيرة فكانت أثناء ذلك تتحدث مع صديقين لها كانا بين المستمعين ، وقد تدمرا اكثر من مرة عندما كان المدعي العام يلقي خطبته . ومن المستمعين ايضا تلاميذ مدرسة مختصة باعداد موظفين بالشؤون الاجتماعية مع مدرسيهم الذين بدا عليهم الجمود والخشونة . حكم على « إيلونا » بالسجن لمدة سنة وستة اشهر مع تنفيذ الحكم مباشرة . ثم فوجئت بأن المحكمة تلغي الامر بالقاء القبض عليها لتعطيها فرصة اخرى . وستكون الفرصة الاخيرة كما تؤكد « ام شولت » بمرارة - لتدخل مباشرة الى مؤسسة لعلاجها . وبعد مرور ستة اسابيع يجب أن تسلم نفسها للحبس . واذا كانت في ذلك الوقت تحت العلاج سيؤجل تنفيذ العقاب على سبيل الرحمة . ان وثيقة الجلسة تعلم ان الحبس لاينفع شيئاً ، ثم تقول في توضيح العقاب بالحكم ان يجب المدة مكانا أفضل للحصول على المخدرات من سجن « ليرته » . ولكنها هي ايضا يجب ان تعترف بان أملها في هذه القضية ليس كبيراً . وتضيف الى ذلك مستعملة مصطلحا فنيا : من المعروف ان مدمنة تناهز الثلاثين من عمرها قد اصبحت « شخصية ثابتة » .

إن من يحس بالوضع الرهيب الذي لا أمل فيه والتهديد بالموت الذي يحيط بالمرضى المدمن ، يصعب عليه أن يلتجئ الى التساؤلات عن الاسباب الاجتماعية ، ويحدق مع شعور بالفربة الى الشر العاري المسيطر الى سيادة الشيطان الواقعية . وللشيطان هذا وجه قبيح آخر يظهر بينما تتحدث « إيلونا » مع صديقها . هاهوذا الشاب بوجهه الشاحب

## □ انواع وعابرو سبيل □

اللون والمشوه بالندوب له عينان واسعتان تلمعان كالحرير ، لقد عوقب خمس مرات بسبب جرائم متعلقة بالمخدرات ، وهامي ذي صديقه التي صرح لها باجازة من سجن « ليرته » حتى تحضر المحاكمة . إنهما يعبران عن استيائهما الشديد باطلاق سراح « إيلونا » حالا . وهما على يقين انها سوف ترد هذا المساء نفسه الاسواق الخاصة . تقول المرأة : عندما تخرجين من سجن « ليرته » بعد إقامتك الطويلة فيه وتحت هذه المعاملة القاسية تصبحين حرة ، ولكن عندما تدخلين الى بيتك ستنسين المكان الذي وضعت فيه الهاتف . ثم تسمى مؤسسة العلاج التي ذكرها المحامي واشاد بطريقة العلاج فيها :

« اضحوكه ، انها اضحوكه ولا غير . » وتتابع كلامها : ان الجميع الذين كانوا هناك يعودون الى سجن « ليرته » . طمعا ، كل واحد يبتهج باطلاق سراحه ، ولم كنت محلك لقرحت ايضا .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولكن مائقوله عن القلق على صديقتها يشف عن شيء آخر تماما ، وهو غضبها لانقطاع العلاقة التجارية . فقد كانت « إيلونا » فرعا هاما من فروع تجارتها بالمخدرات .

ان المشاعر كلها مشاعر التاجر ، لا ابتسامة ولا كذب ولا تصافح باليد الا اذا كان ذلك في خدمة الإدمان . لم يعد هناك ما يضل ويمكن تفسيره بأكثر من معنى واحد . فقد أصبح الإدمان المجرى الكبير الذي تصب فيه كل التحركات سواء اكانت خارجية ام نفسية . ولا يعد الإدمان بلوغ اهداف مجهولة لان تحقيق كل التمنيات مؤكد على الدوام بشكل رهيب وبلا لف ولا دوران . ان الحيل والاشكال من التستر في هذا السبيل

والتظاهر بالمشاعر اللطيفة وخداع النفس فيما يخص الوضع الخاص كلها شفاقة وكان هدفها رسم اللعبة التي تشترك فيها جميعا بصورة كاريكاتورية وبواسطة نوايا خفية . وعلى الرغم من ان المدمن لا يريدنا من إرادة الذات الا بقية مشوهة فانه لا يزال بحاجة الى قناع اجتماعي معين، ومنه سلوك رجل العصابات السرية والمعرفة بعناوين معينة والعلاقات والمواعيد السرية ومفاتيح الشفرة والمصطلحات الفنية ( التي تغلفت منذ فترة في لغة السلطات حتى أصبحت تستعملها دون وضع علامات تنصيب)، وهذا النسيج من التعصب اليسر الذي ليست وراءه رسالة ، وكثيرا ماتفطي عباءة سوداء سواد الموت هؤلاء الهاربين بوجوههم الشاحبة وبؤرة عيونهم المتسعة العمياء لكل شيء ، وبأسنانهم المسوسة ، واصواتهم الرفيعة المنومة نصف المسبوحة التي يتساءل المرء في يأس لدى سماعها : " من هو الذي يتكلم ؟ من ؟ " <http://Archivebeta.Sakhril.com>

ويبقى المدمن على المخدرات مغلفا في نسيج متماسك متآلف من الإقاعات والاحكام واللقاءات والصفقات ، وينساق معها دون خيال ولا جنون ولا كتابة ، وما دامت اموره تجري كما يريد يكون فعلا وعلى خلاف غيره في منأى عن كوابيس خياله .



من كتاب : أزواج وعابرو السبيل ، دار النشر هانزور ، ميونخ فيينا ١٩٨١  
ص ١٤٣ - ١٤٨

# مَجَارِبُ « غونتر فالراف » كبواب وسّاع

تأليف: غونتر فالراف  
ترجمة: إريينا داوود



« لتحقيق النجاح يحتاج المرء  
الى رأس وعبقريّة وكوع » .  
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

روبرت غرينغ : مؤسس الشركة

هاتفيا افهمني الرجل في ادارة شؤون العاملين ان الشركة حاليا  
ليست بحاجة ملحة الى بواب اوساع ، ومع ذلك يمكنني الحضور للمقابلة  
واذا كانت لدى المؤهلات اللازمة فقد نصل الى اتفاق .

ذهبت اذا الى عمارة « غرينغ » الشامخة حيث قمت في الطابق  
الثامن بزيارة التعرف ومعى الوثائق الثبوتية المطلوبة وسيرتي المكتوبة  
بيدي . ان كل صفاتي تدعو الى الثقة بي ، وقد كتبت سيرتي بشكل  
يظهرني معدا سلفا لهذه الوظيفة .

(\*) شركة « غرينغ » : اتحاد ست شركات التأمين ، مقر الشركة « كولونيا » مؤسس  
الشركة « روبرت غرينغ » ١٨٧٨ - ١٩٢٥ ( الترجمة ) .

ويعبر خطي وحده لعالم بالخطوط عن انكار الذات ودرجة عالية من القدرة على التكيف والاستعداد للعمل في مصلحة الشركة . (خط دقيق ومستقيم مع احرف غير متصلة بل مستقلة بعضها بعضا . يشير مثل هذا الخط الى ان صاحبه يقوم بالعمل بشكل آلي ولا يميل الى الاقدام على العمل عن إرادة شخصية : هوذا المزاج المطلوب من موظف المرتبة الدنيا . ) .

يستأنس المرء الى لدى مجرد سماعه اسمي الاول « فريدريخ فيلهلم » الذي اخترته علما بحسن وقعه في لأذن . وقد ايد السيد في ادارة شؤون العاملين هذه الحقيقة بقوله : « ان شركة « فريدريخ فيلهلم » هي شركة التأمين الام لمؤسستنا . واذا ما اتفقنا على توظيفك فسوف يأتي دورك في الجلوس الى ذلك الباب . قال هذا متجرا الى المدخل مقابل العمارة العالية الذي تعلوه بأحرف ذهبية علامة الشركة « فريدريخ فيلهلم - الماغديبورجي » .  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>  
لم تكن الدوافع التي دفعت بي الى البحث عن وظيفة البواب او الساعي دون غيرها مقنعة .

عندما صارحته بانني اشتغلت رساما مستقلا حتى الآن وانني أرغب في هذه الوظيفة الجديدة آملا ان تؤمن لي دخلا كافيا دون ان تشغلني كليا بل تسمح لي بممارسة فني بعد الدوام وفي آخر الاسبوع قطع السيد في ادارة شؤون العاملين كلامي قائلا : « لن تتمكن من ذلك وانت تعمل في شركتنا لان العمل عندنا يتطلب وجودك كاملا وبذل أقصى جهدك . فعليك ان تختار ... » .

عندما قرا سيرتي عاد الى سلوكه اللطيف ، وقد هز راسه بإيجاب عند بعض النقاط ولما وصل الى الموضع الذي كتبت فيه أنني كنت « تلميذا ممتازا » لم يمتنع عن تعبير « تقديره » .



□ تجارب « غوتتر فالراف » كبواب وساع □

اخيرا التي إلي بنظرة فاحصة كأن تهمة معينة خطرت بباله ثم سأل:  
هل هناك شيء لم نخبرنا به بعد ؟ قد يسيء اليك اذا علمناه في وقت  
لاحق ... ولما كنت مترددا اضاف قائلا : يحسن بك ان تقول الآن ما عندك  
لان لدينا الامكانيات للكشف عن الحقيقة وقد تقنع في موقف حرج  
فيما بعد ! عندئذ تظاهرت بالتفكير وكأنني ابحث في خفايا ضميري ، ثم  
قلت : لا ، لاظن ان هناك شيئا أخفيته عنك .

حدد الراتب الاجمالي ب - ، ١١٦٠ ماركا المانيا في الشهر على شرط  
ان توافق الشركة على توظيفي . ( يساوي - متزوج وطفل واحد - بعد  
طرح الضرائب وما الى ذلك صافي الراتب ٧٤٩،١٦ ماركا المانيا كما تبين  
فيما بعد . والحق ان نسبة الضرائب التي يدفعها عادة « المستقلون »  
الذين يبلغ دخلهم خمسة الى عشرة أضعاف من اجر الساعي الذي لايسد  
الرقم اصغر بكثير من نسبة الضرائب التي يدفعها الاخير ، وبامكان هؤلاء  
ان يخصصوا من الضريبة اشكالا وألوانا من تسلياتهم الشخصية بدءا من  
دعوة الاسدقاء الى المطعم حتى رحلة الاجازة التي يمكن تحويلها الى مهمة  
عمل او على الاقل ربطها بها ، ولما كان تقريبا كل امر من امورهم متعلقا  
بتجارتهن وبهدف تحقيق أعلى ربح ممكن يستطيعون في آخر المطاف ان  
يخصصوا انفسهم من الضريبة . )

عندما لاحظ السيد المسؤول عن شؤون العاملين عدم حماسي لهذا  
الراتب ووجهي يلوح فيه التفكير قال : اعلم ان هذا الراتب ليس عظيما  
وليس هناك مجال كبير لرفعه ماعدا الزيادات حسب التعريفة ، ولذلك  
نعطيك فرصة للعمل بعد الدوام الرسمي . فعلا بامكانك ان تجمع مبالغ  
لابأس بها بواسطة الساعات الاضافية اذا داومت بشكل منتظم في وقت  
الحاجة .

( ومعنى اوقات الحاجة إحدى عشر ساعة من الحراسة في عطلة الاسبوع وأيام العيد . ومعظم الساعين والبوابين بحاجة الى هذه الساعات الاضافية . وحتى في اواخر الايام التي اشتغلت فيها في الشركة لم يستطع احد أن يشرح لي لماذا سميت تلك الساعات الاضافية بـ الدوام في وقت الحاجة . وعلى حسب رأيي يمكن ترجيع هذه التسمية الى حاجة زملاء الذين يحصلون على اجر صغير يجبرهم على القيام بعمل « المرثون » هذا لتغطية مصاريفهم . )

وفي الأخير قال لي المسؤول عن شؤون العاملين مواساة : مبدئيا لا يهم المنصب الذي تشغله عندنا ، لان كل واحد يعمل في مكانه وحسب مؤهلاته لصالح الشركة . وسواء انعمل عندنا كساع او مدير في كلتي الحالتين عليك أن تبذل أقصى جهدك ، وعلاوة على ذلك لكل عمل مسراته وكذلك الساعي يمكن أن يحقق من خلال عمله شيئا فريدا من نوعه . امسكت عن الرد على مواساته المبتذلية . ( فلا يمكن اسعاد الساعي او كناس الشارع مثلا الا بواسطة المكافأة اللازمة . وحتى الفنانين الذين لا تقدر « عبقريتهم » يشعرون بالمرارة . ) آثرت أن ابتمس له تأييدا لقوله ومتشكرا والا ابوح بأفكاري لأنني اردت الحصول على هذه الوظيفة مهما كان الامر .

ويبدو ان الانطباع الاجمالي الذي تركته شخصيتي كان ايجابيا لأنني استلمت بعد أيام قليلة رسالة من إدارة شؤون العاملين وهذا نصها :

« يسعدنا أن تصبح في وقت قريب زميلا من زملائنا ، ونحن على يقين بتطور علاقة العمل بيننا تطورا يرضي الطرفين . » وقد كان اعلى الرسالة متوجا برمز شركة « غرلينغ » وهو عبارة عن حرف « الفين » الضخم الذي بداخله رسم للكرة الارضية .

## □ تجارب « غوتتر فالراف » كبواب وساع □

بعد مرور شهرين على عملي في شركة « غرلينغ » بوابا وساعيا وبما فيه من ساعات اضافية في وقت الحاجة - أي عيد الفصح يوم السبت والاحد وفي كلا اليومين من الساعة السابعة صباحا حتى الساعة السادسة مساء - كنت احمي فيها الشركة من دخول الغرباء الذين لاشأن لهم بالشركة ، قمت بعمل شيء تافه وطبيعي أدى الى ردود فعل بالغة العنف .

ان حساسية نظام سلطة مستبدة ومتظاهرة بالمناعة غالبا ماتكون اكبر مما يظن المرء في الوهلة الاولى ويمكن اصابة هذا النظام بالخلل بسهولة غير متوقعة . قد تبين بكل وضوح الحملات الصغيرة جدا على النقاط الحساسة في بنى السلطة التناقضات التي تعود الى عهد قديم مشكوك فيه والتي لاتخفي عنا تفاهة وجودها . ان اعضاء مجلس الادارة المحترمين وممثلي صاحب العمل بحرصون كما هو معروف - بشكل متحفظ يقترب من التجمل - على التوازي عن انظار هؤلاء الذين يتوقف رزقهم على تقاريرهم أي عن الذين يستمدون اولويتهم من إنتاجهم .

من هنا يجب استدراجهم من التحفظ واجبارهم على رد الفعل والتكلم اي على كشف اوراقهم لازاحة القناع عن آداب لياقتهم وقوانينهم التي تشكل فقط الاطار المألوف للظلم الذي أصبح عادة . لبلوغ هذا الهدف تصلح السخرية سلاحا وفي يد المظلوم يمكن ان تتحول الى قوة تفجير مصيبة وكاوية .

واذا كانت هذه الوسيلة غير قادرة على طرد المسيطرين ومديري اموالهم ومعاونيهم من حصونهم فعلى الاقل سوف تجعلهم يجلسون على أرائكم بأقل حد من الطمأنينة والتعالي .

عندما يفاجئون في جلساتهم المفلفة ينصرفون مضطربين فتظهر نقاط ضعفهم وهكذا يقتربون خطوة من مرمى الانظار ويصبحون تحت مراقبة المتروكين لرحمتهم .

□ تجارب « غوتتر فالراف » كيزاب وساع □

ويعبر المطعم بترتيبه حسب الرتبة والمنصب تعبيرا حسنا عن بنية الشركة الطبقية . هناك القاعة الاثرية الخاصة بـ « العامة » ، وهي قاعة طعام هائلة وفاخرة رصت فيها المناضد بعضها الى بعض بسبب توسع الشركة . عندما يبحث المرء في هذه القاعة المزدهمة يجب عليه الاحتراس من انسكاب الحساء على احد زملائه . والخدمة فيها خدمة ذاتية وهذا يعني الوقوف في الدور لمدة عشر دقائق تقريبا للحصول على وجبة طعام .

اما مفوضو الشركة ووكلاؤهم فلهم قاعات طعام خاصة بهم في الطابق الاسفل في كازينو بين الاشجار . وكذلك لاعضاء مجلس الادارة جناح طعام خاص بهم يتميز بفخامته . ان هؤلاء يتناولون الطعام في ولائم كبيرة ويقدم لهم خير الخيار من طبقات الطعام .

ان هذه الفئة الاخيرة جالسا في استراحة الظهر مرتديا بدلتى الخاصة بالساعي حتى اكل مرة مرتبا واشرب هيشا . عندما دخلت الى الكازينو وجدت فيه دزينة من زعماء شركة « غرلينغ » او اكثر موزعين على عدد من المناضد . يتميز الكازينو بمساحة كبيرة والحقيقة انه يتسع لجلوس زملائي من قسم البريد فيه بكل راحة ومن غير ان يتضايق السادة . توجهت نحو المنضدة على رأس القاعة . في هذه اللحظة شعرت بتسرع قلبي اذ ان بعض السادة قد تنبهوا لي ، فلا بد من حدوث شيء هام جدا حتى يدخل ساع في مطعم الخاصة . ولكن ليست بيدي برقية ولا تيلكس لتفسير وجودي هناك . مفتقرا الى هذا وذاك جلست الى منضدة بجانب ثلاثة مديرين وقلت لهم تحية : « صحة وعافية ! » ورد على تحيتي اصفرهم سنا وهو مستغرق في افكاره ، ولكن سرعان ما ارتعب عندما رأى الاضطراب بل الفرع على وجهي جاريه . وانقطعت المحادثات بين الجالسين حول المناضد الاخرى حيث كانت قبل فترة وجيزة تتزاحم الاصوات في

□ تجارب « غوتتر هالراف » تجارب وساع □

احاديث مثيرة وفياضة عن الارقام . الآن وجب على السادة « ضبط انفسهم » كي يحولوا دون الفضيحة امام الناس ويقدموا البرهان على انهم قادرون على مواجهة الاوضاع غير العادية ايضا . عاد بعضهم الى الحديث هادئين ومتحفظين ، غير انهم لم يمتنعوا عن القاء نظرات خفية ومتريصة الى . اظن ان دخولي كان يؤثر في السادة الاكثر سنا وقارا وكان عصرا جديدا قد بدأ وحان الاوان الذي تنهار فيه السدود ويندفع الشعب الى « مائداتنا ومعالفنا » . ولم يجرؤ احدهم ان يقوم ويطرديني من القاعة ، او ليس لهم رجالهم الخواص بهذا العمل ؟! اذا والحالة هذه عين نادل شاب ببذله الخاصة لهذا العمل واستدعي ليعيد النظام القديم . كان سلوكه هو الآخر متحفظا وحريصا الا انكث الانظار . وعلاوة على ذلك كان محتارا في امري . هل انا مغفل ساذج خطير فهم الاقاويل المتزايدة في الوقت الحاضر التي دارت حول « الديمقراطية » و « كيفية الحياة » فهما حرفيا واراد ان يحقق هذه الافكار بطريقته الخاصة او هل انا مجنون بالغ الخطر قد تثير كلمة متهورة وتصرف فجائي جنونه ؟ ومهما كان من امر ، منذ هذه اللحظة أصبحت محط الانظار وجميعهم حدقوا إلي مشدوهين .

انحنى النادل الشاب الي مقتريا من اذني ، وقبل ان يهمس إلي بكلمة قلت له بصوت عال ومسموع مشيرا الى صحن المدير الجالس الى جانبي : إنه يبدو للذيذا . احضر لي مثله مع الشمبانيا من فضلك . وقال النادل الشاب بصوت منخفض وكاد يتوسل الي : انت هنا في غير مكانك . ان هنا موائد المديرين فقط . . . قطعت كلامه قائلا : اني هنا في مكاني الصحيح . ورجاء احضر وجبتي حاليا لان مدة استراحتي ليست طويلة . من الظاهر ان النادل الشاب مازال يفكر انني اخطأت الباب فقط ، ولذلك

عاد يقول : صدقني ، انك هنا في غير مكانك ، ورجاء اتبعني حتى ادلك . ولما نظرت اليه كأنني لم افهم ، قال : اذهب معي الى المطبخ ... عند ذاك رايتني مدفوعا الى ان اوضح كلامي اكثر حتى لا اترك مجالا لسوء فهم . فقلت مشيرا الى المديرين : مالك تدهش . افلم تخدموا هؤلاء . وهل هؤلاء افضل من غيرهم ؟ عند ذلك استسلم النادل وبحركة كأنه يقول : لقد قيمت بواجبي وامتيتي الحيلة . التفت الى المديرين ثم ابتعد .

حسن ، انهم رفضوا ان يخدموني . تناولت من الكرسي الى جانبي ربطة الشرائح التي احضرتها معي من باب الحيلة واخرجت منها حصتي : خبزا مجفقا عليه شريحة لحم وتفاحة . عندما أمسكت بالسكين الذي احضرته ايضا لاقتشر التفاحة لاحظت حذر المديرين المتوتر وقلقهم . ثم تناولت من زادي قديحا للعرق ووضعت على المنضدة . هكذا مرت بعض الدقائق التي جلس فيها المديرون بصمود خائفين من الفضيحة . في البداية كنت منفعلا وعصبيا الى حد ما اذ انه ليس بالأمر السهل ان يظل المرء هادئا وطبيعيا في وجه جماعة معادية ترفض هذا الضيف غير المعزوم . ولكن ، كلما ازدادت حيرة سادة الادارة وعصبيتهم ازدادت ثباتا وهدهوا . اندفع السيد « كلاين » الى الكازينو وكادت انفاسه تنقطع . وبخطوات مرنة وانحناء يسير تحية للمديرين اقترب من مكاني . ان السيد « كلاين » الذي كان سابقا موظفا في البوليس الجنائي هو رئيسي وهو مسؤول عن البوابين والساعين كما انه مسؤول عن أمن الشركة . كنت آسفا لانسي وضعته في هذا المازق ، لان السيد « كلاين » كان دائما رئيسا واسع الصدر لم يعذب مرؤوسيه وانما كان يهتم فعلا بهمومهم ومشكلاتهم . وكان للسيد « كلاين » جهاز لاسلكي صغير يصدر عنه صغير هائج مستمر وكان السيد « كلاين » يصفى الى الاوامر التي تنقل اليه عبر هذا الجهاز وهو يكلمني بالحاح .

□ تجارب « غوتتر فالراف » كبواب وساع □

دعوته الى الجلوس على الكرسي غير المشغول بجواري وقد جلس على اقصى طرفه محاولا الا يفقد التوازن ، كانه اراد ان يثبت للحاضرين انه لا يحق له ان يرتاح هنا في اريكة من ارائك رؤساء الشركة وانه اذا جلس على مستوى واحد معهم فذلك لاسباب عمل محضة وبهدف التمكن مني واجباري على الخروج .

حاول السيد « كلاين » في البداية ان يقتنعني بضرورة استسلامي بواسطة الحجج العملية اذ قال : « ياسيد « غ » ان هذا الكازينو مخصص لامضاء مجلس الادارة والاسعار هنا مرتفعة جدا لمثلك . - اخرجت محفظة تقودي واجبته : « انني لا اطلب شيئا مجانا بل استطيع ان ادفع الثمن . رد علي السيد « كلاين » ( مهذبا ) : هنا لا يباع شيء ياسيدي . . ان لدينا قاعات الطعام الخاصة بنا اجبت مكاني انا ايضا . فكر قليلا ، ان في هذه الشركة يعمل ثلاثة الاف من المواطنين وكل واحد مكانه الذي يتناول فيه الطعام . هنا لا يحق لك الجلوس وعلاوة على ذلك لنا بطاقات طعام خاصة بنا . ارجوك ياسيد « غ » افهم ان الجلوس هنا ممنوع لنا . قل لي ، من الذي حملك على هذه الفكرة . . ؟ اجبته : لست بحاجة الى احد يحملني على هذه الفكرة . فقد خطرت ببالي تلقائيا . ان هذا الامر طبيعي جدا ومن زمن طويل . . . قطع السيد « كلاين » كلامي قائلا : اسمع ياسيدي ، خلال الثلاث عشرة سنة وانا اعمل في الشركة لم اربدا . هنا قطعت انا كلامه قائلا : ولكن يجب ان يقوم واحد بالخطوة الاولى .

ازداد السيد « كلاين » عصبية بشكل ملحوظ . ثم أمسكني بذراعي برفق وبمنظرة ناطقة بالاستغاثة القاها الى المديرين قال لي : اعمل معروفا واذهب معي فنكمل حديثنا في الخارج . قم ، من اجل خاطري ! السم نتفاهم دائما ؟ قلت له دون ان اتحرك من مكاني :

□ تجارب « غوتتر فالراف » كبواب وساع □

اجل ، سوف اذهب معك ، ولكن ليس قبل ان يحضر لي طعامي .  
لا يمكن ان اعود الى عملي ومعدتي فارغة .

قال السيد « كلاين » في حيرة : صارحني ، هل شربت خمرا في  
هذا الصباح ؟

قلت له : لا ، لماذا ؟ انا صاح تماما . ثم صببت العرق في الكاس  
الصغير ودفعت به الى السيد « كلاين » قائلا :

اشرب اولاً فيبدو ان جرعة سوف تفيدك . هيا اشرب ، سيفيدك  
هذا العرق ويهدئ اعصابك . رفض السيد « كلاين » في فزع ان يشرب  
وعندئذ تناولت الكاس وشربت محتواه في صحتة دفعة واحدة . وهتف  
السيد « كلاين » الذي فقد السيطرة على نفسه : اسمع جيداً ياسيد « غ »  
هذا سبب لفصلك عن العمل . وأنت تعرف تماماً انه ممنوع لنا أن نشرب  
مشروبات روحية أثناء دوام العمل . رأيت اللحظة مناسبة لظهور  
التناقضات ، ومشيراً الى المديرين قلت : وما معنى ذلك ؟ ان جميعهم  
يشربون الشمبانيا غير خائفين من فقدان شغلهم لهذا السبب . وكان  
أحد المديرين قد أمسك بكاسه ليشرب ثم انزله مذموراً وربما تحاشياً  
المزيد من استفزازي . وفي الوقت نفسه ارسل نظرة عقاب الى زميل  
اصفر سنا كان لا يمتنع عن ابتسامة ساخرة . وحاول السيد « كلاين »  
مرة أخرى : « ياسيد « غ » انك تقوم عندنا بعمل الساعي ، ولكن في  
حالتك هذه سوف لا تستطيع ان تقوم بواجبك كما هو مطلوب عندنا . -  
ومن ناحية أخرى ، هؤلاء السادة يريدون ان يتحدثوا أيضاً عن شؤون  
داخلية وسرية ... »

قلت بصوت مسموع للجميع : ارجو انه ليس لديهم مايستوجب  
الاخفاء ! فما المانع اذا ان يسمع كل واحد ماذا يقولون ... ؟



عندما ظهر رئيس الكازينو السيد « روسيل » ففز السيد « كلاين » من كرسيه وفي محاولة ان يجعلني انهض من اريكتي التي جلست فيها كأنني متمسك قال : « سيد « غ » اعرفك برئيس الكازينو السيد « روسيل » . فمت بدافع الادب ومادا يدي نحوه قلت : شرفت ! الا يمكنك ان تتأكد من انني سأحصل على طعامي ؟ فلا تزيد مدة استراحتي على اربعين دقيقة وبعد وقت قليل يجب ان اعود الى توزيع البريد والا سيختل مجرى الاعمال كله في الشركة لان كل الامور مرتبطة بعضها ببعض . ووقف رئيس الكازينو متدلجلا . اما احد المديرين فأشار اليه والى السيد « كلاين » بالانصراف . وربما فهموا ان الحجج لم تقنعني بل على عكس ذلك شجعتني على بقائي في عتاد ، لذلك التجؤوا الى تكتيك « الدوران على الفاضي » . نهض المديران اللذان كانا يجلسان الى منضدتي وتركا القاعة دون تحية .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بقيت برهة في مكاني منتظرا . لم يحدث شيء . ثم فمت وتوجهت نحو المخرج . وتنفس الصعداء من تبقى في القاعة . قلت : « صحة وعافية » وقد رد علي اثنان هذه التحية متشكرين وبصوت مضمغم . غير انني قبل وصولي الى المخرج عدت متجها نحو منضدة جلس اليها ثلاثة مديرين مستفرقين في مناقشة استراتيجية . واورت الى اريكة غير مشغولة قائلا :

« هل تسمحون لي بالجلوس ؟ » وجاء رفض حاسم من الرجل الذي كان له أعلى رتبة بينهم : لا ، هذا المكان محجوز ، وسيأتي صاحبه في لحظة . وبقولي : « ولكنه حاليا غير مشغول » جلست على تلك الاريكة بهزة ودية من رأسي ولكن باصرار . ثم قلت متلظفا : عندما يأتي زميلكم ليس بمشكلة ان اترك له المكان . ثم سألت وانا اجيل نظرتي من الواحد

الى الآخر : كيف تفهمون ذلك انهم رفضوا ببساطة ان يخدموني هنا؟ اقلّم  
تحصلوا على وجباتكم دون اعتراض ؟ وبالقاء نظرة الى لائحة الطعام -  
مرق دجاج - عصير برتقال - ظهر خنزير « على طريقة الخبازة » -  
سلطة فرنجية او سلطة كرفس - كريمة السادة - قهوة - ... سألت:  
« هل يرضيكم الطعام هنا ؟وما ؟ » وباشر الاصفر سنا بينهم بتفسير  
ولكن الاثنين الآخرين لمحا له بالنهوض ودون ان ينسوا بكلمة انسحب  
الثلاثة من مسرح الاحداث . ولما تركوا كؤوسهم المليئة بالشمبانيا سمحوا  
لي بان اشرب نخب جميع المتبقين بهذا الشراب المعتق الذي اظن  
انه شمبانيا .

مرة اخرى جلست وحيدا الى المتضدة . ولم يبق سوى ستة  
مديرين جالسين في انتظار المشاهد القادمة . ولاجلهم بقيت ايضا . -  
قصد سيدان منضدتي . وكان اصفرهما يتميز بمنظر يشف عن همه  
ونشاط وتصرف جري . بينما كان اكبرهما رجلا وصينا عرفا بالام العالم  
ولكن عاجزا عن تغيير شيء .  
<http://Archivebeta.Sakhsite.com>

وتصرف الاصفر سنا وكان السلطة المطلقة مخولة له بينما ظهر  
الاكبر اقل شأنا . عرف الرجل الاصفر بنفسه نائبا عن ادارة شؤون  
العمال وكان الآخر عضوا في مجلس العمال . ( وكما علمت فيما بعد  
كان عضو مجلس العمال هذا ينتمي الى فرع آخر من فروع الشركة وغير  
مسؤول عني اطلاقا ، وربما استحضروه علما بأنه لن يعارض مهما كان  
الامر . )

خاطبني اصفرهما : « لاعلم ماذا دفع بك الى الجلوس هنا ؟! » .  
اجبته : « إن هناك أسبابا كثيرة دفعت بي الى الجلوس هنا . اما  
لمنع جلوسي هنا ففي الحقيقة ليس هناك سبب واحد . ومن أسباب

□ تجارب « غوتتر فالراف » كبواب وساع □

جلوسي مثلا نصيحة طبيبي لي بتجنب ذلك الطبخ بالبخار الذي يقدم في القاعة الأثرية وبالتزام النظام الغذائي ، فرايت الطعام هنا مفيدا أكثر لمعدتي العصبية » .

وتابع السيد الأصفر : « اسمع يا سيدي ، عندنا لكل واحد ميدانه الخاص ومكان عمله المعين في كل مكتب . فلا يمكن أن تجلس كما تشاء على مكان عمل آخر بحجة أن العمل في ذلك المكان يعجبك أكثر من العمل الذي عينت له . ولا يمكن أن تطلب الجلوس هنا وليس هناك .

وقال عضو مجلس العمال : « .. أن نقول ببساطة أن هذا العمل يعجبني أكثر » . قلت : « ولكن هذا موضوع آخر تماما ، إذ يتعلق بالتدريب على العمل وبالؤهلات المحددة . أما على الأكل فكل واحد قادر عليه . ولكي اشرب كأسا من الشمبانيا لسبب حاجتي الى تعليم خاص » . قال عضو مجلس العمال : « ليس هناك ارتباط » .

وقال الرجل الذي من إدارة شؤون العمال : « ... يمكن أن نتوقع من رئيس أنه يتحمل شرب كأس من الشمبانيا ظهرا .. أن في كل شركة تصورات خاصة عن النظام والتمييز ولها معناها وأهدافها . وهنا تجري محادثات على أعلى مستويات العمل ولذلك لا يرحب بأن يسمعها أي واحد » .

قلت : « أرجو — واقوله للمرة الثانية — أن هؤلاء لا يقررون شيئا ممنوعا ، أو ما رأيكما ؟ بالإضافة الى ذلك اظن أن جلوس المديرين المنعزل سيء اليهم . لو جلسوا الى جانب الموظفين العاديين من المؤكد أنهم سمعوا بعض الأمور التي يجهلون بها . وقد فكرت أنهم سيرحبون بواحد يبدأ بزيارتهم في عزلتهم » .

قال عضو مجلس العمال : « استمع الي يا سيدي ، ان الدكتور « و » الذي تراه امامك هو وكيل ولكنه لم يجرؤ ابدا ان يجلس هنا دون دعوة خاصة من رئيسه ، لان هذا تصرف غير لائق . ان هذه الامكنة هنا محجوزة لاناس معينين ولاغراض معينة ولذلك لا يمكن ان اقول ببساطة : « هيا بي ساخل بهذا النظام واجتمع معهم » .

ثم قال رجل ادارة شؤون العمال : « في كل العالم يوجد تفاوت بدءا من الاجر . انك انت تقوم بمملك والسيد « س » يقوم بعمله وانا اقوم بعملتي ، فلماذا لكل واحد منا اجر مختلف ؟ » .

قلت : « صحيح ، في هذه النقطة تجد الظلم نفسه . فانا مثلا اقبض ٧٤٦ ماركا المانيا وانا متزوج ولنا طفل . هل يكفيك مثل هذا المبلغ ؟ » .

ورد على رجل ادارة شؤون العمال : « ان لم تعجبك حالك هنا يجب ان تختار مهنة اخرى تكسب بها المزيد . »  
<http://Archivebeta.Sakhrjt.com>

قلت : « ولكن هذه الشركة تتباهى بخدماتها الاجتماعية .. » .  
وجاء دور عضو مجلس العمال ليقول : « لعللاقة هنا بالخدمات الاجتماعية . عليك ان تفهم ان وجود نوع معين من واجهة التمثيل ضروري لا يجوز الاخلال بالنظام والا الي اين سيؤدي ذلك ؟! » .

قال رجل ادارة شؤون العمال : « اسمع ، هذه هي بنى تنظيم ومبادئ عمرها قرون بل الالف من السنين ولها جذور مترسخة ، ولا يجوز ان ترمي بها عرض الحائط . وانك تجد هذا التفاوت في الرتب حتى في عالم الحيوان . هناك يأكل الاسد الذكر اولا وما يتركه تاكل اللبوة مع اشبالها ثم يأتي دور ابن آوى . ما اريد قوله ان هذه الظاهرة لها جذورها ، انها الطبيعة .. » .

□ تجارب « غونتر فالراف » كبواب وساع □

قلت : « وعلينا ان نلعب دور ابن آوى . هذا ما يرضيك . ولكن على ما اذكر من دراستنا في علم الحيوان في المدرسة لا يصح ذلك حتى في عالم الحيوان . في حالة وجود صفار تأكل اللبوة مع الصفار اولا . - ولكن كلامك منطقي من حيث المبدأ . انك تدعم رأيك بالقوانين المطبقة في منطقة الصيد الحر ، وهي القوانين بعينها التي تعتمدون عليها هنا » .

ورد علي رجل ادارة شؤون العمال : « ولكنك لا تستطيع بواسطة مظاهرتك العنيفة ان تقلب العالم راسا على عقب . ستخرب بيتك ، لا غير . ثم اسمع ، ان رؤساء مجلس الادارة ليس لهم عقد عمل وانما عقد خاص برؤساء مجلس الادارة . ولكننا لن ننتهي اذا اردت ان افسرك .. » .

فقلت : « حينئذ ، فليعط لك مثل هذا العقد ايضا » .

وقال رجل ادارة شؤون العمال : « الحبيب علي ما تطلبه يجب ان تبحث لك عن عمل في مجتمع عديم الطبقات وسوف يطول انتظارك عليه . اما عندنا فانت مخطيء جدا بمثل هذه الآراء » .

قلت : « صدقت بقولك . ولكن من يعلم ، قد يكون الحظ معك وتعيش بنفسك في مثل ذلك المجتمع . وعنادك ربما تذكر حديثنا في هذا اليوم ، وسوف لا تستغرب من مثل هذه الآراء كل هذا الاستغراب ، لان بعض الاشياء تكون قد تغيرت وليست قضية الطعام في الكازينو فحسب . وعليك وعلى السادة الآخرين ان تحمّلوا بعض التنازلات ولكن لمثلي سوف يتغير الكثير الى الافضل » .

انتشر خبر انتهاك حرمة الكازينو واحتلاله في الشركة كانتشار النار في الهشيم . وقد وقف الضاحكون الى جانبي ، وكلمنا مر مديرا من مجلس

□ تجارب « غوتتر فالراف » كبواب وساع □

الإدارة بنفر من الموظفين انفجر الضحك . لم يجرؤوا على فصلي عن عملي في اليوم نفسه خوفا من انقلاب الضحك الى موجة استياء وغضب . انهم لم يطردوني بعد ولكنهم احصوا على كل حركاتي وسكناتي .

في اليوم التالي استدعاني مدير شؤون العمال . ولكنني قبل تلبيتي الدعوة لم امتنع عن الرغبة في الجلوس في مكتب الدكتور « غرلينغ » المقدس ولو مرة واحدة .

وفي اليوم التالي ايضا حذرني رئيس الكازينو من اعادة احتلال الكازينو ، لانهم في هذه المرة سوف ياخذونني بكل عنف وشدة . واكدت له انني بدوري لا افكر في العودة اليه لان العدوان الواضح على وجودي هناك ما زال واقفا على قلبي . لذلك فخللت ان يحضر لي هو نفسه وجبة طعامي الى مكتب الدكتور « غرلينغ » ، لانني هناك لن ازعج احدا وكذلك لن يزعجنني احد .

تركنه في ارتباك ، وبطريقة غير ملائمة ، وتجنبنا الحراس اتجهت الى مقر السيد « غرلينغ » . وقد اشرت الى بواب - احد زملائي - بانني خلال وقت الاستراحة ساكون في مكتب الدكتور « غرلينغ » اذا ما سال احد عني .

قلت له : « حان الاوان للاستفادة من ذلك المكتب الخالي على الدوام . وسوف يتبعني الزملاء الآخرون من مكتب البريد » .

ان مكتب السيد « غرلينغ » قاعة واسعة . له مساحة مكتب كبير لاستقبال الجمهور وارتفاعه ضعف ارتفاع الطوابق العادية للموظفين . ومن ضمن اثاثه مكتب مكسو بالجلد وعدة مجموعات من الارائك المصنوعة من جلد . وتنصب على المنصة جمجمة السيد « غرلينغ » البرونزي

□ تجارب « غوتتر فالراف » كبواب وساع □

وكذلك جمجمة والده . وها هنا على المكتب مرة أخرى الرمز لنفوذ سلطة « غرلينغ » وذلك بشكلين : يمثل الشكل الاول كرة ارضية مذهبة والشكل الثاني كرة ارضية بلورية . وهناك اقلام حبر ذهبية واقلام ناشفة موضوعة في صف مستقيم دقيق مع التزام المسافة نفسها بينها وبين طرف المكتب ، واخيرا هناك شعار « غرلينغ » المسبك في احرف ذهبية :

« Fortes fortuna adjuvet » (الحظ الجيد مع الاقوياء) وكتبت على ورقة وضعتها الى جانب هذا الشعار : « ولكنه لن يستمر طويلا » ولما رايت باقة من القرنفل الاحمر الحديثة العهد سمحت لنفسى بقطف زهرة واحدة من اللوزيتين ووضعتها في عروة بدلتى الخاصة بالساعي . كنت اجلس على اريكة خلف المكتب عندما ظهر وكيلان مسرعين . وكنت اكل تفاحة . قاداني الى قاعة استقبال في الطابق الارضي حيث حاولا استجابتي عن الدوائر التي دُعيت اليها في هذا . ولهذا الغرض قدم لي احدهما لفافة

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كان رد فعلي تقريبا كما كان في اليوم السابق ، اذ قلت ان الامر طبيعي جدا وان زملائي سوف يتبعونني في وقت قريب ولا بد من ان الجميع يرضون بالامر الواقع لان طريقة التفكير تتغير في ايماننا هذه تفيرا كبيرا وليس تصرفي الا مؤشرا لتاميم هذه الشركة وامثالها . اوصلت إلى الفرفة حيث تمت الاتفاقية على توظيفي . هناك تحدث إلي المسؤول قائلا بأنه كان يراقبني في الفترة الاخيرة وقد لاحظ تفيرا في ملامحي يدل على حاجتي الى راحة طويلة ، ويحسن بي ان استشير طبيبا على الفور . اما الآن فمن الافضل ان اعود الى بيتي وسوف اسمع اخبارهم .

على هذا الشكل يشك في قدرة الانسان العقلية ويقال عنه انه غير طبيعي في حالة تصرفه بشكل طبيعي في نظام غير طبيعي .

□ تجارب « غرنتر فالراف » كبواب وساع □

في الصباح التالي اتاني الى العنوان الوهمي الذي استعملته مبعوث من شركة « غرلينغ » بخبر عن فصلي عن العمل ، وهذا نصه المكتوب بأسلوب مؤدب :

« مشيرين الى عقد العمل يؤسفنا اخبارك أننا لا نرغب في استمرار علاقتنا ... بالإضافة الى ذلك نشير الى المحادثة التي جرت بينك وبين وكيلنا السيد « ه » التي مفادها اعناؤك المباشر عن العمل .

تحيات ودية

شركة « غرلينغ »

تعليق : في اليوم التالي نشرت في صحيفة « اكسبريس » المحلية القصة المثيرة عن « الساعي الشاب » الذي أراد مرة في حياته ان يتناول طعامه مع الرؤساء.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

\*\*\*

---

من كتاب : « أنتم في الاعالي - نحن في الاسفل »  
لـ « بيرنت انغلمان » و « غرنتر فالراف » ، دار النشر : روفولت ، ألمانيا الاتحادية،  
رقم الطباعة : ٦٩٩٠ ، ص ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، و ص ٢٤٩ - ٢٥٧ .



# ذكريات عن أبي «توماس مان»

بقلم: غولومان  
ترجمة: محمود منقذ الهاشمي



## ARCHIVE

ملاحظة من المترجم <http://Archivebeta.Sakhrn>

هذه المقالة التي كتبها الاستاذ الدكتور غولومان Prof. Dr. Golo Mann عن ابيه الكاتب الالماني المعروف «توماس مان» Thomas Mann بعنوان «ذكريات عن أبي» Memories of my Father كانت في الاصل محاضرة ثم نشرت باللغة الانكليزية في عدد الفصل الثاني ، المجلد الحادي عشر ١٩٦٩، من الطبعة الانكليزية للمجلة التي تحمل الاسم اللاتيني Universitas «الجامعة» ، ومن هذه المجلة وهذا العدد ترجمت المقالة الى العربية. ولا اود في هذه الملاحظة أن أعرف بالروائي الالماني الكبير توماس مان، لشهرته من جهة ، ومن جهة أخرى لان هذه المقالة تلقي الاضواء على جوانب مختلفة من سيرته وأدبه وأموره الخاصة التي لا يعرفها إلا من عاشه عن كتب امدا طويلا كابنه كاتب هذه المقالة . وانما سأكتفي بالتعريف بالابن «غولو مان» الذي يحدثنا هنا عن أبيه من دون أي تحيز.

□ ذكريات عن ابي « توماس مان » □

ولد الاستاذ « غولو مان » في مونيخ سنة ١٩٠٩ ، الا انه خلافا لابييه لم يعمل في الادب بل اختار التاريخ . وكان يعمل في احدى الجامعات الامريكية قبل ان يتسلم منصبه استاذاً زائراً في جامعة « مونستر » Münster سنة ١٩٥٨ ، وفي ١٩٦٠ عين غولو مان استاذاً للتاريخ الحديث في « الجامعة التقنية » Technical University في شتوتغارت . وقد ظهرت الطبعة الجديدة من « تاريخ العالم » بأجزائها الاثني عشر بتوجيه منه . وكان قد نشر سنة ١٩٤٧ كتابه « فريدريش فون لنتس - تاريخ رجل دولة اوروبي » . واتبعه بعدد من الاعمال منها « حول روح امريكا - مدخل الى الفكر والعمل الامريكيين » ( ١٩٥٤ ) وكتابه الاساسي المهم « التاريخ الالماني في القرنين التاسع عشر والعشرين » ( ١٩٥٨ ) . والاستاذ غولو مان ، بالإضافة الى نشاطه مدرسا ومؤلفا ، قد اسهم بطرق عدة في تعديل صورة التاريخ بالمعنى الشامل . وعاش في مونيخ مرة اخرى عددا من السنين نشر في غضونهما سلسلة من الدراسات المهمة .

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>



عندما كتبت امرأة ياكوب فاسرمان Jakob Wassermann ، الذي كان في ذلك الحين ، روائيا شديدا الشهرة ولكنه يكاد لسوء الحظ يكون منسيا اليوم ، كتاباً عن زوجها ، كتب فاسرمان الى ابي : « ان كتابة امرأة كتاباً عن زوجها هو امر جديد كل الجدة وليس اسلوبا للكشف عن الحسنات » . وانا امل الآن ان يفكر الناس ، بعد اجراء كل التفسيرات الضرورية ، بطريقة مشابهة حول موضوع هذا الاسهام وكتابه . لن اقدم هنا كتاباً عن توماس مان ، ولا مقالة جادة حول اعماله ، فهناك الكثير من النقد الكفاء لذلك . بل على العكس ، لا اود أن ادوي الا القليل ، وفي الدرجة الاولى ما هو منسل ، وفي كل الاحوال الذكريات الشخصية .

□ ذكريات عن أبي « توماس مان » □

كان لأبي وعي شديد الوضوح بالالتزام بالتقاليد ، وبالمحافظة على التواصل. ومن ذلك الالتزام بنشأت روايته « آل بودنبروك » Buddenbrooks بالإضافة الى الكثير من الشواهد في كتاباته القصصية والاعترافية الاحداث . وكان الى ذلك شديد الميل الى القص في محادثاته . وفي ذاكرتي مزيج من الاشخاص الذين لم اراهم بنفسي ، والذين لم اعرهم الا من قصصه والذين كنت اراهم من حين الى حين في منزل ابوي إبان شبابي وطفولتي . وعلى سبيل المثال ، فان « ارنت فون بوسارت » Ernest von Possart ، الممثل الكبير في مسرح مونيخ الحكومي لم اره ابدا ، ومع ذلك ، وبفضل تصوير أبي له أصبحت وكأنني قد رأيته وسمعته . وكان قد تعود أن يقول للمعجبين الشبان من مثل أبي : « تخلوا عن سفاسف الالقاب ، وحسبكم أن تنادوني ببساطة تامة » : « يا سعادة المدير الدكتور السير ارنت فون بوسارت » .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

كان أبي يهوى التقليد ويجيده بموهبة عظيمة . وقد سحره الآخرون الذين برعوا في هذا الفن كما سحرته قضايا التمثيل بحد ذاتها . وأنا أميل الى الاعتقاد أن هذه الموهبة قد تزامنت مع موهبته الأخرى التي أصبحت تاريخية ، وأعني بها موهبة الكاتب ، والتمتع بالتقليد، في ارتباطه بشخص ما ، ليس هو الملاحظة الدقيقة للغريب ، بل هو موهبة التعبير عما يلاحظ بدقة مفرطة ، وهذه الميول والمواهب وبطريقة لا تقدم ما لا يرتبط به وحسب ، بل كذلك ما اختبره . وهناك الشخصيات التاريخية، ومنها على سبيل المثال ، الملوك الذين لا حظهم . وفي هذه الحال ، كان يضاف الى متعة الفنان المجردة بالتقليد الشعور القوي بالتاريخ الذي كان جزءا منه . وعندما كان صبيا - لا يكاد يتعدى الحادية عشرة او الثانية عشرة من عمره - لاحظ ذات مرة الامبراطور « فلهلم الاول »

Wilhelm 1 في « لوبيك » Lübeck ، في زيارة عابرة . وأنا اتصور ان قلهم كان مسافرا الى هامبورغ واطهر نفسه في محطة لوبيك على رصيف الحافلة المترفة من حافلات السكك الحديدية . وكان تلاميذ المدارس يسرون لتقديم فروض الاجلال ، وأبي منهم ، وقد جيء بالوجهاء في المقدمة لتقديمهم اليه . ولا استطيع ان انسى كيف صور أبي الملك الهرم ، عندما وقف على الرصيف ، وطبيبه الخاص خلفه مباشرة ، لكي يمسك به اذا اقتضت الضرورة . وكانت اصابع يده الهرمة التي لوح بها بتنازل لا تملأ غير جزء من قفازه . ووجنتاه منهارتان وكذلك الحديث الذي ادلى به . ولم يكن عن شيء ، سوى المارك . وقد اراد قلهم ان يعلم في اية معركة قد فاز الشخص الذي يتحدث عنه بهذه المرتبة . ولطالما سمعت أبي يصف هذا المشهد .

ARCHIVE

وكذلك فانا لم انسى قلهم الثاني ، شخصا ، ولكنني اعد نفسي قد رايت به فضل وصف أبي له . لقد لاحظته أبي في عدة مناسبات ، وابرز المناسبات كانت في مسرح مونيخ في محاضرة الاستاذ دليتش Delitzch ، الذي كانت نظريته في العلاقة بين التوراة وبابل ، التي نشأ عنها ما يسمى الجدل في التوراة البابلية ، وقد خلقت ضجة في العقد الاول من القرن العشرين . كان قلهم جالسا في مقصورته ، متقلدا الاوسمة ومتزيئا بالزخارف كالتاؤوس وكان ظاهر التفوق وهو في الحقيقة لاينوي التفوق الا على البزة الرسمية السوداء والفضية لمعاونه الجالس خلفه ، ويتغازل مع الجمهور حسب طبيعته . وعند نقطة معينة من الزمن ظن ان المحاضرة قد انتهت وأخذ يصفق استحسانا . فأنحنى الاستاذ واستمر في الكلام ، ومن ثم تلبسه سيماء الارتيك ، فأخذ يبتسم ، ويعبس ، ويهز راسه ، وفوق كل ذلك يقتل شاربه الذي لا يضاهي الى

□ ذكريات عن أبي « توماس مان » □

الاعلى . وقد اعتقدت انني رايته يفعل ذلك بفضل تقليد أبي الفريد له .  
واضاف : « انه مستمع كريبه » . ورغم ذلك ، فقد لاحظت حين شاهدت  
في احدى المرات في السينما الجريدة السينمائية التي ظهر فيها حاكم  
المانيا المستقبلي ان « فلهم بالمقارنة معه جدير بان يقبل » .

لقد كتب الكثير عن منهج أبي في الكتابة . وهو كذلك قال شيئا ما  
حول ذلك . وفي اواخر حياته لم يكن يكتب الا في الصباح في العمل الذي  
يهتم به . وقبيل المساء كان ثمة صخب في اعماله : حيث الرسائل ،  
والاجابات عن الاسئلة الموجهة اليه ، اي انجاز ما كان يدغوه « مطالب  
اليوم » . ولم يكن يخامره شك حول ماذا سيكون كتابه التالي . ولم يبحث  
في موضوع ، ولم يختار واحدا ، على الضد كانت الموضوعات تختار  
نفسها له .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وفي زهاء العام ١٩٠٠ كان كتاباه الاخيران « الدكتور فاوستوس »  
Doctor Faustus و « فليكس كرول » Felik Krull قد انتهيا عمليا في  
ذهنه . ولم يكن السؤال بالنسبة اليه الا متى سينفذان . وهو لم ينفذ  
كل خططه ، ولكنه كلما انجز عملا كانت الخطط من مرحلة شبابه ،  
والخطة تنشا عن الخطة . وكان يدرس قليلا قبل ان يباشر عملا من  
الاعمال وخلال كتابته فيه ، ولكنه - وهذا ، كما اعتقد ، ما يختلف فيه  
الفنان عن الباحث - يقرأ ولا يتشرب الا ما يستطيع الاستفادة منه لعمله  
وينساه من جديد حالما يستخدمه . وقد كتب في احدى رسائله : « لاناكر  
انني قرأت انواعا كثيرة من الامور من اجل كتابة « الجبل السحري »  
Magic Mountain الا ان الملمح الخاص في ذهني هو انني سرعان ما  
انسى وعلى نحو لافت للنظر هذه المساعدات وحتى المعرفة التي زودتني

□ ذكريات عن أبي « توماس مان » □

بها . فما تكاد تؤدي غرضها ، وتدخل في العمل وتعالج فيه وتصبح جزءا منه ، حتى تبارح ذهني ، لكانني لا أريد أن أعرف المزيد حولها فأبعد ذاكرتي عنها » .

ان الفنان هو الذي يستخدم المادة الثقافية لفرضه وليس العالم او الباحث الحقيقي هو من يتحدث على هذا النحو . وهو اساسا لم يكن بحاجة الى كل هذه القراءة الكثيرة . فقد زوده حدسه بالطمأنينة ، والطمأنينة هي العنصر الرئيسي . واميره الصغير في روايته « صاحب السمو الملكي » Royal Highness يكون شديد الارتياح عندما لا يسمح للناس أن يسألوه عن أي شيء بعد كلمته في بوبيل مدينة غريمبورغ Grimmburg ، لانه لن يعرف أكثر مما قاله حول غريمبورغ . وقد سمعت أبي يقول ما لاحظ انه يجد نفسه في الموقف نفسه ، فهو لا يعرف شيئا أكثر مما هو في عمله . فلا يسمح لاحد أن يسأل ويستجوب بعد ذلك .

ومن الطبيعي اننا كنا نعرف دائما في أي عمل هو يكتب ، ولكنه لم يكن يريد حقا أن يتحدث عنه ، ولا عن تفصيلاته . كان كأنه يعيش في عالمين ! ، عالم أعماله ، الذي هو الاهم عنده بكثير ، الاهم اساسا من كل عالم السياسة ، رغم أنه مرغما أن يقلق حول ذلك نتيجة الازمة المشؤومة وحساسيته الخاصة ، والاهم كذلك من كل الامور الاجتماعية الآتية والذاهبة . وعندما كنت طفلا لم أستطع أن أعرف لماذا كان شديد الانهاك والتعب ويتصرف في بعض الاحيان كغريب حين ينتهي من دراسته . وعندما لم يكن بمقدوره ان يتقدم في عمله ، كان غضبه يتوزع على كل ما حوله . وفي بعض الاحيان كان يظهر للعيان بطريقة خفية عجيبة ما كان

□ ذكريات عن أبي « توماس مان » □

يكتب حوله في حينه . وفي إحدى المرات جاء البنا في « كوسناخت »  
Küsnacht قرب زوريخ هران تبيناهما وكان لا بد من تسميتهما ،  
وقد تمت اقتراحات متعددة ، إلا أن أبي قرر فجأة أن يسميهما : « أوغست »  
و « فرديناند » . وبدا لي ذلك غريباً إلى حد ما في ذلك الوقت ، ولكن  
ظهر بعدئذ في روايته التي وضعها حول « غوته » Goethe ، وهي « لوته  
في فايمار » Lotte in Weimar شخصان يحملان هذين الاسمين .

وعندما كنت ما أزال في المدرسة الثانوية ، حدث ذات مرة أن طلب  
مني صور أحد أصدقائي في المدرسة وكان قد ذهب في زيارة  
للمدرسة - وكان إسبانياً صغيراً وهو اليوم متألق بوصفه رجل أعمال  
ناجحاً ووسيطاً بين ألمانيا وإسبانيا في التجارة والصناعة . وفي البداية  
لم أفهم الطلب ، ولكن ظهر بعدئذ أنه كان بحاجة إلى الصور من أجل  
شخص « يوسف » في روايته الكبيرة وأراد أن يدرس بتفصيل شديد ذلك  
الوجه الذي لم يره ذات حين إلا بشكل سريع . ومن المعروف جيداً أنه  
في أكثر الأحوال لم يبتكر شخصه ، بل وجدهم وانتزعهم من الحياة .  
وعندما سأله أحدهم ممن يعرفون أرض الراين كيف استطاع أن يرسم  
أسرة « كرول » العجوز بشكل أمين للحياة ، أجابه : « أوه ، لاحظتهم  
ذات مرة خلال نصف ساعة في سفينة على الراين » . وإذا كان أشد  
اطلاعاً على النموذج ، لا يعبر عن أساه على غياب الاسم ، إذ كان يخترع  
الاسماء الشبيهة بأسماء الأشخاص المقصودين ، ما دام الشخص واسمه  
يبدو أن له مترابطين جوهرياً . وهكذا فإن اسم عضو مجلس الشورى  
« بيرنس » في « الجبل السحري » وممثل القصر « هرتسيل » Herzil  
في القصة القصيرة « الأحزان المبكرة » Early Sorrows لا ينسجمان بدقة  
إلا مع الإيقاع والصوت في اسمين معينين صادفهما في الحياة الفعلية ،

كما ينسجم حاملاً هذين الاسمين مع شخصيته ، وهذا الأمر التفصيلي الذي يصعب عليه فيه أن يدافع عن العلاقة بين النموذج والشخص ، قد جعل القراء المبتدئين يتسمون بسخرية . وعلى الرغم من هذا فقد دافع عنها في بعض الأحيان بفعالية ، بل بأصدق ضمير في العالم بأنه لم يشعر أنه واقعي أو طبيعي أو عضو في أية مدرسة من المدارس التي ينسب إليها ، كما لم يشعر أنه كاتب روايات رئيسة . ويوسع المرء أكثر من ذلك أن يقول إنه كان يشعر أنه راوي قصص خرافية . كان كلما انخرط في مجال فنه ، واستقبل بعينيه وجوداً يختلف في الجوهر عن الواقع الطبيعي ، وليكن مفهوماً أنه لم يكن لديه سبب للاحتجاج على هذا الغزو .

من الصعب أن يكون أي شخص في روايته الأولى « آل بودنبروك » مخترعاً ، باستثناء « جيم مانغن » البافاري ، والزوج الثاني لـ « توماس بودنبروك » . والعمة إليزابيث أولاً لعرقها شخصياً – لم تكن بافارياً ، بل سوابية Swabian من « إسلينجن » Esslingen ، فقد « النيكار » Neckar ولكن بقطع النظر عن ذلك لم يكن غير الاسم هو المخترع في « آل بودنبروك » . وهناك اسم استعاره أبسي من « تيودور فونتانه » Theodor Fontane الذي كان أبي يحبه كثيراً في ذلك الوقت وبعده . وكان فونتانه ما يزال حياً عندما بدأ يكتب في « آل بودنبروك » . ويظهر السيد فون بودنبروك في « إفي بريست » E. Briest منذ أن لا يقوم إلا بدور صغير جداً .

كان أبي في أعماله الأخيرة أكثر ابتكاراً ، وأقل انتزاعاً بشكل مباشر من الحياة كما كان في أعماله الأولى . إذ كان بالنسبة إلى البقية لا يحتاج إلا إلى القليل جداً من الانطباعات الخارجية . والبقية ، وهي الجزء الرئيسي ، يزودها بذهنه . ولم يعمل مثل « زولا » الذي قبل أن يكتب رواية عن استخراج المعادن من المناجم ، عاش عدة أشهر في قرية من قرى



□ ذكريات عن أبي « توماس متن » □

المناجم في فندق بوصفه مسؤولاً عن غرف النوم ، أو مثل « فيكي باوم » Vicki Baum التي قبل أن تكتب روايتها « أناس في فندق » People in a Hotel اشتغلت بضعة أشهر خادمة لغرف النوم في أحد الفنادق . فهذه أمور كانت تصدم أبي بفراحتها ، وهو لم يكن طبيعياً naturalist . والمسألة عنده هي الملاحظة عن بعد بحذر وخلال مدة قصيرة ، والنظر من الداخل الى الخارج .

وفي روايته القصيرة الساحرة « صاحب السمو الملكي » صور أبي قصر أمير الماني . ولا ريب أنه وجد في عدة مناسبات في مثل هذا القصر مدة ساعة ؛ ولاحظ في بعض الأحيان أميراً المانيا عن بعد ، ولكن ليس هناك ما هو أكثر من ذلك ، فكانت القبة تأتي من نفسه ، من حدسه ولا شك . وما كاد ينتهي الرواية حتى زار بنفسه من المناسبات صديقاً قديماً له من أيام المدرسة ، وكان موظفاً كبيراً في قصر قائمار . فكتب من قائمار على وجه التقريب كما يلي : « ان الامور هنا هي كما صورتها في روايتي . الا انني مسرور انني اراها اول مرة الآن ، في مرحلة متأخرة ، وان رؤيتي الداخلية ، او حدسي لم يتشوش بالانطباعات الخارجية . » وهذا ما اعنيه عندما اقول انه كان يشعر اساساً انه راوي قصص خرافية اكثر مما يشعر انه واقعي او حتى طبيعي . لقد كان ينشئ عالماً شعرياً مختلفاً ولا يصور بدقة عالماً حقيقياً . وكان يفكر بشكل غير فني وغريب عن المادة والفن في المسألة المتعلقة بأي شخص من اشخاصه قد انتزعه بدقة من الحياة ، واي شخص ركه من نماذج متعددة ، واي شخص ابتكره بحرية .

وكان حكمه حوله اعماله يتباين . ففي احدي المناسبات اعلن ان كتابه الاول « آل بودنبروك » هو وحده الذي سيبقى . ومع ذلك فقد

كان هذا الحكم ناتجا عن حالة نفسية حزينة أكثر مما كان رأيا حاسما .  
 إذ كان مغرما بوجه خاص بروايته القصيرة « الموت في البندقية »  
 Death in Venice . وكان كذلك يهوى كثيرا روايته القصيرة المرحية  
 « السمو الملكي » . وقد عد أهم رواياته ، وأجرا أعماله تلك الرواية التي  
 ملاحا بارادته الطامحة ، والتي أكدت لسوء الحظ وعلى الأقل في ألمانيا  
 أنها أقل رواياته شأنا ، وأعني بهاروايته الكتابية biblical الكبيرة « يوسف  
 وأخوته » Joseph and his Brothers .

لم يكن يتحدث عن أعماله . ولكنه إذا أنهى قطعة ما ، كان يحب أن  
 يقرأها لنا في المساء ، مستخدما فن التمثيل الذي كان يتميز به . وحين  
 يقرأ مشهدا ، كمشهد التفتيش في « فليكس كروول » الذي أصبح فيما  
 بعد بالغ الشهرة ، كنا نسقط من الكرسي من الضحك . ومن حين  
 إلى آخر كان في السنوات الأقدم يقرأ لنا القصائد ، ولكنها لم تكن على  
 الدوام إلا القصائد الهزلية ، أو القصائد الجديدة ، بل القصائد الجميلة  
 التي تقوم سرا بدور مهم في أعماق روحه . وكانت هناك مجموعة من  
 الأغنيات القصصية والقصائد التعليمية من أوائل القرنين الثامن عشر  
 والتاسع عشر تدعى « عندما أخذ جدي جدتي » لم يتعب أبدا من أن يلقي  
 علينا منها أغنية « فريتس » Friz التعليمية المخيفة « عاشق الإطعمة  
 اللذيذة » ، الذي ابتلع ، بدلا من السكر ، شيئا كان في أغلب الأحوال  
 زرنixa ، أو الأخوين إهني « هر فون هارن » Herr von Harren ، الذي  
 كان يعيش قبل ثلاثين سنة في قريته « فولبست » Wölpt ورعى ولديه  
 بنفسه ، ولكن من الواضح بشكل تعوزه الصرامة ، لانهما أخذا زورقا  
 التجديف - وهذا مالا ينبغي أن يفعلاه - ففرقا . « أطعموا آباءكم أكثر » .

□ ذكريات عن أبي « توماس مان » □

وهو نفسه قد كتب قصائد جدية وذلك عندما كان شابا فقط ،  
ومن ثم راحت تظهر في ثنايا نشره بين حين وآخر بعض الابيات أو العبارات  
المسجوعة . ولا بد انه كان في شبابه ميالا الى السوداوية - وادل عمليين  
له وهما « آل بودنبروك » و « تيونير كروغر » Tonio Kröger يشهدان  
بذلك - ولكنه كان ميالا كذلك الى البهجة والاضحاك . وفي احدى المرات  
الف مع اخيه الاكبر هاينريش Heinrich ، الذي اصبح كذلك روائيا  
رفيع المنزلة كتابا مصورا ذا أشعار ، بوصفه هديه لعبوا الى حد ما  
بمناسبة تثبيت عماد اخواته . وكان أجمل ما فيه هو الرسوم ، التي  
لها اسلوب « التبسيطية الميونيخية » التي تأسست في الوقت نفسه  
تقريبا . وما ازال استطيع ان اذكر الاغنية المخيفة التي لها طبيعة  
المحاكاة الساخرة والتي يتصدرها « البارون توبياس » Baron Tobias  
وكانت تسير كما يلي <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

[ ذهب البارون توبياس الى الفراش ، ولكنه فجأة اصبح شاحبا  
شحوب الموت ، فأنصت جزعا ، فسمع وقع خطوات في بيت اسلافه المجاور .  
مضى لانه لم يكن جيبانا ، وكانت تجلس ثمة ، وهي ضاربة الى  
البياض ، وتحدث وتحدث بصوت مكتوم : « هو هو ! انا جدتك ! » .

وقع البارون توبياس على الارض ، يملؤه الرعب والبرد ، ولم  
يستطع ان يتفوه بكلمة الا ان الایماءات المرتعبة للشخص المسكين من  
الممكن رؤيتها في تلك الصورة هناك .

وجده الناس في الصباح وايقظوه في آخر الامر بصعوبة ، وقضى  
نحبه في الظهيرة ، ضحية الحادثة المفزعة ] .

□ ذكريات عن أبي « توماس مان » □

لسوء الحظ ضاع هذا الكتاب في اضطرابات الازمان . ولعله عند شخص ما في المانيا ، في موضع ما ؛ الا ان من يحصل عليه لن يفشي سره ، وقد لا يعرف اي كنز صار بحوزته .

ولم يصادف ابي ، بوجه عام ، مناقشات حادة لميله ، سواء بين الاسرة ام بين الضيوف . فالتقاش كان يحدث دائما في نفسه ، وهو جدل داخلي يصبح ابداعيا في عمله . وكانت الآراء المتجمدة في جانب واحد ، والفرضيات الشخصية التي تزعجه لا تهمة بشكل اساسي . وكان ، وهو يحمل طبيعة ذهنه ، يعرف ويشعر ان كل امرئ هو في معظم الاحوال مصيب ومخطئ معا .

وفي مقالته حول « فريدريك الكبير Fredrick the Great ملك بروسيا ، التي يرى فيها انه سواء كانت « حرب السنوات السبع » حربا هجومية ام دفاعية من جانب الملك ، فانه يقول : « ان الوصف متناقض . فبمقدار ما يهمنى الامر ، فيجب ان نفضل ان نبقي صامتين حين نسال ، لاننا نرى ان الصمت هو نتيجة الآراء في الحياة والاعمال التي يلقي بعضها بعضا » . ولذلك فان الصمت هو الحصيلة ، وينجم عن الموقف نفسه من الحياة والاعمال النقاش الشديد ، ولا اقول السخرية التي تناقش الى اقصى حد ، بل ان القضية عرضة لاقصى النقاش من الآخرين .

وفي قصيدته القصصية « باشان وانا » عدة جمل يمكن ان تظهر لنا اية مشاعر مشجعة على النقاش كانت تثيره ابان الحرب العالمية الاولى . وهو يكتب فيها : « ربما كان ثمة ضيوف في البيت ، والان قد ذهبوا ؛ وبقي الامر وحده خلف جدران ، مرهقا من المحادثة ، في حين ان انفاس الغرباء ما تزال ترفرف في الجو . فيستحسن اذن الخروج والتجول بعض

□ ذكريات عن أبي « توماس مان » □

الوقت في شارع غيلرت وشارع شتيفتر للتنفس بحرية واستعادة الوعي .  
المرء ينظر الى السماء ، والمرء ينظر الى اعماق الاهتزاز الناعم الجميل  
للاوراق . وبهدوء اعصاب المرء تعود السكينة والجدية الى الذهن » .

كان بحاجة الى الجدية والهدوء من اجل حياته وعمله . وقد تساءل  
مرة في مقالة قصيرة : « ما مزاج العمل ؟ انه الذي نال نصيبه الكامل من  
النوم ، ومن الكتب الجيدة ، والهواء النظيف ، والقليل من الناس ، وهو  
الطمأنينة ، الطمانينة » .

لم يكن محتملا عنده ان يعمل تحت الضغط . وكان بعيدا عن تصوره  
كل البعد ان يعمل تحت تأثير الكحول . وما حدث في الحقيقة سوى مرة  
واحدة - حسب معرفتي - ان انهي في الليل عملا له موعده بمساعدة  
زجاجة شمبانيا . وقد كان ذلك العمل تغديرا لـ « فريدريش شيلر »  
Friedrich Schiller بمناسبة مرور قرن على وفاته ، وهو الرواية  
القصة الشيلرية الجميلة « الساعة البطيئة » Heavy Hour التي كان  
يجب ان تصبح جاهزة في اليوم التالي . وبعد خمسين سنة تحدث في  
الذكرى المائة والخمسين لوفاة شيلر مرة اخرى باجلال اشد .

لقد شكلت قراءة الكتب الجيدة في المساء جزءا من عمله ومن مزاج  
العمل عنده . وعاد المرة بعد المرة الى اساتذته ، الى الكلاسيين الالمان ،  
وفي المقام الاول منهم غوته ، الذي كان يعرفه معرفة شاملة ، وتولستوي  
ودوستويفسكي وفلوبير وديكنز وناكري وفونتين و « غوتفريد كيلر »  
Gottfried Keller . وسواهم . وكان يقرأ الى ذلك الاعمال الحديثة ،  
ولكن يغلب عليه في ذلك الشعور بالواجب لانها كانت ترسل اليه ولانه

كان يريد ان يكتب للمؤلفين كلمة ودية حولها ، فضلا عن انه كان يقرأها لتثقيفه ومتعته . وكان ما يفعله بهذه الكتب هو ما يسميه « احداث الصلة » الذي بناء عليه كثيرا ما كان يرسل الى الكتاب رسائل كلها ود شديد فتستخدم على الفور في اعلان الناشر وتجلب له سمعة الافتقار الى النقد . لقد كان نزاعا الى النقد بالتأكيد ، ولكنه ذو طبيعة طيبة يتطلب ويتوقع القليل من الآخرين ، واقصى الجهد من نفسه .

وهو ، بوصفه فنانا ، مبتكر جريء او كان يعد كذلك ، رغم ان ذوقه كان محافظا ، بشده على الدوام الى الازمان القديمة الجميلة . وكانت عاداته الحياتية محافظة ايضا ، وكذلك سلوكه اليومي ، لانه كان يسير دائما على المتوال نفسه الذي يدعو « رصيفا » له . وعندما بنى دارا في ميونيخ سنة ١٩١٤ ، اعتقد انه سيعيش فيها حتى نهاية ايامه . وان اصف كم كانت صدمته بالزواج فظيمة . ورغم ذلك كان لا بد له من ان يغير مكان اقامته في اربع مناسبات - الى سويسرا ، وامريكا الشرقية ، وامريكا الغربية ، وسويسرا مرة اخرى - ومكان الإقامة هو على الدوام وبعد كل حساب « الفيلا » villa المتواضعة نفسها قرب المدينة ولم يكن مكتبه بعيدا عن منزله ، كما يمكن للمرء ان يرى ذلك في « محفوظات توماس مان » في زوريخ . وقد دافع عن نفسه وحافظ على استمرار وجوده ، واستمرار عمله ، بقوة من الارادة بالفة الصلابة ، على الرغم من الازمان العاصفة التي كانت تهدده . ولم يكن يعرف الهموم المالية ، رغم انه كان لديه في بعض الاوقات السبب الذي يجعله يقلق حولها . فما كان يفكر كم يملك او هل يملك شيئا . واذا صادف ان ذهبت امي في رحلة ، فكان ما يفعله واقعيا هو اقتراض المال لانه لا يعلم في اي

□ ذكريات عن أبي « توماس مان » □

مصرف حفظ ماله . ولم يكن يختار موضوعاته بعين النجاح التجاري ، كما حين اختار أن يكتب ويتم روايته عن « غوته » وهو في أمريكا ، وهو امر قد يخشى فيه المرء الا يشتري الامريكيون الرواية لانهم غير مهتمين بـ « غوته » . وقد يوصف هذا الموقف بأنه متصلب او دال على الاستقامة . ولو كان كذلك فهو غير مدرك له لان المشكلة غير ماثلة امامه .

وكان من اجل استعادة نشاطه والتحرر من التوتر العصبي ، ومن اجل تطهير روحه يحتاج الى الموسيقى . وفي شبابه كان يعزف على الكمان بجمال فائق ويهوى الارتجال على البيانو . الا انه بعدئذ صار « الحاكي » هو السبيل المريح الى اشباع حاجته الى الموسيقى . وكما هو معروف ، كان يحب « فاغنر » Wagner اكثر من كل من عداه ، وكتب عدة مقالات بارعة حوله . واحب كذلك الاعمال الالمانية الرومانسية ، وبشكل اساسي « الليد » the lied الموجهة للصوت المنخفض .  
و « ايشندروف » Eichendorf — مع اللحن .

وكان يريد التخفف من الاصحاب ، وليس ذلك جديدا ، ولكن بدا له ان سعيه عقيم . فزيارة يقوم بها تشارلز تشابلن Charles Chaplin او « اميل جانينز » وما يقدمه مثل هذين الضيفين مسرحيا على سبيل النوادر كانا مما يروق له الى حد بعيد وهو يسر بهما . اما الضيوف الذين كانوا يضجرونه او يجهدونه من غير طائل ، فكان ينشغل عنهم باللهو بأسطوانات الحاكي بلهفة شديدة ، وكأنه يقرأ هذه الرغبة في أعينهم . وقد يحدث أن يخيب هذا النمط من الصحبة الامل عند بعض المعجبين ، ولا سيما الشبان . وقد اكدت لي طالبة امريكية اخذتها اليه عدة مرات : « ماله ، انه لا يقول اي شيء عميق » .

وكان العنصر العميق في عمله ؛ وكان كذلك لمن كانوا اشد حساسية بقليل لتأثير شخصيته ؛ وكان نادرا في حديثه . ولا ريب انه كان يرى انه من عدم الذوق ان يقال شيء عميق عند وجبة الطعام ، واعطاء الشبان قولا عميقا وغنيا في الحياة . ورغم ذلك فقد كان الضيوف الاشد سذاجة هم الذين يتوقعون مثل هذا الرجل الشهير . اما هو فكان يفضل اضمار التفوه بالمبارات العميقة .

وذات مرة سمعت ابي يتحدث عن « غير هارت هاوبتمان » Gerhardt Hauptmann ، من شكوكه في انجازاته ، في لحظة افتخار مقرون بالتواضع ، « كان حقا الـد الرحيم ، والكفو الوحيد » . وما من شك انه كان يعني انه النظير الوحيد بين الالمان ، بين فناني العالم داخل المانيا . والمقصود بذلك انه لا يعد « غريم » Grimm و « كولبنهاير » Kolbenheyer و « شتر » Stehr وسواهم من زملائه أندادا له . وانا لا اعتقد البتة انه كان يشعر بالتفوق على « هوخنستال » Hoffmannsthal او « هرمان هسه » Hermann Hesse ولعله لم يكن يشعر بالتفوق حتى على « ياكوب فاسرمان » Jakob Wassermann الذي لم يعتقد انه اقل منزلة ، وانما ذلك هو مجرد نوع مختلف كل الاختلاف من اساليب الطموح والفن والحياة . وكان كل هؤلاء الانداد يأتون بين حين وآخر الى منزلنا في شارع بوشينغر في ميونيخ . وكان بينهم على العموم جو من الاحترام والاهتمام والتفاهم وحتى الصداقة . ولا اقول انه جو من عدم الثقة والتنافس . فهؤلاء الكتاب المرموقون الذين ابدعوا اشياء شديدة الاختلاف ، كانوا من الفردية الى حد انهم لا يشعرون بوجود الآخر كائنا يهددهم . على انني لا اقول كذلك انهم كانوا يتحدثون عن اسرار فنهم ، وانهم كانوا يعلنون امام بعضهم خطط اعمالهم ومشكلاتها . اذ حول



□ ذكريات عن أبي « توماس مان » □

هذه الناحية يسود التحفظ . كان هؤلاء الناس يتحدثون عن المسائل العامة ، والأمور التي تربطهم ، وليس عن الأمور التي تخص كل فرد منهم . والاستثناءات العرضية تؤدي يقينا إلى تأكيد هذه الملاحظة .

و ذات حين رحب ياكوب فاسرمان بأبي عندما التقاه بهذه الكلمات :  
« انني لم ارتفع إلى هذا العلو من قبل » . فأجابه أبي : « أوه ، الم تصل إلى ارتفاع ألفي متر ؟ » قال فاسرمان : « لا ، أقصد بروايتي الجديدة » . لقد كان العمل الذي انهمك فيه في ذلك الوقت وعده أفضل أعماله — كما لا بد للكاتب أن يعد العمل المنهمك فيه أهم أعماله — هو روايته « اتسل اندرغاست » Etzel Andergast . وكان لدى فاسرمان بعض الميل إلى التباهي لعله يتبطل بأنه جاء من بدايات متواضعة ، وعلى الأقل في بضع سنوات ، أصبح موسيرا يعمل ويعيش في ترف باذخ . وقد تعود أن يخبرنا بسرور عن الأثمان التي اضطرأ عليها أن يترك اللعبة الكرتونية التي كانت تحتوي على كل امتعته شهورا متواصلة في مكتب الامتعة الإيسر لأنه لا يملك المال ليدفع المبلغ المطلوب لاستردادها ، وكيف يتذكر ذلك مسرورا في الظروف التي يعيش فيها الآن ، حيث الألعاب في « مونت كارلو » ، والرحلات المترفة إلى أمريكا ، ومقره الريفي في « الت — أوسه » Alt - Aussee . وكان يمزج فخره بما حققه بشيء من السوداوية ، وميل إلى الكآبة ، يخففه شيء من الهزل اللعوب . وكثيرا ما كان يأتي من ملاده في « سالزكاميرغوت » Salzkammergut إلى مونيخ . وكان يقرأ كذلك بصوت مرتفع . وقد كتب أبي في إحدى رسائله : « أن ياكوب يقرأ من روايته الجديدة بصوت مرتفع في مناسبات عدة ؛ أنه مدهش جدا وهزلي إلى حد ما ، شأنه دائما » .

وما دمنا نتحدث عن الزيارات ، فانا اذكر ايضا زيارة قام بها الفيلسوف « هرمان كاونت كايزرلنغ » Hermann Count Keyserling . في ابان الحرب العالمية الاولى كذلك - قامت خلالها امي ، تكريما للضيف الكبير ، بترتيب كل ما اختزنه من « السلامي » salami الفاخر والسمن الصناعي على امل ان هذا الكونت لن يتناول منهما الا بشكل رمزي . الا انها اخذت تراقب بأسى متزايد كيف التهم الكونت والكونتيسة كل الطعام الشهري بمنتهى الاناقة . ان مالك الارض البلطقي ، كما كان حين زارنا او كما كان بالتأكيد ذات يوم ، لم تكن لديه اية فكرة عن الظروف البائسة التي كنا نعيش في ظلها في ذلك الحين ، وقد تناول الكونت كايزرلنغ الطعام معنا مرة أخرى في العشرينات ، وبوسعي ان اذكر ان الفيلسوف ذا البنية الضخمة والفظ الى حد ما قبل خيل الى المائدة بطريقة غريبة قلبت كل الكؤوس التي ملئت لتوها وظهر ارتباك انقاص الغيمة على نحو كيس قابل للفهم . وبعدئذ ، وبعد انتهاء العشاء كان تبادل الاحاديث ، وملئت الكؤوس من جديد ، وهنا اظهر كايزرلنغ كل الثقة الدنيوية بالسيد الكبير . وكان ابي قارئاً رائعاً وذا تعبير في الكلام جميل ، ولكنه لم يكن خطيباً . وكان يستصعب الحديث العام ، والحديث الرسمي ، واذا لم يقرأ من نص مكتوب ، قرأ ما عده والفه بعناية . والحديث الحر المحسن امر لم يتعلمه الا قبيل انتهاء حياته ، اي في امريكا ، التي ارحت مشيئته، وعاداته في حد ذاتها - ولعلي اقول - بشكل ديمقراطي . وكان كايزرلنغ يجيب بجمل مرتجلة انيقة جميلة السبك . وانا لاعلم اثار ابي بذلك ام لا . فهو عموماً لا يثق بأولئك الذين يكون الكلام شديد السهولة عليهم ، الذين يتكلمون بشكل كامل ، والذين يتكلمون كالكتب المطبوعة ، والذين يقطعون جملهم المنطوقة بشكل صحيح ، وكان لها فواصل وفواصل منقوطة .

□ ذكريات عن أبي « توماس مان » □

وقد تفوق عليه في هذا المجال الكثير من رجال الادب ، الا ان نادرا ما حسدهم على هذا التفوق . ومن المحتمل ان الامر نفسه ينطبق على هرمان هسه ، الذي كان أبي يضمر له صداقة اصيلة عزيزة . وقال ذات مرة قبل النهاية باختصار : « اي عجوز ساحر هو . » اما نظيره الوحيد الا وهو غير هارت هاوبتمان ، فكثيرا ما كان أبي يتحدث عن علاقته بهذا الكاتب العظيم . وفي لقائهما الاول الطويل قليلا ، كان لهذا اللقاء تأثيره في شخص من شخص « الجبل السحري » وهو « مينهر بيركورن » ، وفي لقائهما الثاني كانا جيرانين في جزيرة « هيدنسي » ، اما لقائهما الاخير او بالحري عدم تلاقيهما ، فكان في مخزن في شارع بانهوف في زوريخ في الثلاثينات ، يومه كل الناس ، اذا جاز لي ان اكتب ذلك لتاريخ الادب . ففي الثلاثينات كان أبي في إحدى المرات يشتري ربطة عنق في دار للزياء في زوريخ مؤلفة من طابقين ، فقال له المساعد : « لقد كان عندنا في هذا المخزن كاتب شهير آخر » هو السيد هاوبتمان . اتود ان ترحب به ؟ « اجابه أبي : « اوه ، لا ، فالأفضل ان ننتظر ذلك حتى نهاية الرايخ الثالث . » فقال المساعد : « لقد كان هذا هو على وجه الدقة مقال السيد هاوبتمان ايضا . »

وماتزال حية جدا في ذاكرتي زيارة هاوبتمان في مونيخ ، وهي كذلك في شارع بوشينغر ، بمناسبة الاحتفالات بعيد ميلاده السبعين . ان قوة شخصيته ، وقوة فعاليته ، اللتين سحرنا أبي كثيرا ، قد شاركة فيهما كل الحاضرين ، بمن فيهم اخوتي الصغار واخوتي اللواتي لم يزلن طفلات ، بالإضافة الى الفتيات اللواتي كن يقمن بواجب الخدمة في المائدة - لقد كانوا جميعا يعيشون حقا في ازمان ماقبل التاريخ . وكما في حالة « مينهر بيركورن » ، فان هذا الانطباع القوي لم ينشأ كثيرا مما قاله هاوبتمان ،

وانما اتى مباشرة وبشكل سري من ذاته . وفي بعض الاحيان كان ماقاله ملكيا ، وشكليا ، ومعقدا . وفي لقائه الاول مع امي ، خلال اسابيع غوته في فرانكفورت سنة ١٩٢١ ، اخبرته ان لها ابنا عمره سنتان . وكان هاوبتمان صامتا قليلا ثم سألها بوقار : « آمل ان الصغير ناجح ؟ » .

وفي وجبة الغداء سنة ١٩٣٢ كان مبتهجا هائجا بسبب الاحتفالات الكثيرة المرتبطة به . وكان في المساء احتفال في دار البلدية القديمة في ميونيخ ضم كل اصحاب المقام الثقافي وبعض الشخصيات السياسية في المدينة ، ومن هؤلاء كارل فالنتين ، ولييزل كارشتات وعمدة المدينة الدكتور شار ناغل ، الذي لايعرف التعب في هذه المسائل . وفي هذا السياق يخطر في بالي احتفال آخر حدث قبل سبع سنوات هو الاحتفال بعيد ميلاد أبي السبعين . وفي تلك المناسبة ايضا تحدث عمدة المدينة الطيب شارناغل ، وكان الذي صعد وألقى كلمة الى . وقد احب اسلوب حياته المحافظ البرجوازي اللافت للنظر ، وراى فيه شريف « اللوبيك » Lubevk الذي تهيأ جيدا لحياة عاصمة بافاريا المحافظة . وقد قال له : « لقد وجدت طريقك معنا . انت مواطن . وقد ابدعت شخصيات برجوازية قوية سليمة نستطيع ان نتعلق بها . » وكان يبدو لي ان « توماس بودنبروك » او « هانو بودنبروك » شخصان مثاليان لايمكن التعلق بهما ، حتى في ذلك الوقت ، واقول ذلك بشيء من الجراءة . وبالنسبة الى بقية الشخصيات ففيها شيء من ذلك بالتأكيد ، بالاضافة الى مافيها من خلافه . اما أبي فانه في حياته - وكما هو معروف من العبارات الشهيرة - قد تعلق بشخص ابيه الذي صورته في شخصية « توماس بودنبروك » ومائله مع نفسه الى حد ما .

□ ذكريات عن أبي « توماس مان » □

وحين فقد سنة ١٩٣٣ معظم مدخراته إبان اللصوصية السياسية، قال لامي: « هذا متمائل أيضا . » وفهمت في ذلك الحين ماكان يعنيه. انه متمائل مع قدر ابيه الذي تكبد كذلك خسارة مالية باهظة في أوج حياته ، وقد اشير اليها في « آل بودنبروك » أيضا . وعلى غرار غوته ، كان ابي يقول : « لقد اخذت مكاتي ، وموقفي الجدي من الحياة من ابي . » وكان يشعر على الدوام انه ابن تاجر . وكتب مرة بشيء من الفخر : « آمنت بالمساواة بوصفي ابن تاجر . » ولقد نقل جديّة التاجر وتاديبته للواجب وقواعد عيشه الى المجال الفني.

ولا اود ان احدد بدقة أهمية هذه المآلات في حياة ابي، فلهي حقا لم تكن تعني له شيئا ، ولكنها كذلك لم تكن تخلو من الغنى المازح والخرافي الساخر ، وهي في آخر الامر ترتبط بعلاقته المعترف بها بـ « غوته » ، التي كثيرا ما اتفخها الآخرون . وهو على اعجابه العميق بـ « غوته » ، وحبه له لم يكف حياته ولما له الا قليلا . واتذكر انني رايت ذات مرة في سيرة غوته ، على الصفحة التي ذكرت فيها المركبة التي اشتراها في عامه الخمسين، ماكتبه ابي بقلمه على الهامش : « في الخمسين ! » وكان واضحا ماقصده . فقد كان هو نفسه قد اشترى اول سيارة وهو في الخمسين من عمره . كان يتسلى كثيرا بهذه المصادفات الصغيرة . وقد اكدت له اللعبة التي كان يلعبها والتي بلغت ذروتها في الفصل السابع من روايته « لوته في فايمار » . . ولم يكن من قبيل المصادفة ان الفصل كان السابع ، لانه كان يرى ان العدد (٧) عدده ، وقد رتب الامور ذات الالهمية الشديدة عنده بطريقة تتزامن مع العدد (٧) ، ومن ذلك مثلا أن « هانس كاستروب » Hans Castrop يظل في « دافوس » Davos سبع سنوات ، وآمن كذلك ، وتنبأ في مسودة سيرته الذاتية انه سيموت في السبعين من العمر ، وتسلت مجلة « تايم » Time الامريكية

بارسال مراسلها الى منزله بعيد يوم ميلاده الحادي والسبعين يحمل اليه السؤال كيف يشعر آتئذ . فاجابه انه مايزال حيا ، ولكنه مريض بشكل خطر ، والنبوءات من الممكن ان تتحقق الى حد بعيد وبطريق الايحاء . وقد ارتبط هذا المرض ايضا - وهو سرطان الرئة - بالكتاب الذي كان يعمل فيه في ذلك الحين والذي ضايقه اكثر من أي كتاب آخر ، واعني به « الدكتور فاوستوس » ، وبفصل معين من هذا الكتاب ، وهو فصل الشيطان . وقد يقال ان ذلك شيء خرافي - وانا لا اود ان اقرر . وفي حياته مواقف نصف جدية ، ونصف هازلة بسخرية . ولعله اعتقد ان الاوضاع والامور التي صورها ميالة الى الموت وتنتهي اليه ، وانه لم يستطع ان يفهمها ويصورها بطريقة أخرى . ومن الامثلة على ذلك الطبقة الوسطى الشريفة في « آل بودنبروك » ، والملكية الالمانية في « السمو الملكي » ، والمصححة الالمانية في « الجبل الحجري » . وعندما مات كلبه المفضل ، الذي صور في قصته القصصية « باخان وانا » ربما جعله ذلك وهو يعمل في الكتاب يعتقد ذلك ايضا . ولولما فكر كذلك ان سامي البريد سوف يحمل اليه ، لاعت طريق الطلب بل المصادفة ، مادة مطبوعة يستطيع ان يستفيد منها في عمله .

كانت هذه الافتراضات تنشأ عن المنفعة أحيانا ، وأحيانا أخرى عن الطبيعة الساحرة رغم قوتها ، والتي على الفنانين ، كما كان يعتقد ، ان يسموها الى سيرتهم . وقد لاحظ في حالة غوته وتولستوي ، وهي تنطبق عليه كذلك ، كم من الكثير الذي قاله في الفنانين الآخرين انطبق عليه ونشأ من تجربته كما نشأ من ملاحظة القريب . وما يرتبط بهذا الاهتمام التحقيقي بوجود الفنان هو انه كثيرا ما اعترف في الكتابة واعطى اشخاصه جزءا من نفسه ، ولن اقول انه صور نفسه . ووضح صورة الذاتية في شبابه هي شخصية « تونيو كروغر » Tonio Kröger ، ومع ذلك فقد

□ ذكريات عن أبي « توماس مان » □

اعطى الكثير من ذاته لشخصياته الاخرى كذلك ، مثل « غوستاف اشبناخ » في « موت في البندقية » ، و « الامير كلاوس هنري ، والفشاش فليكس كروول ، وبطريقة اخرى لبطل « الدكتور فاوستوس » ، والمؤلف الموسيقي ارديان ليفركون Ardian Leverkühn . وحول « الدكتور فاوستوس » كتب في احدي رسائله : « إنه كتاب عن حياة شبه انعدام الحس الذي لايمكن الصفح عنه ، وهو نوع خاص من السيرة المنقولة . » وكان يؤمن ان الفنانين العظام يجب ان تكون لديهم درجة عالية من الثقة بالنفس وتوكيد الذات ، وينبغي ان يعدوا انفسهم اناسا مختارين الى حد ما من اجل ان يكونوا قادرين على الابداع ، واذا لم تكن لديهم هذه الثقة بالنفس لن يستطيعوا ان يؤكدوا انفسهم . وما من ربيب انه كانت لديه هذه الثقة بالنفس . فكان يرى انه طفل الاحد ، شأن الشخصية التي ابتكرها « فليكس كروول » ، ذلك الفشاش المرح الفكاه المحظوظ الذي ولد في يوم الاحد . وكان يعد علاقته بامته الالمانية علاقة حميمة وسعيدة للغاية ، يؤمن انه مصطفى من الاخوة من المتحيزين ضد ايرانيه الالمان واضفاء الشكل الفني عليه . ومن ثم فقد اربكه كثيرا الاغتراب عن المانيا الذي بدا زهاء ( ١٩٣٠ ) . ولذلك صدمته الهجرة ، التي بدأت اولا الى سويسرا ثم الى امريكا ، بوصفها صعبة الاحتمال ، ولهذا السبب لم يكن يريد ان يتحمل التكلم بلغة اخرى غير الالمانية في بيته ، حتى في كاليفورنيا: وكتب ذات حين وهو في بلاد الغربة هذه الجملة المتكبرة : « حيث اكون انا تكون المانيا . » ولهذا السبب سره التصالح الاخير مع المانيا ، ذلك التصالح الذي بلغ ذروته بخطابه عن فريدريش شيلر ، الذي القاه في شتوتغارت وهو في الثمانين من العمر يستجمع آخر قواه ، والذي كان نشيده الرائع .

لقد قلت انه كانت لديه درجة عالية من الثقة بالنفس ، ووعي شديد بمسؤوليته. ومن المسلم به ان ذلك يرتبط ايضا بشكوكه في فنه ، وشكوكه

□ ذكريات عن أبي «توماس مان» □

في كتابته في حد ذاتها . وكان في الكثير من الاحيان ، ولا سيما في سني شبابه ، يعتقد انه اذا تعلم ماهو مناسب وكان مواطنا نافعا فان ذلك خير له من القيام بتوافه الامور مهما كانت نتائجها . وكان يرى كذلك ان فنه حديث جدا ، شديد النضج ، مفرط الوعي ، ويؤمن بالحظات المظلمة التي لم يعد الناس فيها يستطيعون ان يفهموه ، وأنه لن يأتي بعده من هو اهم منه بكثير . وأنا الآن حين اقرأ مايكتب اليوم واقارنه بأعماله وأعمال عظماء الادب في القرن التاسع عشر افهم تقريبا ماكان يعنيه. ورغم ذلك لا اود ان أقول انه مصيب ، وما كان هو ايضا يريد أساسا ان يقول انه مصيب . لقد كانت تنتابه نوبات من التشاؤم ، في شبابه عندما كان قارئاً شرها لـ « شوبنهاور » Schopenhauer ، وكذلك في اواخر أيام حياته في الخمسينات عندما كان واضحا ان الآمال التاريخية لم تتحقق والبنفس قد قسم العالم مرة بعد أخرى ، وظلت في الأفق أخطار حرب جديدة . ولم يكن في ذلك الوقت قادرا ان يتجنب الشعور بأن الأشياء معدومة الأمل مع البشر وأن أعماله كذلك ، هي مع أعمال كل شخص يناضل بأقصى مايستطيع ، لاطائل وراءها .

وكان قد اختار ذات يوم ان يكون هدفه هو « نشر شيء من الضياء الشديد في العالم . » ولم يعد يوجد اليوم من هذا الضياء الشديد المعترف به الا القليل. وفي إحدى المرات، وبسبب السلوك القاسي لموظفي الجمارك، وهي في حد ذاتها حادثة غير مهمة ، سمعته يقول بتعبير لن أنساه : « إنه لما يشير الاشتمزاز ان يعيش المرء بين الناس . » كان ذلك قبل وفاته بوقت قصير . وفيه كان يتحدث كمن لم يعد يشعر بالانتماء الى هذه الحياة . وأنا لا أعد ماقاله هنا آخر كلماته ، فذلك كانت حياته كلها، ولاسيما في أعماله الأخيرة ، تألق « فليكس كرول » ، والمراقبة المتمثلة في روايته القصيرة « الفرد المصطفى » The chosen one ، وقد كان



يرى اليأس غير فني وغير أخلاقي ، ولا يقيم فارقا من حيث المبدأ بين الفني والأخلاقي ، وذلك يعني أنه قد يقال فيه أي شيء إلا أنه عاشق للجمال . وفي مقالة صغيرة من مقالاته المنسية تساءل لماذا هو يكتب الكتب ، وكان جوابه هو مايلي : « من خشية الموت وخشية الله . » وبكلمات أخرى ، هي ليست وليدة الطموح ، ولا لكي يصبح مشهورا ، ولا لكسب المال - فهذه كلها بواعث ثانوية - بل لأن ذلك واجب ، كما من واجب أي امرئ أن يحقق حياته بالعمل وبذل أقصى الجهد في ذلك . وهكذا ، لم يكن يرغب في الجملة القذرة ، ولهذا السبب كانت لفته جميلة . وكان شاكرا بعمق للناقد الذي كتب ذات مرة عن أحد أعماله الأولى : « في كل كتاب ينشره هذا الكاتب الشاب يبدو أنه يقول : سترى بنفسك أنني لم أستطع أن أكتب أفضل من ذلك . » وكان طموحه في الحقيقة هو أن يجعل العمل جيدا على قدر استطاعته ، مع بذل أقصى الجهد حتى نهاية العمل . ولم يتوقف عن العمل . وظل يعمل تقريبا حتى يومه الأخير .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وفي هذه السنوات يسير بي الدرب أحيانا الى مدينة طفولتي ، مونينخ ، وإلى ذلك المكان الذي كانت تنتصب فيه دارنا التي اختفت الآن والتي كانت « رصيف » أبي ، وجادة فورينفر تدعى الآن « جادة توماس مان » . لقد تبدلت المدينة كثيرا منذ ذلك الحين ، ولكن الشارع الذي يحاذي النهر ظل كما هو ، بل يبدو وكأنه أصبح أشد هدوءا ، والشجيرات أكثر كثافة . ولعل أصحاب « الفيلات » المحظوظين لا يشعرون بذلك ، ولكن مايسحرني أنه شارع يكثر التردد عليه ، كقطعة من الماضي، ويبدو لي أن السيد وكلبه سيظلان يتلاقيان فيه خلال سيرهما كما كانا قبل أربعين أو خمسين سنة .



# لغة السويسرية

## في سويسرا الناطقة الألمانية « لغة خالصة »

• إليزابيت بولفر



ARCHIVE

أولاً :

سويسرا بلد ذو لغات أربعة : الألمانية ، الفرنسية ، الإيطالية ، والرومانشية . الغالبية العظمى الناطقة بالألمانية ( ٧٣ ٪ ) ، أقلية ناطقة بالفرنسية ( ٢٠ ٪ ) ومجموعة ناطقة بالإيطالية ( ٤٥ ٪ ) ومجموعة ضئيلة ناطقة بالريتورومانية ( ١ ٪ ) . هل معنى هذا ان سويسرا تتمتع بأدب مكتوب بلغات أربعة ، وتتمتع ، بمعنى الكلمة ، بحياة فكرية متعددة الاصوات ؟ التصور اخاذ ، ينسجم مع صورة ذاتية تتم عن حماس كاذب ، نسجها بعض السويسريين ، كما ينسجم مع رغبة الكثيرين من الاوروبيين الذين يودون ان يروا في هذا البلد الصغير « أوروبا مصغرة » . انها صورة مثالية ، ربما كان لها مغزى بهذه الصفة ، ولكنها تتكشف قياساً على أرض الواقع بأنها صورة خادعة . كان السؤال ، عما اذا كان هناك أدب قومي سويسري ، لا يزال

موضع نقاش مفعم بالحيوية في النصف الاول من هذا القرن . واليوم ، في عصر افول الفكرة القومية ، يطرح هذا السؤال لا شيء الا لكي يتم نفيه بحوية اكثر او اقل .

لاريب ان المرء قد اكد باستمرار وجود خصائص ، يزعم ان اعمال الكتاب السويسرين جميعا تتصف بها : وهي بالدرجة الاولى ميلهم الى الواقعية ، ثم نزعتهم الى قسط من التعليمية ، التزامهم بروح وطنية والبعد عن كل تطرف سياسي وجمالي .

هذا موضوع ، والسؤال عما اذا كان من الممكن ان تتأكد هذه الخصائص في اطار مقارنة ادبية عالمية عرصية على انها خصائص سويسرية محضة ، هو موضوع آخر . والموضوع الاشد خطورة من ذلك هو عما اذا كان من المستحسن التأكيد على ما هو سويسري محض . لقد تنصل كتاب سويسريون ، وليس بدون سبب ، من فكرة ادب قومي . ولا يحدث ذلك للمرة الاولى اليوم . فلقد احتج غوتفريد كيلر ، الذي لا يزال ينظر اليه بشكل خاص كشاعر قومي ، على معاملته على انه قضية ادبية سويسرية وان « يعتبر في عداد منحوتات الخشب ، عصي الربيعي وقرون الظباء الجبلية السويسرية » . انه يريد النظر الى الفنان والشاعر « كوطنيين خمرين في كل الامور المدنية ، ولكنهم يطوفون في الفن طلقاء خارج الحدود ، لا يسمحون بتقييدهم . وبشكل اكثر تحديدا : اذا كان من الضروري ان يتأني عن ذلك شيء ما ، فان على كل امرء ان يتقيد بالمنطقة اللغوية الكبيرة التي يتبع لها . انها كلمات واضحة . يبدو ان كيلر كان يخشى الانغلاق في حدود الاقليمية ، يخشى التحجيم الى الاعتدال المتبذل لجودة المصنوعات الحرفية الفنية . ولعل خلفاءه متفقون معه

## □ الادب المعاصر في سويسرا الناطقة بالالمانية □

وفيما بينهم في هذه النقطة : انهم لا يكتبون « ككتاب سويسريين » ولكن ايضا ليس ككتاب المانيين ، خاصة وان اللهجات المحلية في سويسرا الناطقة بالالمانية تلعب دورا اكبر ، دورا مختلفا عن ذلك الذي تلعبه في بقية المناطق الناطقة بالالمانية . وهذا له تأثيره على الكاتب طبعاً . اللهجة المحلية هي عموماً اللغة الشفوية الدارجة . واما اللغة الفصحى فنستخدم بالمقابل بشكل خاص كلفة للكتابة ( باستثناء مناسبات شكلية معينة ) . مع ان اللهجة المحلية – وهذا ربما يكون فريداً جداً – تستخدم في المدن وفي جميع الاوساط التعليمية كلفة شفوية دارجة . وبذلك يفدو الوضع اللغوي للكاتب السويسري ، الناطق بالالمانية ، اكثر صعوبة بالضرورة ، ولكنه اشد اثاراً ( على خلاف ، مثلاً ، زملائه الناطقين بالفرنسية ، الذين لا تحافظ لهجتهم على وجودها الا بشكل محدود وغير كامل في مناطق لغوية مغلقة . ) ويعتبر جميع الكتاب تقريباً الى هذا التوتر القائم بين شكلين لغويين اثنين لنفس اللغة على هذا التوتر خلاق . حتى ولو انه يكلف ، في كثير من الاحيان ، السويسري العادي اكثر ما في وسعه . لقد وصف دورنمات لهجته المحلية بانها « لفته الام » واللغة الالمانية بانها « لفته الاب » وازداد قائلاً : « لو انني اجد الالمانية لكتبت بالالمانية البرنية » ( نسبة الى مدينة برن ) .

وبهذا المعنى فان للكتابة علاقة بالمخاطبة بصرف النظر عن حدود المقدرة اللغوية الخاصة . انه التعامل مع الحدود التي يصطدم المرء بها في كل مكان : ولا يكاد تقريباً يكون هناك شيء اكثر دقة في الوصف من ذلك بالنسبة للادب المعاصر في سويسرا الناطقة بالالمانية .

## ثانياً :

فسويسرا هي بلد صغير بمساحتها البالغة ٤١٠٠ كم ٢ . وحقيقة ان المنطقة القابلة للسكنى (وحوالي ثلث هذه المساحة غير قابل للسكنى) هي من اكثر مناطق أوروبا كثافة بالسكان ، هذه الحقيقة ليست مناسبة لظهار هذا البلد وكأنه اكبر مما هو . ان تجربة ومعايشة الضيق والحنين والشوق الى الاتساع يمخران عباب الادب السويسري بكامله . كما ان الهرب والعودة ، واحدهما يكمل الآخر ، هما موضوع يتكرر باستمرار . فلقد كانت الهجرة ، حتى قرنا الحالي ، ضرورة اقتصادية بالنسبة للكثيرين ، وغالبا مسألة بقاء في الوجود .

وهكذا فان الحال ضيقة بشكل خائق في سويسرا الجميلة . وليس هناك من سوق لبيع الكتب . كلهم كتبها هانس مورغتال ، واحد من الكتاب الانطوائيين في النصف الاول من هذا القرن . وقال ماكس فريش في عام ١٩٤٧ ان بوسع الكاتب السويسري ان يحسب على غطاء علبة كبرت بأنه لا يستطيع العيش من الكتابة ابدا في سويسرا ، البلد الصغير . ويرى دورنمات ان مزاوله الكتابة في بلدنا ليست ممكنة كمهنة ، وانما فقط كتجارة تصدير . ولكن حتى تجارة التصدير هذه ليست ناجحة عند الجميع . لذلك فقد جرت السعادة بالنسبة لمعظم الكتاب السويسرين ان يكون من البديهي والضروري ممارسة مهنة مدنية ثانية لتأمين كسب العيش .

قد يكون لهذا منافع تكمن في شيء من الاستقلالية عن تقلبات « الموضة » . ولكن له ايضا سلبياته التي تكمن في ان اخلاقية العمل السائدة في البلد لا تنسجم دائما مع العمل الخلاق . فلقد حدث في

السبعينات تحول حقيقي من هذه الناحية : اذ حاول - بشكل متزايد - عدد من الكتاب قبل الوصول الى النجاح ، ان يعيشوا ككتاب متفرغين ( بغض النظر عما يعنيه ذلك ) . واغلب الظن ان هذا يرتبط بالدرجة الاولى بحقيقة ان عددا متزايدا من الناشئة ، وليس فقط من الفنانين ، بدا يتهرب في نمط حياته من ضغط اخلاقية العمل ومن النزعة التحصيلية التزاحمية .

لقد تعززت تجربة الضيق المكاني ابان الحرب العالمية الثانية بشكل لم يسبق له مثيل ، عندما ظلت سويسرا ، كدولة وحيدة في وسط اوروبا ، خارج نطاق الحرب ، تجد نفسها في الوقت ذاته مطوقة من كل الجهات بقوى تخوض غمار حرب وتهدد ايضا الى حد ما استقلالها . هذه العزلة ، التي لم تبق عزلة ذات طبيعة مكانية ، انطت بشكل جذري منذ ذلك الحين من جراء التداخلات الدولية المتزايدة ، وخاصة في المجال الاقتصادي ، ومن خلال السياحة . ولكن ثمة أحداث في السنوات الاخيرة تسمح بالاعتقاد بان هذا الانفتاح قد ظل انفتاحا ظاهريا لا اكثر ، قد ظل حدثا يمس السطح الخارجي فقط .

وهكذا رفض الشعب السويسري رفضا ساحقا في السادس عشر من آذار ١٩٨٦ الانضمام المخطط له منذ زمن طويل الى الامم المتحدة . لقد اقام الحدث الارض واقعدها ، ولكنه لم يؤد الى انتقاد تلك المشاعر الجياشة ، مثلما فعل موضوع آخر شطر الشعب منذ عقدين من الزمن الى قسمين غير متكافئين : انه التأثير البالغ للعنصر الغريب على البلاد من قبل الاجانب ، اكانوا ايدي عاملة او لاجئين ( الغريب في بلده ) اخذ ينذر بان يصبح مسألة مصيرية للسياسة السويسرية ، وقد يكون من

الممكن ان الصراع حول ضيق البلد وانفتاحه ، حول وضع الدولة الصغيرة في العالم امر يلقي صداه قبل كل شيء في السياسة الداخلية ويتقرر فيها .

وصورة الغريب ( بالمعنى الشامل ، والغريب الذي يحيط بنا الغريب فينا ) هي منذ فترة طويلة موضوع مهم من مواضيع الادب . الغريب شخصية رومانتيكية ، تجسيد للاتساع والحرية كما انه تجسيد للهائج ، للفوضوي وللمغاير ابدا ، الغريب كتجسيد بالمعنى الكامل للامكانات غير المعاشة فينا ، وكذلك للجزء من الواقع الذي نفقده . وعلى تقيض النزعات الدفاعية عند فئات الشعب الواسعة يحظى الغريب في الادب بدور الشخصية التي يندمج المرء وتماطف معها . ولكي نعبر عن ذلك بوضوح اكثر نقول : ان الكاتب يفهم ويعي ذاته في كثير من الاحيان كغريب ، ويكسب انطلاقا من ذلك نظرة شخصية خاصة الى الواقع المحيط به .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

### ثالثا :

وفي الادب يعود الفضل بالدرجة الاولى للكاتبين فريش ودورنمات ، وربما لهما دون سواهما ، في ان يكون انفتاح الحدود الفكرية قد اعقب على الفور نهاية الحرب . وليس هذا الانفتاح امرا بدهيا ، بل على العكس فقد كان حري توقع انزلاق سويسرا في العزلة الفكرية ، خاصة وانها قد نجت من الحرب بلا تضرر وابتعدت عن الخبرة والتجربة الشاملة ، لتكون ممثلا عجيبا لعالم الامس ، لا يتوقع المرء منه تفهما لقضايا ونزعات العصر . لقد اثبت فريش ودورنمات العكس من ذلك وكان هذا امرا ملفتا للانتباه داخل سويسرا وخارجها .

## □ الادب المعاصر في سويسرا الناطقة بالالمانية □

لقد كتب ناقد الماني في عام ١٩٥٢ بمناسبة عرض مسرحية دورنمات « زواج السيد مسيسيبي » يقول : « وها قد اناك سيد مختال من برن . فياخذ هذا السيد بناسية همونا بجرأة وبخلو بال ، مهددا الى حد ما سمعة سويسرا الرزينة . كم يتعنى المرء للمسرحيين الالمان قدرا يسيرا من مثل هذه الجرأة المتفوقة » وبعد عشرين عاما من ذلك كتب « هوجلوتشر » كان فريش هو الذي اخترق الضيق السويسري في الادب السويسري بمسرحيته « الآن يستأنفون الغناء » ( وهي مسرحية تدور احداثها حول اعدام الرهائن رميا بالرصاص في الحرب ، وقد عرضت للمرة الاولى في آذار ١٩٤٥ ) .

وبفض النظر عن نوعية الاعمال الكاملة للكاتب ، فان هذه المسرحية ماثرة ادبية تاريخية ، نستفيد جميعا منها ، نحن الذين كتبنا بعده .

لاشك ان فريش ودورنمات قد تشبعا وانرا في اتجاه متشابه ، خاصة في البداية ، حتى ولو اختلفت وسائلهما الكتابية دائما . لقد نقل فريش الحرب وجرائمها ، حتى قبل نهاية الحرب ، نقل ماسمي في وقت لاحق « الماضي الذي لم يفرغ منه بعد » ، الى خشبة المسرح . وصور في وقت مبكر علاقة المثقفين السويسريين بالمانيا وبالتقاليد المشتركة ، كما صور مهمة الكاتب في دور المعاصر الناقد . لقد حول بيوميانه الاولى - وهي عمل من اهم اعمال العصر - شكلا ، كان في سويسرا حتى ذلك الحين نموذجا بالنسبة للرواية الكاملة ، حوله الى تدوينات جذورها في الحدث اليومي ، ولا تتخلى عن ارتباطها هذا على حساب شكل متكامل او قناعة موضوعية .

وتعامل دورنمات مع احداث الزمن اقل مباشرة : انه يفرب الحاضر ليحيله الى ماض تاريخي ، ولا يبقي من ذلك تخفيف حدته ولا تفتيته



في كل واحد ذى معنى ، وانما كاجزاء لحدث فوضوي فظيع لايمكن تغييره بالعقل . مسرحيته هي مسرح العالم بما تحمله هذه الكلمة من معنى . وخشبة المسرح ( هكذا هي الحال في مسرحيته الاولى «مكتوب» وكذلك في « ملاك قادم الى بابل » ) تقع بالفعل بين السماء والارض .

لقد خلق الكاتبان ، بنتاجهما الادبي وبنجاحهما وكذلك من خلال تدخلهما بالمسائل السويسرية ، التربة الطيبة التي جعلت من الممكن قيام نقاش وجدل حول سويسرا المستتبة . لقد اثبتا حضورهما في الحياة الابية السويسرية لاكثر من ثلاثة عقود من الزمن . ولكن ما لا يقل مفاجأة هو انهما قد وجدا خلفاء لهما . فظهر فجأة كتاب جدد ، كما ونوعا ، على الساحة الادبية السويسرية . ولاولئك اللذين يعشقون تبويب معين في المسار التاريخي يمكن تقسيم هؤلاء الكتاب الى مجموعات او اجيال . جيل جديد ، هو الجيل الثاني بعد فريس ودورلمات ، اطل على الراي العام في عام ١٩٦٠ ( واشهر افراده : ادولف موشك ، بيتر بيكسل ، يورك فيدرشبييل ، هوغو لوتشر جيرهارد ماير ، باول نيتسون ، يورك شتاينر وفالتر فوغت ) ، مجموعة اخرى ، هي المجموعة الثالثة ، اطلت حوالي ١٩٧٠ ( واشهر اعضائها : هيرمن بورغر ، كريستوف غايسر ، اى بوت ماير ، جيرولد شبييت ) واخيرا المجموعة الرابعة وبرزت حوالي عام ١٩٨٠ ( من اعضائها : فرانس بوني مارتن دين ، ريتو هيني وماتياس تشوكي ) . وتقدم النساء ، وهن في هذه الحالة مجموعة منفردة، باكورة ظهورهن في السبعينات ، بفضل النظر عن حالات استثنائية قليلة ، ومنهن : مارغريت باور ، مايا بويتلر غيرترود لوتين ايغر ، هانا يوهانسن ، ماريلبا مير واريكا بيدرتي .

### رابعاً :

تعزى ، كما يبدو لي ، أهمية خاصة لمسارح الاحداث ، للخلفية المكانية للاعمال ، في ادب الستينات ، اي مباشرة في ادب الجيل الذي اعقب فريش ودورنمات ، وكان الكتاب مضطرون وراغبون في أن ان يعلموا علم اليقين اين هم واقفون ، واين يستقرون والى اين هم ماضون . وربما ليس مصادفة ان تحمل الرواية التي تعرض فيها سويسرا خلال الحرب العالمية الثانية وبعد فترة زمنية تبلغ ربع قرن اسم « مسارح الاحداث » ( ١٩٦٩ ) للكاتب هاينريش فيرنز .

ويمكن ان تكون مسارح الاحداث في القرية : في اليابان ، في الرواية الاولى لادولف موشك ( « في صيف الازنب » ١٩٦٥ ) ، في روما عند باول نيتسون ( الذي يظن على مؤلفه « كانتو » ١٩٦٣ ) ونية كالنشوة للانطلاق الى العالم والاستغراق فيه ، نيويورك ، عند يورغ فيدرشيل ( « متحف الحقد ، ايام في مانهاتن » ١٩٦٩ ) . ولكن المرء يجد مسرح الاحداث هذا بشكل متكرر في اماكن صغيرة قليلة الاهمية ، وفي ربوع اقل اشارة للدهشة ، كما هو عليه الامر عند اوتوف . فالتر ( « الاخرس » ١٩٥٩ ) ، يورغ شتاينر ( « سكنين للشريف الذي يعثر على الشيء » ١٩٦٩ ) ، بيتر بيكسل ( « السيدة بلوم تود اصلا التعرف على الحلاب » ١٩٦٥ ) ، جيرهارد ماير ( « يخضر العشب » ١٩٦٤ ) ، احلام واحات بنخيل دلاء ( ١٩٦٩ ) .

ويلقى التوتر القائم بين الضيق والانساع تعبيراً عن ذاته في اختيار مسارح احداث متباينة . وبتعبير اوضح : يهرب البعض من الكتاب من الحدود السويسرية من خلال توجهه الى القرية والبعد ، والبعض الآخر

من خلال انزوائه وانسحابه الى الاقليم ، والفئة الاخيرة هي الاكثر عددا في الستينات : فنشأ في هذا الوقت في سويسرا ، انسجاما مع التطور الدولي شكل جديد من اشكال الاقليمية الادبية . وعلى خلاف فريش ودورنمات فان سويسرا بالنسبة لهؤلاء الكتاب لا تشكل موضوعا مهما ، الامر الذي اثار دهشة فريش في اواسط الستينات ( . الاهم بالنسبة لهم هو المكان الضيق النطاق لاقليم صغير .

ولا تتعارض هذه الاقليمية الجديدة اطلاقا مع عملية انفتاح سويسرا العام ، الذي بدا مع نهاية الحرب ، بل على العكس من ذلك . يختبر المرء ويعيش الاقليم ويعرضه كمكان يستطيع فيه ان يدرك بشكل اكثر وضوحا الكل الاكبر من خلال نظرة عن كثب وعن معرفة دقيقة ، انه قطعة من مرآة تعكس العالم .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ويمكن ان ينشأ الانطباع بان الكاتب ينزوي وينسحب الى المجال الضيق لمنطقة ما ، كي يحصل على بعد اكبر ، دون ان تعيقه حدود البلاد . وخير مثال على ذلك هو عمل جير هارد ماير : حيث تتحول عنده القرية البسيطة الى رمز شيفرة لعالم شاعري شامل نفاذ للامتداد والانتساع الذي يجده الكاتب في روسيا او على ضفاف الانهار الضخمة في امريكا الشمالية او في روائع الفن . ان يوسع المرء ان يتحدث عن « اقليمية عالمية » عند ماير ، وعن اقليمية « سيريالية » عند آخرين اصغر سنا منه مثل : بورغر ( « شيلتن » ١٩٧٦ ، « بلانكنبورغ » ١٩٨٦ ) وعند ريتوهيني ( « طيران » ١٩٨٥ ، « روح » ١٩٨٠ ) وعند غير ترود لويتن ايفر « عشية » ١٩٧٥ ، « قارة » ١٩٨٥ . ومن المثير للدهشة ان تبدو الاقليمية هنا

## □ الادب المعاصر في سويسرا الناطقة بالالمانية □

كميزة محددة للستينات ، ولكن ينظر عموما الى هذا العقد من الزمن على انه عصر الادب السياسي الملتمزم ، الذي وجو في حركة الثماني والستين ذروته واوجد والى حد مانهائته ايضا ، ولا يمكن نفي نزعة الستينات السياسية ( وان كانت اوضح رؤية في الغالب في مقالات وخطابات وكتيبات الكتاب اكثر منها في نصوصهم الادبية ) . ولكن ليس من السهل ولا من الصواب النظر - في سويسرا الناطقة بالالمانية خاصة - الى ما هو سياسي بمعزل وعلى نقض ما هو خاص . ان مطالبة الكاتب ان يكون ايضا مواطنا ، هي حقيقة تعتبر في سويسرا الالمانية من المطالب البديهية ، لابل واحيانا من المطالب المثقلة للكاهل . واذا ما أخذت المطالبة بتسييس الادب شكل الالاحاح فمن الممكن ان يواجه ذلك بالاحتجاج . اذ ان ماكس فريش ذاته - وهو قدوة لا يجاريه آخر في جيل المعاصر الناقص - رفض في تبادل رسائل علني مع فالتر هولوبس التوسيع الكامل للاديب ، مؤكدا ان الحياة تحدث في صيغة الـ « انا » . واما الكتاب الذي يعتبر بحق من اهم اعمال الادب السياسي فهو كتاب كورت مارتس « على سبيل المثال برن » ، وقد نشر في عام ١٩٧٢ . انه « يوميات سياسية » : فالحياة السياسية تجري في صيغة الـ « انا » . اذ يرسم يوما بيوم ، ما يقع من احداث سياسية على مرأى من انظار الكاتب . كما ترسم الاحلام ، الاحلام السياسية طبعا ، لمعرفة عما اذا كان عند ممثلي المواقف السياسية المختلفة احلام مختلفة . انه يربط السياسي باللاوعي . « واليوميات السياسية » هي ايضا من الصفات المميزة للعصر باعتبارها تجعل من المنطقة محط انظار ومثالا لخبرات سياسية تتجاوز اهميتها حدود المنطقة بكثير .

### خامسا :

فاذا كان المجال الصغير لمنطقة ضيقة يشكل مسرح احداث اعمال مهمة في الستينات ، فان مسرح احداث اعمال السبعينات أكثر صفرا، انه العائلة والعلاقة الثنائية ، انه ال « أنا » . ( وهذا تطور لا يجده المرء طبعاً في سويسرا فقط ) : قصص عائلية ، ذكريات طفولة ، اكتشاف الذات هي من المواضيع المهمة عند باول نيتسون (في البيت تنتهي القصص» ١٩٧١ ) ، كريستوف غايسر ( « غروينزي » ١٩٧٨ ، « ارض بور » ١٩٨٠ ) وكذلك « حياتي كرجل » يرويها ماكس فريش في « مونتاوك » ١٩٧٥ ) وكذلك من خلال شخصية خيالية في « لحية زرقاء » . الابتعاد والقرب في العلاقات الشخصية هما موضوع اساسي في قصص ادولف موشك ( « الجسم الغريب » ١٩٦٨ ) « قصص غرامية » ١٩٧٢ ، « معارف حواشي » ١٩٧٦ ، ديك البرج وقصص حب أخرى ١٩٨٧ ) .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

« العودة الى الخاص في الفن » ، « الاستبطانية الجديدة » هي الشعارات التي اطلقها النقد الادبي على هذا العقد . ولكن ثمة اعمال من نوع آخر . فللمرة الاولى منذ « شتيلر » لماكس فريش ، لم تظهر الا الآن روايات تشكل سويسرا فيها من جديد محورا وموضوعا ، وذلك في ضوء حركة الثماني والستين . او كان بوسع هذا الضوء الساطع او الخافت ان ينير هذا البلد تحت سطحه « الاضطرابات الاولى » ١٩٧٢ ، و « اشاعة الفوضى » ١٩٧٧ ، للكاتب اوتوف . فالتر ، و « سبب البيسر » ١٩٨٤ لادولف موشك . ما يلفت النظر في ذلك ان تسلط الاضواء في « اشاعة الفوضى » على « مجموعة صغيرة » ، انها تعاونية لا يريد فيها بضع اشخاص لا يعرفون الكل ان يبحثوا فقط في امر نمط حياة مشترك جديد وانما في امر تحقيق هذا النمط ، يضاف الى ذلك قصة حب تنبج

## □ الأدب المعاصر في سويسرا الناطقة بالألمانية □

قراءة آليات اجتماعية . في رواية موشك تتحول العلاقة الصعبة بين مثقف وطبيبه ( وفي الوقت ذاته بين ابن البلد والغريب ) الى محرق ومجال للرؤية ، ليس فقط بالنسبة للتطور الشخصي وانما بالنسبة لتطور اجتماعي شامل :

خيبة الامل من الانحسار السريع للحركة المتفجرة في عام ١٩٦٨ ، خيبة امل من عدم توزع القوى المستتبة ومن عدم الكفاية الذاتية لأولئك الذين كان عليهم ان يتابعوا المسيرة وحمل ونقل التوثبات والدوافع .

هذه هي الخلفية المعروفة لادب السبعينات بمجمله . ان انهيار حركات الشبيبة عام ١٩٨٠ بشكل اسرع واشمل ، لا بل قل تدمير هذه الحركات ، قد عزز اليأس بالنسبة للشباب . يضاف الى ذلك ، بدءا من منتصف السبعينات ، الكساد الاقتصادي ، ( الذي كان في سويسرا اقل اثرا منه في بقية البلدان ) ، وكذلك ، وبشكل خاص ، تعريض البيئة للخطر بشكل شامل ، لا يمكن تجاهله ويزداد من عام الى عام ، وما ينتج عنه من قناعة بأنه لا يمكن مواجهة التغيرات الاجتماعية والسيطرة التكنولوجية الصرفة لمسألة التهديد الشامل بالطرق المتبعة حتى الآن . لقد عبر ماكس فريش عن ذلك بشكل مقتضب وصارم في كلمته التي القاها بمناسبة تسلمه جائزة السلام التي تمنحها تجارة الكتب الالمانية قائلا : « اننا نعرف التنبؤ القائل بان الصراع مع البيئة سيزداد بالنسبة لجنسنا البشري بفضل تكنولوجيته التي لا يمكن التراجع فيها ، سيزداد اكثر من أي صراع يمكن تصوره وجوده بين امم او كتل من القوى . وبينما تجعل استراتيجية الردع من الصعب على الشعوب ان

تواجه مجتمعة تدمير مجراه بالرغم من حالة اللا حرب . ثمة سبب ودافع للياس والانسحاب الى الامور الخاصة . ولكن هذه ليست الاجوبة الوحيدة الممكنة على تساؤلات العصر وتطوراتها ، مثلها مثل حيرة الانسان وعجزه التي رسم صورته فرانس بوني في ربوعه السويسرية وصلات مصانعه المريبة على نحو كافكائي ، في « متجول في امطار الالب » ١٩٧٩ . ان العودة الى الماضي مثلا ( عند اي يوت ماير في « سفر العودة » ١٩٧٧ ) يمكن ان تكون محاولة لكسب قوى دافعة للقيام بتشكيل جديد للمستقبل .

ثمة مواضيع وصيغ تفكير تتمشى كلية مع العصر . فهكذا يجد المرء المتاهة عند كتاب ينتمون الى اجيال مختلفة مثلا : الرواية الاولى للكاتب مارتن دين وهي بعنوان « الحقائق الخفية » ( ١٩٨٢ ) . ولكن ايضا عند فريش وهورنمات ، الذي يتناول تلك صورة اساسية لتجربة طفولته ، فيعرضها في صيغة اساسية لمعاشة واختبار العالم في قصة « ميتواتورس » ( ١٩٨٥ ) وبشكل خاص في عمله الثري الضخم « مواد ١ - ٣ » . ولكن هناك ايضا شخصيات تجيب على اسئلة العصر خارج نطاق اليأس وانطلاقا من الايمان بالتقدم . ولعل اكثرها في ذلك هو شخصية « المحصن » التي وضعها هوغو لوتشر في محور مؤلفيه الروائيين - وبينهما فاصل زمني من عشرة اعوام - « المحصن » ١٩٧٥ ، و « اوراق المحصن » ١٩٨٦ . المحصن هو في بداية الامر رحالة عظيم ، واحد يعرض نفسه للعالم ، الى ان يتكلم هذا العالم من داخله والى ان يدرك ان عليه ان يحصن ذاته : ليس لكي يصبح متلبدا وميتا ، وانما لكي يتحمل هذا العالم ويظل مع ذلك حساسا . انه شخصية النقيض بالنسبة لكل الثوريين واشباه الثوريين في هذا العقد من الزمن .

### سادسا :

يعود الفضل في استمرار دافع التغيير ايضا في ادب السبعينيات والثمانينات الى حقيقة ان كاتبات قد ساهمن بشكل متزايد في تحديد ورسم صورة الادب . وينطبق هذا على كل البلدان ، وهو على صلة وثيقة بالحركة النسائية كاحدى النتائج المتأخرة ، الاشد استمرارا ، لحركة الثماني والستين . فلقد اخذ تزايد عدد الكاتبات من النساء في سويسرا الناطقة بالالمانية ، خاصة عدد الكاتبات المرموقات ، منحى شاقوليا يتجاوز المألوف : وقد تأتي في الوقت ذاته من العدم . واما فيما يتعلق بوضع المرأة فان سويسرا تشكل حالة خاصة ، حالة مخزية . اذ لم تحصل السويسريات قبل عام ١٩٧١ ، وبتأخير غريب على حق الاقتراع والتصويت ، اي في نفس العقد الذي اثبتن فيه حضورهن بشكل جديد كلية على الساحة الادبية . انه تزامن ملفق للنظر - وهذا لا يعني ان احدهما هو نتيجة للآخر . ومن الطبيعي ان عدم وجود حق الاقتراع لم يكن السبب في عدم الحضور الادبي للمرأة . بل الأرجح ان كلاهما من العلامات المميزة لحو البلد العام : لقد كانت اقدم ديمقراطية في العالم حكم رجالي صرف ، صعب بشكل اشد على النساء سلوك الطريق ، الصعب بحد ذاته ، نحو تعامل خلاق مع الكلمة ، وذلك من خلال النظر اليهن على انهن غير قادرات على القيام بأبسط تعبير سياسي عن الراي .

والكاتبات جميعا تقريبا ، اللواتي يحظين اليوم بشهرة ويتمتعن بنشاط ادبي في سويسرا الناطقة بالالمانية ، لم يبدأن بالكتابة الا بعد عام ١٩٧٠ وفي الغالب بعد عام ١٩٧٥ . كما انهن لم يبدأن الكتابة كنساء شابات ، بل بدانها عندما اوسكن على بلوغ سن الاربعين ( وهذا ينطبق على اريكا بدرتي ، هنا يوهانسن ، مايا بويتلر ومارغريت شريبير ) .



ويعكس هذا مرة أخرى صورة الوضع الصعب داخليا وخارجيا . فلقد كانت واجبات الامومة بالنسبة للكثيرات اهم من الفن - وذلك تمشيا مع اجماع عام ، يصعب التنصل منه - وليس هذا فقط ، بل اغلب الفن انهن انبرين على الكتابة بتردد وبعد التغلب على روادع داخلية . خاصة وانهن تربين على عدم الثقة والشك بالنفس .

ولا يهمنا هنا نتاج الكاتبات الادبي من وجهة النظر التانيئية القائلة بالمساواة بين الجنسين في اطار الصورة العامة للادب .

لقد غيرت او عززت الكاتبات هذه الصورة في السبعينات من نواح ثلاث :

١ - لقد اضعفن الى شخصية الغريب التي ورد ذكرها في البداية ، والتي كثيرا ماتتطابق وتتسجم مع الصورة الذاتية للفنان او دورها ، ضروبا انثوية مميزة : فالمرأة التي ظلت طوال فرون من الزمن خارج العملية التاريخية ، مسلوقة من امكانية التأثير في هذه العملية ، ما ان تدرك هذا الوضع حتى تخال نفسها غريبة في بيئة درج الرجال على البت بالامور فيها . وهذا امر يلقي صداه في كل اعمال هنا يوهانس تقريبا ، وباروع صورة في روايتها « الساعة الواقفة » ( ١٩٧٨ ) ، « تروكادبرو » ( ١٩٨٠ ) ، حيث تترك امرأة ، كما لو كانت في حلم ، في قطار مسافر او في بيت غريب تسيطر فيه عقلية رجال . وشعور المرأة انها غريبة ، بشكل قليل او كثير في المجتمع ، يجعلها مرهفة الحس تجاه كل ما يحيد ويخرج عن الاعراف من انطوائي وجنوني وفوضوي . ان الحكايات عند راهيل هوت والاحلام عند مايا بويتلر والتغريب السريالي للعالم عند غيرتروود لويتن ايفر ليست علامات ابتعاد انثوي عن الواقع وانما العكس بالذات امكانات للنفاذ الى ما وراء واقع النظام .

٢ - تحتوي اعمال المرأة امثلة رائعة حقا لما ورد ذكره من ربط بين الخاص والسياسي في الادب السويسري . ورواية « تروكادبرو » لهننا يوهانس هي بالذات مثال على ذلك ، حيث تظهر المرأة فقط في دور ربة البيت المتوارث ، ولكن مشاكل عالمنا تقدم لها نفسها على طاولة المطبخ ويتمين عليها ان تعالجها ، دون ان تكون قادرة حاليا على القيام بذلك .

مثال آخر : انه الرواية الاخيرة لاريكا بيدريتي « فاليري او العين غير المهذبة » ( ١٩٨٦ ) . انها قصة حب تحاكي احدى علاقات فرديناند هودار بنموذجه فالتين ، ولكنها ليست مجرد قصة حب . فمن خلال قيام المرأة النموذج بالتمرد على دورها تمارس ثورة المضطهدين ضد اصحاب السلطة ، ضد ذاك الذي راح يحدد بالفرشاة كيف يتمين رؤية العالم .

ونصل بذلك الى النقطة الثالثة : يجوز وبغنى نتاج الكتابات الكتابة التجديدية . ان من يجزوا على الرواية وفق عنوان اريكا بيدريتي - « بعين غير مهذبة » لا تتركز على رؤية الرسام المهذبة المدربة ، فانه يتلمس طريقه الخاص في العرض . واذا ما كان الشخص فنانة ، فسينتج عن ذلك شكل جديد ، شكل تقليدي .

### سابعا :

يجوز النظر الى الاتجاهات التجديدية في حيز فارغ ، وانما يتمين الفصل بينها وبين ماهو مألوف وتقليدي . لقد اتهم الادب السويسري بالتحفظ فيما يتعلق بكل الاتجاهات المتطرفة ، وربما لم يكن في ذلك كل الظلم . وبالمقابل فقد جعل من الواقعية الدقيقة موضوعيا ميدانه الخاص . ويتغير ذلك في النصف الثاني من هذا القرن ، حين ينطلق من

سويسرا اتجاه تجريبي في الادب ( ولا يقصد بذلك اتجاه مثل دادائية  
الامان المقيمين في سويسرا ) . لقد كان اويغن غومر بنفر واحدا من أوائل  
مشجعي وممثلي الشعر المجسم . ولقد غدا هذا الشعر مهما في تطور  
الشعر السويسري ، سواء الشعر السياسي او الشعر المكتوب باللهجات  
المحلية ، والذي تطور في السبعينات من شكل من الطراز القديم الى شكل  
عصري . وفي السبعينات خاصة نشأت اشكال تجريدية في النشر عند  
يوزع ليدراخ وفليكين فليب انفولد كممثلين مشهورين ، لهما جمهور  
صغير من القراء ولكنهما يتمتعان بمدى تقدي حام .

واما فيما يتعلق بالواقعية فان من السخف الزعم بانها لم تعد  
موجودة ، ففي سويسرا ايضا يسمع المرء من حين لآخر صيحة الفرح  
تعلو : لقد عاد الراوي الى منزله . واضح ما يقصد من هذا التعبير:  
ان ما يعنيه المرء بذلك هو رواية ضخمة مألوفة تضمن قصة مطردة،  
يعتقد القارئ انه يتعرف فيها - كما في مرآة - على الواقع . ولقد  
صدرت بالفعل في السبعينات والثمانينات روايات ضخمة بشكل متزايد  
( بينما تعززت في الستينات مكانة القصة القصيرة كشكل مستقل يؤخذ  
ماخذ الجد ) ، ولكن القصة الواقعية المتكاملة المشار اليها ، نحيث جانباً  
من قبل اشكال فنية أخرى ( يسهل ايجادها عند غيرولد شبيت ، حتى  
وان لم يعد ذلك ممكناً في اعماله المتأخرة ) ، ولم تعد تتوفر عند الكثيرين  
من الكتاب الشروط الفكرية والبوتولوجية اللازمة لذلك . واهم دراسة  
تقدية حول الادب السويسري تتناول الاسلوب هي بعنوان « ال انا بدون  
ضمان » . ونحن مدينون لمؤلفتها جيردا تسيلتر ، الاختصاصية بعلم اللغات  
الرومانية وآدابها ، بدراسات هامة حول الادب الفرنسي المعاصر . وانطلاقاً  
من ذلك فان طرح المسألة اكثر وضوحاً فيما يخص العلاقة بين الرواية

## □ الادب المعاصر في سويسرا الناطقة بالالمانية □

الجديدة والكتاب السويسريين . وتطفي تجربتان اساسيتان على الرواية الجديدة كما تطفيان على اعمال مهمة من الادب في سويسرا الناطقة بالالمانية وهما : عدم كفاية اللغة وعدم قدرتها على شمول الواقع والتعبير عنه وتحلل الفرد ، كشخص ثابت ، قابل للوصف . لقد اكدت جيردا تسيلتنر بدقة نقدية على الاسلوب ، اجرتها على اعمال ماكس فريش ، اوتو ف . فالتر ، اريكا بيدريتي ، اي يوت ماير ، جيرهارد ماير وهيرمن بورغر وجود ذلك من خلال استخدام هؤلاء الكتاب للضمانات الشخصية، مراعية في ذلك التبدل المتكرر بشكل مستمر من ال « انا » الى « هو » عند فريش والاستخدام الملفت للنظر لـ « انت » و « نحن » عند فالتر، والاستخدام غير المألوف ، بل وحتى المدهش لكلمة « المرء » ، كفاعل في الصيغة الشخصية ليوميات عند جيرهارد ماير : وكان من الممكن كذلك ان تناول في بحثها اعمال يورك شتاينر ويغير بيكسل بالمعنى النموذجي . حيث تأخذ ال « انا » بالتاريخ اكثر فاكتر فاته من غير الممكن ان تتأني قصة مطردة . وهكذا يعبر بيتر بيكسل ، الذي اعتبر في محاضراته في فرانكفورت السرد القصصي ضروريا بشكل اساسي ، يعبر بوضوح في كتابه « الفصول » ، الذي ربما يكون اهم كتبه - وهو في الوقت ذاته كتاب شعري بويتولوجي - عما يعنيه ذلك من وجهة نظره قائلا : « ان يدخن احدهم غليوننا فهذا ايضا قصة » . قصة رتبت من حيث الحدث حول لاشيء وجيرهارد ماير اشد حزما ، عندما يقدم لكتاب بجملته من فلووير ويجعلها شعارا له : « كم اود ان اكتب كتابا حول لاشيء » .

ال انا بدون ضمان اقرب الى ان تمشي مع القصة المتقطعة مرارا ، والتي رتبت فيها الازمنة وعناصر الحدث وفق وجهات نظر غير - وجهة نظر تسلسل زمني . ورواية « طيران » ( ١٩٨٥ ) للكاتب ريتوهيني هي

## □ الادب المعاصر في سويسرا الناطقة بالالمانية □

مثال متطرف ورائع على ذلك . ففيها صيغت طفولة وشباب الكاتب ، ربطا ببدايات وروتيينية الطيران الختامية ، في توليف موسيقي جرى . لقد وصف غريستوف غايسر هذا الشكل المتقطع باستمرار من الرد القصصي ، والذي يستخدمه هو ايضا ، بانه اعراض متلازمة تنفرد بها سويسرا ، حين يقول : « في بلد تمكنت فيه بناء ان تتطور ، منذ عصر نابليون ، دون اعاقه ، الى درجة التحجر ، في هذا البلد تجد حطام الماضي اكواما مبعثرة . فهنا لم يجر ان ربت الامور حق الترتيب ، الامر الذي يحض الكاتب ويدفعه الى علم الآثار والتحليل الجيولوجي لاجار الحطام . »

وبذلك اعود في النهاية الى المقدمة ، اعود ثانية الى موضوع ادب قومي ممكن .

كم سيكون افتراضنا ان توافق مثل هذا الادب تطبيقا لتحريات الكتاب في الماضي وفي الحاضر ، الذي لا يقل عنه في عدم ترتيبه . ان الشيء الوحيد الممكن هو الانفتاح والتنوع ، تمشيا مع عنوان يورغ ليدرباخ . « هناك ٦٩ نوعا لعزف البلوز » .



# إلى أين يتجه الأمل

## كلمة إلى الزملاء في أيام سولوتورنر الأدبية

الكاتب: ماكس فريش  
ترجمة: نصرالشيخ



ARCHIVE

الزميلات والزملاء الأولاد أن أشارككم على هذا الحفل . ان النصوص التي قراتموها للتو تثير اعصابي ، فهي تذكرني بأمل معاش بما يشيرني هو السؤال الذي لا يتعلق بكم بعد : ماهو موقف كاتب ، اذا ما عاش طويلا ، من آماله المنشورة ؟ خيبة أمل من سير الدنيا ، هي امر ، والتنازل او الرجوع عن الامل ، هو امر آخر .

التي ماكس فريش هذه الكلمة في العاشر من ايار في احتفال رسمي بمناسبة عيد ميلاده الخامس والسبعين في اطار ايام الادب الثامنة في سولوتورن ....

ويتطابق النص المطبوع هنا مع النص الاصيل . وهو يراعي الاختلافات الطفيفة التي تقتضيها طبيعة الكلمة والتي كان قد اضافها المؤلف لاحقا الى السودة . وبذلك تختلف صيغتنا قليلا عن الطبعة الاولى في عدد « فيلت فوخي » تاريخ ١٥ ايار ١٩٨٦ .

عندما اقلب ، وانا اتناول طعام الفطور ، الصحف البرجوازية ( وصحف اخرى ليست متوفرة في المقهى الذي ارتاده ، ولا حتي في الكشك القريب او الابدع منه ) وعندما اشاهد بالاضافة الى ذلك في العشية التلفاز ، من قنال الى قنال ، فلا يبقني عندي ثمة شك بأن حركة التنوير ، مجازفة العصرية الغربية ، قد فشلت في كل حذب وصوب .

### انطباعي :

لا يريد المرء ان يعلم ، وانما ان يؤمن . ان يؤمن على سبيل المثال بالضرورات الموضوعية . وليس الوعي مرغوبا اليوم . فهو لا يعود بشيء على صاحبه ، انه لا يجلب سوى المسؤولية . وهل لانعيش جميعا خير عيشه ، اعترفوا ! على حساب العالم الثالث ، نحو خطر لاحيلة حتى للعرافة كاساندرنا بلديه

ARCHIVE

<http://archivebeta.sakhril.com>

اذا سياسة ولا بد . فتناول ، ليبرالية على نحو ديناميكي ، آمن مطمئن باتحاد مصري . وترى موسكو العجب العجائب ( على ابعد حد عند لوتسي شتايك ) . وكلما قل تدخل الدولة ، كلما كان ذلك افضل . فحتي الذي يسأل علنا ، يضر بالاقتصاد . ان ماهو مطلوب هو الوطنية ، ولكن ليس وطنيتنا نحن ، وانما وطنية من البوم الصور «حيث ترتفع الجبال» ، وطنية حتى الدرك الاسفل من العداء للاجانب . « ياوطني نحن رجالك » ، كما كان الامر عليه في الثلاثينات . الجديد في الوطن هو موت الغابات ، الذي لا ينكره للأسف الحراجيون . لكن يجب ان لا يغالي المرء في هذا الامر ، فالتشاؤم لا يؤدي الى كسب اصوات الناخبين ، وعقلاني مايدر الربح . ليس الشك ماهو مرغوب وانما الحنين الى الماضي . وتناسخ الارواح ( هندي امريكي ) امر متاح لكل مواطن ، وهو ايضا نفمة مألوفة . ان

□ الى اين يتجه الامل □

ضمان تناسخ ارواحنا يزيل القدرة التفجيرية لأكبر قدر ممكن من الرؤوس النووية . الكل بالكل : ليس هناك من داع للدعر والثورة ، بل دافع فقط للتسلح ، وماذا غير ذلك . فالمرء لا يتمنى جحيما ( هذا بديهي ) وهامي موجودة : بهجة المعصرة المتأخرة .

ما يتعلق بالرجل العجوز ، فاني لا اكتب مذكرات ولكن عندي ذكريات فاتذكر على سبيل المثال نهاية الحرب العالمية الاولى : في ساحة هيفيباخ في زيورخ . طالب يرتدي القبة الطلابية ، ويقود كسائق حافلة ترام ، وخلفه جنديان اثنان يحميان كاسر الاضراب هذا ، رجال بخوذات فولاذية والحربة المنصوبة . كم كنت ، وانا في ذلك الوقت في السابعة من العمر ، احسد هذا الطالب الذي سمح له بقيادة حافلة ترام زيورخية حقيقية . لم تكن ناسكن في ذلك الحي الذي أطلق فيه الجيش ( جيشنا ) النار على العمال والموظفين المضربين . وكان هناك القتل . ولم اشاهد شيئا من ذلك . وبالمقابل فاني اذكر جيدا : في ساحة هيفيباخ ، التي كانت خاوية تقريبا من الناس ، ثلاثة ضباط يمتطون ظهور الخيل ، بالخوذات الفولاذية ايضا ، ولكن على ظهور الخيل وحرابهم مستلة من اعمادها مع ان المضربين قد تركوا في بيوتهم اسلحتهم كمواطنين بالزي العسكري .

: ١٩١٨

والدى ، ابن سراج ، مهندس معماري ، ولهذا كان معتمدا على اصحاب البناء ، عاطلا في ذلك الحين عن العمل وضد الحمر ، ولت كتب ، ليس بطلب منه ، ولكن حسب هواه ، كتبت بالطباشير : يسقط البلشفيك ، وكنت افضل القيام بذلك على الحجر الرملي : يسقط البلشفيك ، او على الاسفلت : يسقط البلشفيك .



: ١٩٣٩

اديت اليمين العسكرية ( الحرب العالمية الثانية ) كمدفعي، بسداجة،  
الخوذة امام الصدر ، رافعا يدي اليمنى قاسما بأصابع ثلاث ، وبقيت  
فترة طويلة ساذجا . عندما كنا نحرس جسورنا على ممر غوتهارد وكانت  
قطارات البضائع الالمانية ، الطويلة ، تتحرك باتجاه ايطاليا ، بصفة خاصة  
في الليل ، ماكنت أريد ان اعلم ، وانما ان اومن .

### حسب عمانويل كنط فان :

« التنوير هو خروج الانسان من قصوره المسؤول في حد ذاته .  
والقصور هو عجز المرء عن استخدام ادراكه بدون توجيه شخص آخر .  
وهذا القصور مسؤول في حد ذاته ، اذا كان سببه ذاته ليس نقص  
الادراك وانما نقص العزيمة والشجاعة لاستخدامه بدون توجيه  
شخص آخر » .

ARCHIVE

وحول هذا كتب ليشتنبرغ :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

« يكثر حديث المرء عن التنوير ويتمنى المرء المزيد من الضوء .  
باللهي ، ولكن ماذا ينفع النور كله اذا لم يكن للناس عيون ، او اذا أغلق  
اولئك ، الذين لهم عيون ، عيونهم عمدا » .

كما ان السيد فولتير علم ان

« الفوغائي يظل غوغائيا »

ونظر غونتر آيش الى الامر نظرة الطف :

« يفشل العالم على يد اصدقائنا »

مامن شيء أوضح دلالة من هذا .

الانكاس هو الكلمة الكلاسيكية لما يسميه المرء تحولا ....

□ الى أين يتجه الامل □

بما ان الولايات المتحدة الامريكية هي قوة حمايتنا ، لذلك فان انتفاضة الاغنياء ضد الفقراء ، التي نجحت هناك ، ستكون حتمية في اوربا ايضا . فضلا عن انه ليس عندنا ٢٥٪ من الاميين ، كما هو الامر عليه في الولايات المتحدة الامريكية . ان ماينطوي على التناقض في ذلك هو : ان انتفاضة الاغنياء ضد الفقراء تنجح بسرعة اقل حيث يكون عدد الفقراء اقل . ففي سويسرا على سبيل المثال ، لا يعيش ١٠٪ تحت الحد الأدنى لمستوى المعيشة ، كما هو الامر عليه في الولايات المتحدة الامريكية . واصحاب السلطة عندنا يتنفسون الصعداء ، هذا واضح ، فحتى وكلاؤهم يتنفسون الصعداء ايضا . فالمواطنون بلا تنويرهم طبعاً اسهل اقتياداً واسهل توجيهها ، واسهل عسكرة والى آخر ماهاالك ، انهم اسهل حكماً ، على حسابهم .

ARCHIVE

لماذا بقاء التنوير بالفشل ؟  
« عصر العقل كان عصر المقصلة ، وبذلك ضعفت الثقة بالعقل »

كوسيلة تنظيم للعلاقات الانسانية .

هكذا كتب هارتموت فون هينتك يقول ، وهو صديق لا يشارك في الكراهية ، مثل الكثيرين من المثقفين وانما يتصدى للزعم القائل : « ان التنوير قد قضى نجه بتناقضات الثورة » .

ان من يشير الى المقصلة ، لكي يفقد الثقة بالتنوير ، ينبغي ان يشير الى غولاك ، الى تناقضات الثورة الروسية . ان مانسجه الثوريون هناك من احلام بديله عن القيصرية ، لم يكن ( اغلب الظن ) الحكم المطلق لحزب واحد ، لم يكن السوفيتية ، فما بالك الستالينية ، التي تظل حقيقة تاريخية ، وهي بهذه الصفة رهن تقيل بالنسبة للتنوير ( مثلما تظل محاكم

□ الى اين يتجه الامل □

التفتيش رهن بالنسبة للكنيسة المسيحية ) ... اني اتذكر كونراد فارنر ، عندما كان المرء يزوره في تالفيل ، كان المرء يعلم ان رقم السيارة المصفوفة والمدة التي تستغرقها الزيارة سيصلان الى ماغلت الشرطة . لقد حاول فعلا ، هذا المثقف المنيوز ، الايمان بان سوء حالة الاشتراكية القائمة حقا هي مرحلة انتقالية ، هي مرحلة في التطور الى مجتمع . « يكون فيه الانسان معين للانسان » كما يقول برشت ، ولكن فارنر ، الذي درس في البداية علم اللاهوت ، لاينفي ادراكه بان الماركسية التي عرفت آلية عمل المجتمع الصناعي الاساسية ، وتظهر هذه الآلية بوضوح ، تفشل في تطبيقها السياسي الميداني من جراء النقص في الانتروبولوجيا .

ان مايعنيه بذلك هو الاهمال الايديولوجي لحاجتنا الطبيعية للعاطفية والذاتية . هل ينطبق هذا اجمالا على التنوير كانت حركة التنوير ، التنوير الاولى ، عصر رهاقة الاحساس . جان حاك روسو تحمس واعلن عن « ثقافة الشاعر » التي ينبغي ان تنشأ . ويددروهو — بما يمتاز به من تفنق ذكاء — ، مكتشف مرهف الحس للذاتية وهو بذلك محرر . العقل كالهام . اما الماركسية فتبدو ( بالرغم من العلم الاحمر ) قائمة مكربة . بالتحديد : الماركسية ( في اواخر عهدها ) . اهمال العاطفة امر ينطبق على الحركة العمالية المبكرة ، التي يعود الفضل اليها في كل ماتود البرجوازية اليوم ان تعتبره سماحة نفسها . والنقص في الالهام ، النقص في التوهج والانتقاد في فكر التنوير امر لاينطبق على ماياكوفسكي ، على سبيل المثال ، ولا على بابلونيرودا او على غابرييل ماركيز ولا على ارنستو كاردينال ، الكاهن والشاعر في نيكاراغوا اليوم .

اجل ، هنا جرى شيء مابشكل مختلف عما كان مخطط له .

□ الى اين يتجه الامل □

اما المذنب ، الذي يزور هذا الربيع مرة اخرى نظامنا الشمسي ، فانه يحافظ على المسار الذي حسبته الفلكي البريطاني هالي ، في عصر شعوذة العامة والامراء ، إذ اعتقد الملك الانكليزي مثلا ان المذنب يخصه شخصا ، ! وكان مصابا بالاسهال . العلوم الطبيعية اذن ، هي الاخرى على وشك ان تصبح عجز في التنوير . لم يكن المقصود عقلانية صرفة فكوبرنيكوس وغاليله لم ينفيان وجود الله ، والكنيسة في روما وحدها لم تكن ترغب بنظامه الشمسي - ماكان مقصودا هو العقل الكبير : كعقل اخلاقي على نقيض الشعوذة . ان مايعود الفضل به الى العلوم الطبيعية هو امر بعيد عن الشك : الى حد معين .  
اين يبدأ هذا العجز ؟

ان علما بدون عقل اخلاقي ، وبالتالي بحث علمي ، ليس على احد ان يتحمل مسؤولية عواقبه ، فهو اكثر من عجز . انه قلب وعكس للتنوير الذي يهدف الى جعلنا انسانين . التنوير اليوم هو ثورة ضد الشعوذة في التكنولوجيا التي تجعل الانسان من الطراز القديم ، كما يصف غونتر آبش ذلك ، وتقوده الى العجز امام التكنولوجيا . وحرى بهذا ان يكون انذارا كافيا ، ولكنه غير فعال كانذار في مجتمع يصر على ان يعتبر عقلانيا مايدبر الربح .

اجل ، امور كثيرة جرت بشكل مختلف عما كان مخطط لها .

في نهاية التنوير لانجد ، كما كان يأمل كنت و كل المنورين ، الانسان الراشد ، وانما العجل الذهبي ، وهو معروف منذ « العهد القديم » التوراة . كيف العمل ؟

ايضا اليوم هناك منورون - اندري زاخاروف على سبيل المثال ، اقل شهرة في الغرب بميثاقه ( غير المعروف في الشرق ) واكثر شهرة

□ الى اين يتجه الامل □

بحقيقة ان الكرملين لايسمح له بالمفادرة ، وبدلا من ذلك نفاه الى مدينة على نهر الفولغا ، تحمل اسم منور سابق هو مكسيم غوركي . المنور كعدو للدولة كما في النظام القديم . لقد سمعت عن ميثاقه : « كيف أتصور المستقبل » ، في موسكو عام ١٩٦٦ من اصدقائه ، وهم اناس يقدرهم المرء هنا كمنشقين هناك . انني اوقع على احتجاجات علنية لصالح المنور السوفيتي منذ عام ١٩٦٨ . لكنني احتج ايضا ، حيث يزداد صمت الصحافة العالمية المحلية : احتج ضد التعذيب في تشيلي ( منذ اغتيال سالفادور اليندى كرئيس منتخب للدولة ، الذي لم يلق قبولا في واشنطن ) كما احتج ضد التعذيب في تركيا ، العضوة في الحلف الاطلسي ( والتي منحها مجلسنا الاتحادي للصناعة السويسرية كفالة مخاطرة ) وضد التعذيب في بقية بلدان استثمارات الرأسمالية القائمة حقيقة ، ولكننا نستشهد ونستند في تلك الى المبادئ العامة لحقوق الانسان المعلن عنه من قبل الامم المتحدة في عام ١٩٤٨ وهو نص ماكان ليوجد بدون نص سابق ، وهو اعلان حقوق الانسان والمواطنين عام ١٧٨٩ وهو من ثمرات التنوير ، ولايقر اليوم للمرة الاولى ، حيث ورد فيه :

« تكمن الحرية في ان يستطيع المرء فعل كل شيء لا يضر باخر . وهكذا ليس ثمة من حدود لممارسة اي شخص لحقه الطبيعي سوى تلك التي تكمن في ان يظل مضمونا تمتع ببقية اعضاء المجتمع بنفس الحقوق » .

انه اعلان ، احسن معه ياكوب بوركهاردت بشعور ينطوي على الارتباب اني اعلم انه مريب مثل فكرة سيادة الشعب ، ان الارستقراطي اللامع من بازل سيهز رأسه ، لو سمع كيف يصف مجلسنا الاتحادي من حين لآخر الشعب المقترع ( وليس مثلا راس المال ) بأنه ذو سيادة : لا ريب : الديمقراطية ، التي تفترض وجود مواطنين راشدين ، راشدين حتى

□ الى اين يتجه الامل □

كموادتين باللباس العسكري ، هي مشروع من فكر التنوير . انه مشروع جريء ، نعم مشروع تحقق جزئيا واصبح واقعا سياسيا . هل هناك ديمقراطية ( من الآن وصاعدا ) بدون فكر التنوير ؟ من المؤكد ان مراكز الانتخابات لن تغلق ، من الاكيد ان البرلمان سيجتمع ويعقد جلسة بعد اخرى ولن يظهر فجأة من البرلمان الاتحادي واحد مثل ماركوس . الامر ليس هكذا . اولسنا من العالم الاول ؟! هل نصل بهذا الشكل تدريجيا الى الديمقراطية كفولكلور ، كتمثيلية صناديق الاقتراع الشعبية ؟ انني لا ارى اننا قد وصلنا الى هذا الحد فالي اين وصلنا ؟ - حين نعلم ، على سبيل المثال ، انه ليس هناك شرعية للتحدي لتصرف دستوري ( لعضوة في البرلمان الاتحادي ) . ان هذا مبدأ دولة الحاكمين . ويستطيع المرء تقدير بلاغا التالي ، خاصة وأنه مستساغ بين كبار الضباط عندما يكونون بمعزل عن الرأى العام . الا هو : المنورون هم اعداء الدولة ...

» ليبرالية متأخرة ؟ « .

ثمة اصوات اخرى ، نعم . اني استشهد بصوت جدير بالتصديق وهو ايضا من برن ، في رسالة للرئيس الاتحادي الفونس ايفلسي : ورد مايلي : « ان يلقي التضامن مع بلدنا تعبيرا عنه ايضا في انتقاد الحكومة ، امر لا يقبل الشك بالنسبة لي » - انها جملة اثلجت صدري وبعثت في نفسي الحيرة والبلبله في الوقت ذاته .

التضامن مع بلدنا ؟

الحاجة لذلك اعرفها جيدا .

( « انتبه ، سويسرا » )

ان مايجعل التضامن مع سويسرا صعبا في هذا القرن هو امر بحث مرارا ومن اناس مختلفين . « ايدان بلد صغير لمجرد صغره ام لمجرد عدم معرفته العظيمة ؟ » سؤال طرحه سي.ف. راموز في الثلاثينيات . « الحاجة الى العظيمة » هكذا سمى مقاله الذي اثار بلبلة . ليس بوسعنا ان نحول دون سقوط قيصر مثلما لانستطيع ايقاف واحد مثل هتلر او واحد مثل بينوشيت لا اكثر ، وذلك على افتراض ان احدا يريد ذلك ، ولا نطرد السوفيت من افغانستان . فبلدنا صغير جدا لكي يقوم بذلك . هذا امر نعلمه . عندما تم مع ذلك الانتصار على هتلر بمساعدة السوفيت الذين فقدوا من اجل ذلك ( ٢٠ ) مليون انسان : بلدنا الذي سلم من الحرب - منتدى محايد بين الشرق والغرب ، ربما لكي يعيق من خلال حوار سباق التسليم او يخفف من حدة كراهة بلدنا ، لم يتطور الى هذا المستوى ، بلدنا اصبح طاولة زبائن دائمين ، محاولة ابطال تشدد بالكلام وفشارى الحرب الباردة ، وهذا منذ اربعين عاما الى الآن . « الافكار العظيمة معاقة في البلدان الصغيرة » هذا لاينطبق على كل البلدان الصغيرة ولكنه ينطبق علينا . اناس من امثال كارل بارت ، الذي تصدى كمسيحي للحرب الباردة ، لم يحققوا شيئا في هذا البلد باستثناء كرامة المعتزل . « العظيمة » امر ليس له علاقة بحجم اراضيها . منور ، منور كبير ، اقام لفترة طويلة في جزيرة بيتو على بحيرة بيل .

وما فكر به هناك كان مهما بالنسبة للتاريخ الاوروبي : منور آخر في بلدنا ، منور صلب ، شديد المراس الامر الذي لايتوقعه المرء عند النظر الى تمثاله المؤثر . انه هانريش باستوليتسي ، معتكف طوال حياته ، واليوم اكثر من ذي قبل . هانريش باستوليتسي كورقة سويسرا الراحبة؟

□ الى اين يتجه الامل □

هذا يفترض ان تكون سويسرا شيئا آخرًا غير اتحاد محلي لسماسرة دوليين ، الذين يعتبر عملهم وتستريحهم على الاجرام قانونيا ولكن ليس مساهمة من اجل منظومة شعوب هي اهل للسلام، وشيئا آخرًا غير شعب ادار ظهره بفظاظة « للامم المتحدة » لكي لا يكون ابدا ملتزما ومطالباً (كامة) بالقيام بعمل من أعمال التضامن الدولي ، الذي ربما قد لا يكون مربحا بالنسبة لسويسرا كمركز مالي .

اذن تضامن مع من ؟

( الى اين يتجه الامل ؟ )

انني اعرف نفسي متضامنا مع كل أولئك الذين يبدون مقاومة في أي مكان في العالم ، وبذلك هنا ايضا ، مقاومة ضد القانون كخدعة أقصد مقاومة على كل أصعدة هذا المجتمع اللاهث ولقاء الروح مقاومة تهدف الى ان تكون الغلبة لفكر التنوير، وذلك بشكل هيكلي، فيه الكفاية : ليس كاعادة عرض تاريخية وانما ببعث الروح فيه من خلال خبرات تاريخية بمحاولات اخرى جديدة للتعايش بين اناس راشدين : وثمة بدايات لذلك . ربما لم يبق امام جنسنا البشري الكثير من الوقت ولا حتى الف عام مرة ثانية وذلك وعلى اتساع الكون . ودون الوصول الى العقل الاخلاقي الذي يتأتى فقط من المقاومة لن يكون هناك قرن قادم . ان النداء للامل هو اليوم نداء للمقاومة . وما يتعلق مرة اخرى بالرجل المعجوز ، لقد قرأت في موضع ما عن الكهل المجنون في مدينة البندقية الذي توقف عن التحدث مع معاصريه واستند طوال أيام بلا حراك على نافذته العالية وشعره الاشيب المسترسل قليلا فوق حافة النافذة : ازرا بانود ، كلا ليس صنما محشوا ، انه يحرك راسه بين الحين والآخر كالعصفور ، انه يستطلع،



□ الى أين يتجه الامل □

وفجأة يسمعه المرء يزق بصوت اجش « فوضى » وإذا ماالتفت شخص  
ما تحت في الساحة الصغيرة : فوضى ، فوضى . ثم يصمت من جديد  
طيلة الفترة المتبقية من النهار .

الامل ان لا ازعق ابدا

— لمجرد انني توقفت عن الكتابة .

تعب ، اجل منك .

ماذا افعل غير ذلك ؟

ماتنبأ به فولتير :

ينتهي المرء بالضرورة الى القيام بزوع حديقته

وكل شيء آخر ، باستثناء الصداقة قليل الاهمية .

نعم ، حتى الاعتياء بالحديقة ، امر قليل الاهمية .

لقد وضعت خطأ تحت كلمتي : « باستثناء الصداقة »

نعم ، باستثناء الصداقة

اشكركم

★ ★ ★

## قُبْعَة من فراء الدَّب

الكاتب: كريستوف غاير ١٩٤٩  
ترجمة: نصر الشيخ



ARCHIVE

هناك ، حيث يتجه خنلق بيتن سامقا الى الاعلى ، وعلى امتداد حديقة المستشفى المدني ، راي والدي في صبيحة احد ايام تشرين الثاني الباردة ، من طرف عينيه ، صبيبا صغيرا على الرصيف ، وحيدا في الطريق الى المدرسة .

وتساءل والدي ، وهو يزيد من السرعة لكي لا تتباطأ السيارة في هذه الطلعة : اي اهل يرسلون طفلا صغيرا وحيدا الى المدرسة ، في حركة المرور المزدحمة ، فمحفظة الكتب المصنوعة من فرو الفقمة كانت اكبر تقريبا من الصبي ذاته ، كانت ساقاه الصغيرتان تقطعان الطريق بخطى حثيثة ، ولم يشأ والدي مشاهدة راسه ، اذ ان قبعة بنية عريضة من الفرو قد وصلت حتى محفظة الكتب .

من « ارض بور »

ذيورخ ، دار نشر بيتسيجر ١٩٨٠

وعندما عدلت سيارة الستيو ديبكر ، في نهاية الطلعة ، تلقائيا من سرعتها الى السرعة الثالثة برجة ماكادت تكون ملحوظة ، عندها فقط اكتشف والذي ابنه في المرأة الخلفية - ولم يكن ثمة مجال لأن يلوح بيده .

لم يسألني والذي عن سبب ارتدائي في ذلك الحين قبعة من الفرو ، مفرطة في ضخامتها ، وأنا في سن الثامنة ، تلميذ في الصف الثاني ، وهي لم تكن قبعة ما ، وإنما القبعة السوداء من حقيبته والدته ، ولم تكن جلد حيوان فراء ما ، وإنما من فراء الدب ، فهو لم يتعرف أيضا على القبعة بل استغرب فقط ، حتى في الظهيرة عندما عاد الى البيت من عيادة المرضى ، كم بدت له صغيرا في الصباح .

لم أكن أخشى السيارات في الطريق القصيرة الى المدرسة ، فالمدرسة لم تكن تبعد سوى خمس عشرة دقيقة عن بيت اهلي ، في نهاية خندق بيتر في الزاوية المطبقة لتلاقي شارعين ، منضبة كواجهة حمراء بنية بارزة من الماء لسفينة ضخمة متصدعة ، وبأخرة الاستراحة كانت ظهر هذه السفينة ، غطيت أرضيتها بالخرسانة ، وسيجت بقضبان عالية تعلق عليها صبية يصرخون كقردة في حديقة الحيوانات .

ومهما يكن من امر ، فقد كان على المربية ، التي كانت مسؤولة عني منذ ولادتي ، ان تتركني وحدي على ابعد حد عند الباب ذي القضبان ، وما أن كنت ادخل القفص حتى ينقضوا علي صائحين .

وفي غرفة الصف ، يكبح معلمنا الصغير الجسم السقيم ، جماهم بصعوبة . ثم يسيطر هدوء حذر ، لاسكون ، تسمع فيه باستمرار طقطقة خشب المقاعد المدرسية . وما ان يدق الجرس ، حتى تستحيل المحافظة على هدوئهم : كنت افضل البقاء في غرفة الصف ولكن لم يكن مسموحا لي فعل ذلك .

## □ قبعة من فراء الدب □

كان الصباح يعلو في ردهة المدرسة المظلمة النتننة ، بينما كانت تندفق من كل الطوابق وغرف الصفوف جداول من صبية صفار يصرخون ، وتندفع على الدرج الحجري الرمادي العريض سيلا هادرا متدفقا باتجاه اطار باب المدرسة الوضاء صوب الخارج ، جارفا معه كل متردد متمسك بدرابزين الدرج .

كانت الباحة بركة صغيرة ، صبت ارضيتها بالخرسانة وسيجت بقضبان ، مكشوفة ، دون زوايا كان يمكن ان اختبئ فيها . وتحول السيل الى بحر ينكسر على السدود امواج ، في كل مكان . كانت تتصارع فيه مجموعات مع بعضها البعض . وانما اشرف على الفرق ، تتقاذفني الامواج ، عاجزا عن السباحة ، تتخاطفني الايدي . وفجأة يمسك بي ذراع تلميذ . ولكن كان علي الا اغرق . وانسل اكبر المعلمين سنا ، السيد ماير ، الذي كان يقوم باستمرار بمهمة الاشراف ، كالدمرة ، صامتا ، وذراعه متقاطعان خلف ظهره ، انسل عبر هذا البحر من الصبية الذي كان ينشطر حيث كان يظهر . كان يرتدي في الشتاء معطفا اسود طويلا ، وعلى الراس قبعة بنية غريضة من الفرو ، وعندما كان يشعر أن الموج قد اصبحت شديدة الارتفاع ، كان يضرب بيده المجردة ، لا على التعيين ، بشكل مباغت ، بلا صوت ودون تمييز بين المهاجم والضحية .

لم اكن اخشى ، ورأسي محصور تحت ذراع تلميذ آخر ، الاختناق باكثر ما كنت اخشى العقاب .

وما ان يدق الجرس حتى يتجمد هذا السيل . كان علينا ان نصطف صفين امام المعلم الذي وقف عند اطار باب المدرسة المظلم ، لا نتكلم ولا نتناول الاطعمة . ولم يكن يسمح لنا بدخول بناء المدرسة مرورا من امامه ، الا عندما يتنحي جانبا موجها صفعة صغيرة صامتة في الهواء : وما ان

ينجاز التلاميذ المدخل ، حتى يجري كل واحد بما يستطيع من السرعة .  
 ويزداد السيل العرم ، صاعدا على الدرج ، صارخا متدفقا الى غرف  
 الصف ، حيث يتابع هديره حتى قدوم المعلم مع رنين الجرس للمرة  
 الثانية .

كان هذا المعلم يرسل اولئك الذين لم يجلسوا في مقاعدهم ، وعلا  
 صوتهم وصراخهم ، الى السيد ماير الذي لقب بـ « قضيب الخيزران » .  
 وكانوا لدى عودتهم يجففون اعينهم بخجل .

كنت اريد الا اعاقب .

كنت بين دفتي الجرس مسجوناً مع صراخ الآخرين ، بين النوافذ  
 ذات الزجاج المصفر ، وبين الباب المغلق ، ممنوعاً من الخروج . اجلس  
 ساكناً في مقعدي ، اصم اذني . وكان العدد الاكبر يتعارك كالديكة ، ومن  
 لم يكن عنده خصم ، كان يكيل لكما الى اولئك الذين جلسوا هادئين في  
 مقاعدهم . كانوا يخزون بعضهم بعضاً باقلام الزاغاص ، يرمون على  
 رؤوس بعضهم بعضاً بالمساطر وكتب القراءة والواح الوردواز . ومن لم  
 يكن عنده احد يصرخ في وجهه كان يصرخ في الهواء .

لقد اصبت بالفشيان .

كان الدم بعد كل استراحة يتراجع من راسي ، وأنا جالس متحجر  
 في مقعدي ، اصم اذني بكل قوة ، انتظر حلول البلية : لقد جف فمي ،  
 وشعرت بالبرد يعصف في بطني ، وجاشت معدتي ، وحاولت كبج عاصفة  
 التقىء ، ولكن بدون جدوى ، فهرعت خارجاً من غرفة الصف الى المرحاض  
 لكي اتقيأ ، متحنياً فوق فتحة المرحاض ، وحيداً في السكون الا من بين  
 الجدران المكسية بالسيراميك الابيض ودالتي في حلقي احوال التقىء -  
 ولكن لم يخرج شيء سوى سائل مخاطي ابيض . لم يكن مسموحاً

## □ قبعة من فراء الدب □

الانتظار في الردهة على الباب ، الا اذا كان هناك شيء للتبليغ ، وبلغت معلما الصغير الجسم السقيم : اني مصاب بالفشيان ، فارسلني الى البيت .

عند وصولي الى البيت كان شعوري بانني مضطر ، ولكن غير قادر على التقوى ، قد اختفى عند المربية ، وارسلتني امي الى والدي في دار هولباين . فحص والدي اذني وعيني وفمي وحلقي : ان من لم ترتفع درجة حرارته وليس على لسانه طبقة بيضاء وحجرتة ليست حمراء مثل حكومة بازل ، واذا ناه ليستا ملتهبتين ، وعيناه غير مصفرتين ، وليس عنده سعال ولا زكام ولا آلام في الاطراف ، فانه لم يكن بحاجة الى طبيب ، ولم يكن مسموحا لي ان ابقى في البيت ، وكل شيء آخر كان دلالا ، وكان والذي يكره الدلال . اكد والدي انني سليم الصحة واعادني الى المدرسة . وماكدت ادخل البناء ذي الصيغة الصارخين والرجال المعاقبين حتى جف فمي ، وسرت قشعريرة البرد في بطني ، وتكثرت معدتي ، فالتجيات الى المرحاض ، وحاولت ان اقفى ، وانتظرت المعلم في الردهة ، امام الباب وبلغته : انني مصاب بالفشيان ، كل يوم .

كان بوسعي طبعاً ، وانا عائد الى البيت ، ان اقول : اني خائف ، وكنت اعلم علم اليقين مما انا خائف ، ولكن الخوف لم يكن شيئاً ولم يكن له اي اعتبار ، ومع ذلك فقد كنت آمل ان المربية ، عندما تضع مقياس الحرارة في فتحة شرجي ، ستنظر نظرة ملؤها الجذ والقلق ، وهي تقرا مقياس الحرارة . ولو حصل ذلك لكان فيه خلاصي . يدخل والدي غرفة الاطفال حاملا حقيبة الطبيب البنية ، يفحص عيني ، اذني ، فمي وحلقي ، ثم يطلب الي ان اجلس ، واضعا يدي على ركبتي ، متنفسا بعمق : يفحص رئتي ويدق خلال ذلك على ظهري ، كما لو انه يدق على بابي ، ولكنني حتى هذا اليوم لا اعلم كيف كان يدق ، لانني لم اتمكن من

مشاهدة ذلك ابدا ، اكان يدق ببرجمة الاصابع ام بالانامل ، مباشرة على الظهر ، او على يده التي وضعها على ظهري فخففت من وقع الضربة ؟ خفقان عميق وضغط هادىء ، لم يكن والذي من الاطباء الذين ما ان يلقوا نظرة سريعة اولى ، حتى يبدأوا بالحديث ، وكأن عليهم ان يجربوا اولا وقع كلمات لاتينية مختلفة ، لكي يحددوا في نهاية الامر التشخيص الصحيح ، كان يصمت ككل المشخصين من ذوي الخبرة ، الى ان يكون قد فحص وجس كل شيء . وعندما لم يعد من الممكن حصول خطأ او تناقض . نهض والذي ووصف ملازمة الفراش وادوية وحمية ، واعطى المربية تعليمات اتبعها بمنتهى الدقة - وهي المؤهلة في مستشفى للخدج - فاحضرت لي الطعام واللعب الى الفراش ، وابعدت عني كل الكتب المدرسية ، وغسلتني ومرهمتنى ، واطلقت في الرفقة كلها ابخرة الكينا ، وحضرت لي الشاي بالليمون والليقواناد بالسكر القاعم والحليب بالعسل: انها وصفاتها المنزلية الحربية ، تعلمتها من مهرجات خدج اخريات، وكان والذي يعتبرها سحرا لا لزوم له وشعوذة ، ولكن طالما اتبعت وطبقت تعليماته ، فلم يكن بوسعه ان يحظر عليها شيئا ، وهي بعنادها واختصاصها بالرعاية ، ما كانت لتسمح بان تمنع من شيء في غرفة الاطفال .

انها على الاقل لا تضر ، وكان طريقا ما قامت به : نصبت في وسط الغرفة خيمة كبيرة من الكراسي واغطية الفراش ، ووضعت في الخيمة ، سخانا كهربائيا ، وكان علي ان استلقي على ركبتيها وراسي في الخيمة ، استنشقت الابخرة ذات الرائحة الطيبة .

وعندما كانت تعود الحرارة الى حالتها الطبيعية ، كان مسموحا لي ان ابقي ثلاثة ايام على الاقل في الفراش بدون حرارة مرتفعة - هذه

## □ قبعة من فراء الدب □

هي القاعدة المطبقة عند ابي للمرضى من الاطفال - يتلو ذلك يوم في البيت بدون حرارة مرتفعة بغية تجنب حصول انتكاسة ، وعادة ما كان يصادف ذلك يوم الجمعة ، ولا نذهب في يوم السبت الى المدرسة . وعندما كان يتأكد من عافيتي في اليوم المحدد تماما ، كما كان والدي قد تنبأ ، كانت امي تكتب التبرير ، والوالدي يكتب الاعفاء من درس الجيباز لمدة ثلاثة اسابيع على الاقل ، كان الجميع يأخذون الحرارة المرتفعة وخطر العدوى على مأخذ الجد . ولكن ارتفاع الحرارة لم يكن يتأني عندي من الخوف . وعندما اعلن معلمي عن عزمه زيارتنا اوضح ابي انه غير معني ، قائلا لامي: تحدثي انت معه .

تحدثت امي معه طوال ساعتين ، في غرفة الجلوس ، خلف ابواب موصدة ، وبعد ان ذهب المعلم كانت مضطرة ان تجري الى المرحاض ، كانت امي مصابة بالاسهال ، ولم تكن تستطيع النوم ليلا ، تستلقي اثناء النهار على الاريغة تشكو همها : اني قلقة عليك . وبهز والدي راسه مستغربا هذا القلق الزائد الذي لا مبرر له ، واعطى والدتي اقراص فحم ودواء مهدئا للامعاء ، كان يلعب « الفولف » ، يشفي الاطفال وكان للاقراص تأثيرها .

اقترحت امي ارسالي الى معلم ملاكمة ، لكي احسن الدفاع عن نفسي ، ولكن والدي عارض ذلك معارضة شديدة ، لان الملاكمة ، حسب رايه ، رياضة بدائية . ونصح معلمي بنقلي الى مدرسة للمعوقين بسبب نقص الكفاءة المدرسية والتحسس الزائد من الصخب . لم يكن الامر يتعلق بالرد عندما كنت ارمي على رأسي بكتاب قراءة . كانت المربية اجدر من كان قادرا على المساعدة . كان غيظها يصل الى درجة فقدان الاحساس ان هي شاهدت حيوانات او اطفالا صغارا في خطر ، ولو ان الامر بيدها



لكانت قد اندفعت الى غرفة الصف وحمت الصغار وصرخت في وجه المعلمين المعاقبين ، وصفعت علنا « قضيب الخيزران » الذي كان يضرب الاطفال . لكن لم يكن هناك دور للمربية ، طالما كنت معافى ، كان عليها ان تسلمني على الباب ذي القضبان ، ولكن توعكي لم يحدث الا داخل المدرسة . كان علي ان اساعد نفسي بنفسي .

كانت القبعة طبعا ، حتى بعد ان ضيقتها المربية ببضع قطبات ، لا تزال كبيرة جدا : غطت اذني ووصلت الى عيني . كنت اثناء الاستراحة ، اخطو جيئة وذهابا في الباحة ، يداي متقاطعتان خلف ظهري ، على بعد قليل من « قضيب الخيزران » الذي نظر الي من عل باستغراب ، ولم اتهرب من نظره ، لابل اعتقدت انه قد تبسم .

ومهما يكن ، فقد عرفني الآن ، ولاحظ اني لم اصرخ . وكان هذا كافيا . لم تزعجني حقيقة ان البعض قد سخر مني في البداية . فانا ما كدت اسمع ذلك ، وعموما فقد كان الصراخ اخف وطأة في الباحة . وعندما كان احدهم يحاول ان يضرب القبعة على رأسي ، كنت انظر اليه نظرة ماحقة . وفجأة كان هناك آخرون امنوا لي الحماية : فلقد وجدوا ان الامر اطرف بكثير حين ارتدي القبعة على رأسي وجل ما كانوا يريدونه هو ملاستها سائلين : من اين لك هذه . لقد كان فراء الدب ، الجودة الروسية ، الغابات الملاي بالذئاب وعربات الترويك ، كانت جميعا شيقة بما كان كافيا للتحدث معي . وكان بالامكان البدء — بحذر — بالتصادق .



# رحيل

الكاتبة : اريكا بيدريتي ١٩٣٠  
ترجمة : نصر الشيخ



ARCHIVE

<http://Archivebeta.sakmi.com>

واحد قادم هناك ، من اين ؟ فليات من جيشا شاء ، مع كل اشيائه ،  
ويرابط ، ينتظر ، يقف او يذرع المكان جيئة وذهابا ، او ينقل ثقله من  
قدم الى اخرى وينتظر ، اثناء ذلك ، بينما اراقب كيف ينظر الى اليسار ،  
ينظر الى اليمين ، ارى كيف ينتظر واحد ، على ما يبدو ، بصبر ، مثلما  
انتظر ، ماذا عساه سيفعل الآن ، ماذا سأفعل ، لو انني في وضعه ، لو  
كنت هو ، صابرا مثله ؟ في هذه الحالة التي اعرفها معرفة حققة ، لا ،  
ليست معرفة حققة ، وانما اعرفها سيئة ، افلا انتظر طويلا ؟ كم من  
الوقت ؟ دائما مثلا ؟ او على الاقل بشكل دائم تقريبا ، طالما اذكر ، وان

من « شروق الشمس ، غروب الشمس » - قصص

فرانكفورت ، دار نشر زور كاسب ١٩٨٤

لم يكن مثله ، وانما بشكل ما مختلف حسب طبيعتي الخاصة ، من حيث انني لا احب ان اظل واقفا الآن بجانب خط سكة الحديد هذا ، الذي لا اعلم الى اين يؤدي ، وليس بوسعي سوى ان امل ، انه يعلم ذلك ، والا هل كان قد وقف بجواره ؟ ويبدو وكأنها ليست المرة الاولى ، وكأنه قد الف ، ما يبدأ ، الآن ، من مرات سابقة ، لا لان الامر يبدو وكأنه يكرر شيئا تمرن عليه ، اغلب الظن انه لا يعرف شيئا آخر ، وانه على نحو ما غير جاهز ، ليس على استعداد كامل للامر ، الذي قد يواجهه ، وكأنه لا يعتقد حقا ، انه سيقع ، او كأنه لن يحدث الا في المرة القادمة او التي تليها ، هذا الذي ينتظره ، بوضعه حقائب سفره - يا الهي ، من اين للمرء كل هذه الحقائب او العلب على خط قطار بيل - روتردام او فرانكفورت - ايرون ، على خطهم ما من تلك الخطوط التي تعبر بلادنا ، تقطع القارة ، ولعلها تؤدي الى مطار تنقله او تنقلك او تغفلني منه خطوط طيران عبر القارات الى امريكا ، الى استراليا ، وربما الى الصين ، الى حيثما يتوق قلبه او قلبك او قلبي اي شيء فينا من شأنه ان يكون مصدرا للشوق ، من يعلم ، ربما طحالك ، معدتي ، العينان او الرئتان ، كل ما يتوق الى مكان هادئ طيب ، الى هدف او منطلق جديد ، الى مكان ذي نقاط انطلاق اخرى ، واعدة لا تنضب ، تنبعث وتنشعب منها خطوط قطارات وسفن او طيران جديدة الى مناطق غنية غير معروفة ، ولهذا غير مستغلة ، لم تطاها بعد قدم ، او قلما وطأتها ، قف ، قف ، الى اين تريد ؟ لا تبالغ في طموحك ، لماذا لا تذهب الى برن ؟ او لوزان ؟ لماذا الى احلام الطباء والبطارقة ، او الى حيثما يتوق الواحد باحلامه ، الى الجزيرة ، الى الضفة الاخرى ، الى بيت آخر الى هذه الحجرة المحددة ، الى هذا الحب او الى حب آخر ، لا يعرفه بعد ، الى مكان لا يزال مجهولا ،

## □ رحيل □

ولكنه ممكن ومثالي له او لي فقط ، الاسكا نيبال ، حتى يتحقق الوصول  
 اخيرا الى الذات ، الى القلب الخاص ، او الى اي شيء كان : الى الطحال ،  
 الكبد ، الرئة ، مع الحقايب والعلب ، والصحيفة والترازيستور ، الى  
 اين بحقايب السفر الكثير هذه ؟ كيف حصلت ، كيف حصل هو على كل  
 هذه الصور ، على كل ما هو فيها ، وما هو ؟ كيف تجمع عنده وحوله  
 خليط يتجاوز بعده الخاص ، حجم شخصه باضعاف مضاعفة ، اوراق ،  
 ادوات مطبخية وملابس ، ساعة ، مذياع وآلة كاتبة ، احذية وقبعات ،  
 مظلة ومصابيح مختلفة ، صابون وعطر والى غير ذلك ، بحيث سيكون  
 مشغولا كلية بتركيز وترتيب حقايبه لفترة ، من يعرف كم يستغرق  
 من الزمن ، هل من يعرف هل العمل اللازم ، لوضع كل شيء وفق تسلسل  
 منظم واضح ، لن يشغله لفترة زمنية طويلة عن مراقبة سكة القطار بعناية  
 ويحول اصلا بينه وبين اي ادراك محيطه وكل ما يرتبط به من مفريات ؟  
 تغرد العصافير وبربرة دون جدوى ، مامن احدا يرى نظراتها العابثة ،  
 رفرقة الاجنحة ترسم ايديها وذراعيها ، تتمشى جيئة وذهابا ، رشيقة ،  
 دون جدوى ، وتنظر بعينين طارفتين في الشمس المشرقة ، او تفض ذلك  
 الذي لا يلحظ شيئا . وفي السماء ، غيوم بيضاء يطارد بعضها بعضا ،  
 وكأنها اطفال صفار لاعبون ، ومن الممكن ان تكون عشاقا ، لم لا ؟ ولو كان  
 غير مهتم بأشياءه ، لامكنه ان يتعلم منها امورا مختلفة ، ولما تعين عليه  
 سوى ما لا يسعه فعله الآن ، ان يرفع رأسه وينظر قبل ان يتبدد كل  
 ما كان لا يزال يجري بشكل مثير على الارض وفي السماء وينحل ويتحول  
 الى هواء ، وتتساقط اوراق الاشجار بينما يتلاشى عطر بربرة مثل  
 عبق البنفسج والورد والسوسن وازهار الاوركيد ، وعبق الاشجار  
 الموجودة له ، دون سواه ، لانه الوحيد في كل مكان ، بعد « تبخر » بربرة

المنهمك بترتيب ممتلكاته حوله ، وهكذا يخضر ويتغازل ويعشق ويعبق كل شيء دون جدوى ، الا اذا كان ذلك بالنسبة له ، الذي يفوت على نفسه كل الاغراءات ومختلف المسرات ، وانه لاستنتاج خاطيء الاعتقاد بان البنفسج لا يمكن ان يفوح بالشذى ، دون ان يدرك ، اللهم الا بدون جدوى ، وكم من امور هي في هذه الحالة دون جدوى ؟ كل شيء تقريبا ، ومع ذلك يظل كل شيء قائما ، لا يتوقف ، تنفتح الازهار وتتفجر طاقات الناس ، تتحد الغيوم مع بعضها مشكلة غيلانا او عاشقين ، او ابراجا وشعب جبال ، لو انه قد غادر هذا المكان ، وهذا ما ينوي ان يقوم به ، لقللت بربرة من الرقص ، ولربما لما رقصت اطلاقا ، ولكنه لا يكاد يستطيع ان يتصور ، ان يتخيل ، بحق ، هذا الهجر ، هذا الرحيل ، عدم استمرار التواجد هنا ، ومن يستطيع ذلك ؟ الا بتعزم معي العالم كله ايضا ؟ من حيث انني لم اعد انا ، اشتهه ، اسمعه وافهمه ؟ ألم يختف هذا العالم ، على كل حال بالنسبة له ، منذ اربعين يوليو ؟ ألم يتقلص الى هذا المقطع الضئيل ، الذي يحتاج اليه لبسط ممتلكاته ، ويشرف عليه ويزرعه جيئة وذهابا بشيء من الاعتزاز ، بينما يصل قطار لا يؤبه له ينطلق من جديد ، اجل هذه القطعة مكانها هنا ، وتلك هناك ، او من الافضل ، وضع صندوق السفر البحري في النهاية ، لا ، من الاحسن ، اجل ، الامر مقبول ، تسير الامور مع الموسيقى - بشكل افضل ، راديو لوكسمبورغ ، ا. مالر ، ديترفون ديترز دورف ، حسنا ، ولكنني اتساءل ، ماذا سيفعل ، ماذا سافعل لو ان كل قطعة ، كل حقيقة بما فيها من الكتابات ورسائل الحب ، صندوق البياضات ، الادوية والاكياس الصغيرة الملأى ببذور الازهار ، لو ان كل شيء قد وجد مكانه في نهاية الامر ، ووضع كل شيء في نصابه الحق ، وتكون بذلك قد تحققت المهمة التي القاها

## □ دجـل □

على عاتقه ، وهذا لا يمكن التنبؤ به ، ولكنه متوقع ، لو انني ، اه ، اية فكرة وهمية قد انجزت كل شيء الا يتعين علي ، الا يمكنني عندها الانتظار ثانية ؟ الا يمكنه هو ذلك ؟ وهل يمكن ان يثمر شدة بربرة وان تنشر شجرة التفاح براعم ازهار صغيرة بيضاء زهرية ، بينما يقف هنا ، على رصيف قطار جنيف - امستردام ، بين العشاق المتحركين دائما بسرعة وحيوية في رياح الالب الدافئة المتزايدة ، ينظر مرة نحو اليسار ، واخرى نحو اليمين ، على طول سكة القطار والى حيث تتلاشى ، او بامكانه ، مثلي وهو غير مشغول بشاغل ، ان يمعن النظر بهدوء واهتمام بظلال السحب المطاردة بعضها بعضا فوق التلال والبحيرة والمراعي ، ومراقبة هذه الطبيعة المتبدلة دون توقف .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



# سُكُونُ الرِّيحِ ؟ حَوْلَ الأدبِ النمساوي المعاصر

فِينْدِيلِين شَعِيْت دِينْغَلِر



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

## ١ - الأدب والسياسة - موضوع الارصاد الجوية ؟

يستعين المرء بتعابير الارصاد الجوية عندما يتعلق الموضوع بوصف اوضاع او احداث سياسية . ومثل هذه التعابير المجازية كالجو الصقيعي ، ما قبل آذار ، الجو الحار ، عواصف ، خريف القرب ، غيوم تتجمع الخ ... يمكن الاستعانة بها . فالأورخ وعالم السياسة والأورخ الأدبي يمارس كل عمله بدقة عالم الارصاد الجوية وذلك فيما يتعلق بالمواضيع . وقد تأصل في النمسا تعبير سكون الرياح ، وهذا هو العنوان المعبر لكتاب عالم السياسة Anton Pelinka انطون بيلنكا . هذا التعبير هو رمز يساعد على فهم النمسا رغم ازدواجية او كثرة معاني هذا الرمز . فالنمسا اذا ما قورنت ببلدان أخرى يسود فيها الهدوء والذي لا يتخلل عنه الشعب بسهولة . انه هدوء ما قبل العاصفة وقد يكون هذا الجو ممتعا ، رغم

## □ سكون الرياح ؟ □

غياب الريح المنعشة . يمكن فهم هذه الميزة سلبيا او ايجابيا ويستخدمها الاصدقاء لوصف الخصوصية النمساوية ويستخدمها أيضا الاعداء ان وجدوا ... وهناك الكثير من الشواهد من الادب النمساوي التي تصور هذا الوضع .

« موت اواخر الصيف » هو عنوان كتاب صدر عام ١٩٧٩ يتضمن مجموعة من المقالات النقدية اصدرها الناقد الادبي Ulrich Greiner اولريش غرايتر ، توجه فيها التهمة للادب النمساوي بأنه يعاني من موت اواخر الصيف ويمثل اسطورة هابسبورغ ، وانه قد استسلم للسلبية السياسية والاضمحلال ، وهذا مادعا للتفويض عن ذلك بالنشاط الزائد من الناحية الفنية .

أصبح عدم الالتزام السياسي للادب النمساوي والاهتمام الزائد بالناحية الفنية وذلك على حساب المضمون ، صفة سلبية . ولذا سنحاول البحث عن معايير أخرى لخصوصية الادب النمساوي . ولا بد بالمقابل من السؤال عن وجود خصوصيات وفيما اذا كان لهذه الخصوصيات قيمة عملية بالنسبة للادب وتقويمه . فما هي المعايير التي يمكن اعتمادها كمعايير ذات أهمية وصلاحية علمية ولعلاقة لها بالتنبؤات التي تشبه التنبؤات الجوية ؟ فللادب النمساوي استقلاليته وخصوصياته ، ولا يمكن ادراجه ضمن اجناس التاريخ الادبي ، وهذا ما يظهر واضحا في الادبيات الحديثة حول هذا الموضوع ، والتي تؤكد في مجملها على خصوصية الادب النمساوي .

الادب النمساوي عبارة عن ارباك حيث لا يمكن تصنيفه ضمن المقاييس والمعايير المألوفة والمستخدمة في فيمار ، لايبزيغ او هامبورغ ... فهو ليس طبيعيا ومثيرا للشفقة حيث يصعب التأكد من رجعيته او تقدميته .



ولا يمكن فهم هذه الازدواجية الا باستخدام معايير ومقاييس سلبية يجب ان توصف بالسلبية وبالرجوع الى احداث الماشي ومعالجتها بعيدا عن الحاضر .

تفنى هذه النقاشات التي تحدد مجرى وموضوع الندوات عن الادب النمساوي بمميزات وصفات مستوردة من الخارج ( كاسطورة هابسبورغ في الادب النمساوي ) لكلاوديو ماغريس Claudio Magris او ( موت اواخر الصيف ) لاولريش غراينر Ulrich Greiner ويمكن تفهم هذه الانفعالات التي تنفجر بعنف اثناء النقاشات ان كانت صادرة عن الكتاب انفسهم ، فهم لا يريدون تصنيفهم تحت تعبير شامل ووضعهم على الرف . اما علماء اللغة فيفرون عندما يتمكنوا من الحصول على بعض المعايير التي تساعدهم على وصف خصوصيات الادب النمساوي . ولا يوجد معيار يظهر اية فروق نوعية من وجهة نظر ادبية محضة او لغوية بين الادب النمساوي او ادب الرايش او ادب ألمانيا الديمقراطية . فالادب النمساوي مكتوب باللغة الالمانية ، وهذه اللغة سواء التزمت بالمعايير او لم تلتزم ، يمكن وصفها باللغة العادية . فليس هناك اي موضوع او جنس ادبي يحق للنمسا وبين الادعاء بأنه خاص بهم كما يتعذر وجود اي مسرحية شعبية او اية موضوعات كالموت مثلا يمكن للادباء النمساويين ان يدعوا لنفسهم الحق بها . وهذا ماينطبق أيضا حتى على فكاهتنا المشهورة التي تشاركنا بها شعوب اخرى . يتضح مما تقدم بأن فهم خصوصية الادب النمساوي لا يمكن ان تتم الا في مجال التاريخ الادبي وبمعنى ضيق له . وهذا يعني بكلمة اخرى ضرورة دراسة التطورات الاجتماعية والسياسية المرافقة ، وهو عوامل غير ادبية . وحتى مواضيع الموت ، وسقوط الملكية ، والتغلب على الماضي ، والخصوصيات اللغوية ، والفكاهة ، يمكن تفسيرها تاريخيا وبشكل ملموس .

## ٢ - جزيرة السعداء - صياغة ذاتية :

مما لاشك فيه ان النمسا اتخذت لنفسها بعد الحرب العالمية الثانية هوية جمهورية بكل التناقضات والانكسارات والفجوات . وهذا مايجعل الفرق واضحا بالنسبة للجمهورية الاولى . ولهذه الهوية المكتسبة تأثير كبير على ادب النمسا . ولا يمكنني هنا التطرق الى كل العوامل بالتفصيل بل اود اعطاء موجز عن الوضع القائم حاليا . ولابد هنا من الاشارة الى مساهمة الادب النمساوي الكبيرة في الانتاج الادبي في سوق الكتب الالمانية .

كان هناك فراغ بالنسبة للحياة الثقافية في النمسا بعد عام ١٩٤٥ ، وهذا لايعني الافلال من اهمية ودور الدين ساهموا باعادة البناء . ولكن الخسارة الكبيرة والتي تتحمل النمسا جزءا من المسؤولية عنها لم تكن قابلة للتعويض : موزيل وهورفاث وروت Roth و Zwingl و Zweig ماتوا في المنفى . وفيرفل Werfel وبروخ Broch مائتا دون ان يتمكنوا من العودة الى الوطن ، وهناك العدد الكبير من العلماء والنقاد الذين ضاقت بهم سبل الحياة في النمسا بعد عام ١٩٣٤ وخاصة بعد عام ١٩٤٥ كان يسيطر على الجو بعد عام ١٩٤٥ الحنين لاعادة البناء والترميم . - فالترميم لافهمه مطلقا بمعنى سلبي - فعملية الترميم هذه كانت ضرورة ملحة ادت الى نتائج منها كبت الماضي وهذا الكبت شكل خطرا على محاولة خلق الانسجام في المجتمع من جديد .

كان لهذا الوضع عواقب خطيرة . وهنا احب ان اؤكد ان هذه العملية استندت على دافع علاجي .

انعكست الحاجة للترميم على الادب حيث ازدهرت الاجناس الادبية التي كانت مألوفة سابقا ، وعاد الكتاب الى الرواية والقصيدة العادية والدراما الكلاسيكية . وعاشت هذه الاجناس عصر نهضة جديدة . وهناك الشواهد الكثيرة على ذلك . فالقصائد الملحمية الضخمة للشاعر دودير Doderer تصور ماضي النمسا وتعيد بناء الحياة اليومية في ضوء ماضي يبدو انه مستقر ، حيث تحافظ الحياة اليومية على بريقها من خلال اعادة تصوير صادقة للخلافات والمشاكل . هذه المحاولات الجادة لدودير Doderer نجدها متمثلة في روايته ( العفاريث ١٩٥٦ ) و ( قفص شتروديل هوف ١٩٥١ ) . ويقدم دودير عادة في نهاية رواياته وصفات للسعادة تبدو ضرورية في وقت ساد فيه الضياع . ومما يميز اعمال دودير اعتماده على لغة سليمة وقياسه صلاحية العمل الادبي بصلاحية قواعده . وهذا البرنامج وضعه دودير عام ١٩٤٧ في نفس الوقت الذي كان يطالب فيه فولفغانغ بورشرت W. Borchert في « بيانه » بتحطيم القواعد ، وهذا ما يوضح تبين المواقف .

اما انغيبورغ باخمان Ingeborg Bachmann فتعيد امكانية بناء القصيدة في القصيدة نفسها وهي على علم بالعالم المدمر حيث تقول في قصيدة ( عصفوري ) : « عندما اكون محصنة بالدخان ... واعرف ثانية ماذا يحدث يا عصفوري ، يا عوني في الليل ، عندما اكون متحمسة ، في الليل تبدأ الاستمرارية المظلمة بالتصدع ، والشرارات تتطاير مني ! » .

اما مسرحية « التجربة المقدسة » لفريتز هوخ فيلدر Fritz Hochwälder والتي ألفها اثناء الحرب فقد سجلت نجاحات كبيرة في فترة ما بعد الحرب في مسرح البورغ في فيينا . ويعود سبب

## □ سكون الرياح ؟ □

نجاح هذه المسرحية ليس لموضوعها الذي يعالج تأسيس جمهورية اجتماعية خيالية لليسوعيين في باراغواي ، بل الى شكلها المتقن كمسرحية تقليدية وتماسك الحدث الرئيسي فيها .

قد تكون هذه الامثلة التي اوردتها عن دوديرر وباخمان وهوخ فيلدر كافية لوصف الجو الذي كان سائدا آنذاك في النمسا ، حيث بدأ الجيل الجديد بالكتابة وقد سلبت منه اسس الثقافة عبر التثويبات التي حدثت أثناء حكم النازية من ناحية ، والذي وجد نفسه من ناحية اخرى في مواجهة صعبة مع العادات والتقاليد النمساوية .

## ٢ - التمرد التجريبي :

ان الحاجة للتعويض هي التي حددت اهتمامات الجيل الشاب وكان من البديهي ان يبدأ هذا الجيل بالتأثر بالعادات والاعراف النمساوية محاولا بذلك تعويض النقص الحاصل في التربية تحت حكم النازية. ويمكن فهم اعادة اكتشاف هيرتسمانوفسكي اورلاندو Herzmanowsky - Orlando ويوسف روث J. Roth ضمن هذا الاطار .

وفي هذا الاطار يمكن ادراج المقالات والاعمال النثرية لهربرت ايسين رايش Herbert Eisenreich الذي تأثر بالدرجة الاولى بشتيفتر Stifter وهذا ماقلل حتما من اهمية الطموحات الطليعية والتجريبية للكتاب الشباب ، حيث لم تلق هذه الطموحات اي اهتمام يذكر ، بل كانت على العكس من ذلك تثير احتقار وعدم تفهم الذين اطلعوا عليها . واعني بهذه المحاولات والطموحات محاولات « مجموعة فيينا » وبعدها محاولات كتاب من مدينة غراتس Graz الذين تجمعوا حول سلسلة « المخطوطات » التي كان يصدرها الفريد كوليريتش Kolleritsch بدءا من عام ١٩٦٠ . وقد

بقيت هذه المخطوطات حتى يومنا هذا اهم وسيلة نشر للكتاب النمساويين الشباب ، الذين حاولوا العودة الى ما قام به الكتاب المقربون من دوديرر باعادة صياغته وترميمه . وكان هذا الادب يعتبر نفسه طليعيا متطرفا بصرف النظر عن المواقف المختلفة بالنسبة للنظرة الى الحياة . ولا يتسع المجال هنا للتطرق للاسس النظرية والتطبيق العملي لها بل سأكتفي بذكر بعض الاسس وشرحها . فلقد هاجمت هذه الطليعة كل ما كان يبدو بديها : هاجمت اسس الادب ككل كالقصيدة المتكاملة والرواية والدراما والشعر والحوار والفن القصصي وكل المكونات الاساسية لهذه الاجناس . وتم تفكيك القصيدة الفنية وبدت غير متماسكة حتى في النص الذي اهل مكونات القصيدة . وتم كذلك ابطال مفعول الحوار الدرامي الذي تحول الى مونولوج لا ينتهي كما هو الامر في مسرحيات توماس برنهاردت Thomas Berhardt كما اصبح عنصر الجذب والتشويق مثيرا للضحك في المسرحيات القصيرة لـ Wolfgang Bauer اعتبر هؤلاء الكتاب الشباب السرد القصصي موقفا ادبيا خاطئا من حيث المبدأ خاصة وان هذا السرد كان يهدف حسب رأيهم لتشويه الواقع وطمس النظرة النقدية وكذلك الى دغدغة مشاعر القارئ وعدم تنويره . فكتاب ميشائيل شارونغ Michael Scharong الذي يحمل عنوان « نهاية السرد القصصي وروايات اخرى » يلخص هذا الاتجاه الذي شرحناه آنفا وبشكل دقيق . وهناك شواهد اخرى على هذا الاتجاه كالاعمال الادبية الاولى لـ Handke ورواية يونكه onke « رواية الوطن الهندسية » و « تصحيح اوربا الوسطى » لـ Wiener التي تحطم في مجملها المسلك السردى . وقد اعترف توماس برنهارد عام ١٩٧٠ بقوله « أنا محطم القصص انا محطم نموذجي للقصص ... وكلما تبدو أية قصة من وراء هضبة النشر ، اطلق النار عليها » .

□ سكون الرياح ؟ □

يمكن تلخيص ماسلفت بما يلي : الاضطراب السياسي الذي حصل في ألمانيا الاتحادية كان عبارة عن احتجاج فني في النمسا ، احتجاج ضد الجو الترميمي الذي كان سائدا في الفن . ولا يمكن فهم هذا الاحتجاج بمجرد احتجاج فني او هجوم على السرد القصصي ، او ضد القصيدة او الحوار . فهذا الاحتجاج يحد ذاته فجر طاقات جديدة في وقت اعتزل فيه كتاب مشهورون في ألمانيا الاتحادية الكتابة . ففي هذه الفترة مارس كتاب نمساويون الادب كادب . وكان المتحدث الاستفزازي باسمهم بيتر هاندكه Peter Handke وقد حالف الحظ هؤلاء الكتاب بوجود فراغ في السوق الادبي ، سواء اكان ذلك عن سابق تصميم او مجرد صدفة ... فاعمال لكتاب كثر مثل ارنست ياندل Ernst andl وتحقيق اعمال مجموعة فيينا من قبل غير هارد روم ( ١٩٦٧ ) Gerhard Rühm وبيتر هاندكه ( ١٩٦٨ ) احتلت لنفسها سوقا واسعة خارج حدود النمسا

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بدا حضور الكتاب النمساويين وبشكل متزايد في سوق الكتب الالماني منذ منتصف الستينات . وهذه حقيقة لابد من ذكرها . فنجاح الكثير من الكتاب النمساويين بدا منذ نهاية القرن الماضي وحتى الآن عن طريق سوق الكتب الالماني . ويمثل هؤلاء الكتاب نمسا أخرى ، فتناجهم الادبي شكك في كل أسس ومقومات سمعة النمسا . وعاداتها . وخير دليل على ذلك اعمال ارنست ياندل « علم النمسا » او « في الريف » او الحكايات الرمزية الاجتماعية والروايات الواقعية التي تنتقد الدولة وسمعتها كدولة نموذجية تعني بالشؤون الاجتماعية .

تم استبدال الثقة باللغة بالتشكيك العميق بها وذلك بواسطة النقد الموجه لصفة اللغة التعبيرية وعن طريق مواضيع لغوية . وخير دليل على ذلك نص بيتر هاندكه بعنوان « الدولة » ، حيث تتم محاسبة الشبيبة في

النمسا حسابا عسيرا . فالجمل عن الدولة والادعاء بانها ديمقراطية أو غير ديمقراطية تبدو كتلاعب بالالفاظ تشبه التلاعب بالالفاظ عند فيثغنشتاين Wittgenstein وموقف هاندكه هذا موقف مريب أود أن أورد مثالا مغايرا له وهو قصيدة انفيبورغ باخمان ( كلماتها ) حيث يبدو الشك باللغة واضحا ولكن دون اللجوء الى الطريق التجريبي كهاندكه .

#### ٤ - الأنا المنقذة :

انتهى التمرد التجريبي الذي كان يركز بالدرجة الاولى على الناحية الشكلية للأدب . وكان تأثير فلسفة اللغة لفيتغنشتاين واضحا وذلك على حساب المضمون الاخلاقي للأدب . واختفت من ادب هذه الفترة الأنا ، الذات التاريخية ، واختفت معها لحظة الذهول والدهشة التي تنمي التواصل بين الكاتب والقارئ . تلا نجد في الاعمال الادبية لتلك الفترة لحظات الفرح والخوف ، اللحظات التجريبية الشخصية والحياة العادية أو لحظات الكراهية والحب . فهذه اللحظات اهتمت لصالح التجربة، لصالح التعبير اللغوي الشكلي الذي يؤكد على وظيفة اللغة كلفة ، ولا أرغب هنا بالتشكيك المبدئي بالأدب التجريبي بل بأظهار حدوده . ولا بد من تفهم محاولات المؤلفين الذين بداوا تدريجيا بالتخلي عن هذه الطريق دون رفضهم القاطع للعبر التي استخلصوها . فقد حاول هؤلاء الكتاب

---

فيتغنشتاين ( ١٨٨٩ - ١٩٤٧ ) فيلسوف نمساوي كان له تأثير كبير على علم اللغة الحديث . يرى فيتغنشتاين أن معنى الكلمة هو طريقة استخدامها الوصفي ضمن مجال لغوي محدد .

والفلسفة بالنسبة له عبارة عن نقد لغوي وقد حاول استنادا الى هذه المقولة وضع نظرية جديدة للرياضيات والفلسفة .

## □ سكون الرباح ؟ □

استخدام الطرق المستقاة للتعبير عن الذات الحائرة . واذكر في هذا المجال رواية بيتر هاندكه التي تحمل العنوان « المصيبة التي لا تحتاج لمزيد من السعادة » ( ١٩٧٢ ) . فهذه الرواية تتحدث عن حياة وموت أم وعن العملية الاتحادية التي قامت بها . وهنا يمارس الكاتب ماكان يرفضه سابقا . ويرى في هذه الممارسة ضرورة مطلقة ، فالسرد القصصي ليس قابلا للخداع وكذلك اللغة أيضا .

انتقد هاندكه في « كاسبار » الوظيفة الاخبارية للغة ، بينما يستخدم هنا اللغة العادية ويعتبرها افضل وسيلة للحديث عن حياة وموت الام . وقد كان لهذا الكتاب تأثير متميز ليس فقط ضمن حدود النمسا . واصبح منذ ذلك الحين العودة للسرد القصصي تحت ظروف متغيرة ضرورة ملحة . وتدفق سيل من السرد القصصي المعلق بالترجم او السيرة الشخصية . ويمكن في هذا المجال التحدث عن العودة الى النماذج التقليدية . ومن الملاحظ بالنسبة للنصوص الجديدة انها قد اجتازت مرحلة امتحان لغوية ، حيث اصبحت اللغة تجد ذاتها موضوعا اخذ الكتاب يشكك بامره .

تقول انفيورغ باخمان في خطاب القته عام ١٩٧٢ : « الاعمال الخالية من العبارات الطنانة الجوفاء فقط هي التي تستطيع البقاء » . وكان هذا القول صحيحا بشكل عام .

تشكل هذه المرحلة التجريبية التي بدأت في منتصف السبعينات والتي ادت الى نتائج مختلفة بالنسبة للكتاب ضرورة مرحلية وشرطا اساسيا للادب النمساوي في الفترة التي تلتها . وقد انعكس تمرد الستينات تنظيما في تأسيس « اتحاد كتاب غراتس » الذي انفصل عن الاتحاد العام للكتاب والشعراء النمساويين وحاول تأسيس مركز خاص به . ولم يكن لهذين



□ سكون الرياح ؟ □

التنظيمين اية علاقة ببعض رغم ممارستهما سياسة التعايش السلمي فيما بينهما . وهذا التعايش السلمي بحد ذاته من خصوصيات النمسا بشكل عام .

#### ٥ - هابسبورغ - الصدمة النفسية النمساوية :

لم تكن الاضطرابات التي حصلت في النمسا في نهاية الستينات اضطرابات فنية فقط ، بل تعدت نتائجها الفن ، واثرت على سمعة الادب النمساوي . فكان هذا الادب تقدما من الناحية الفنية ولكن طفيان الناحية الفنية أصبح يشكل خطرا على التزامه . فقد تحدث بعض الكتاب آنذاك عن « حقائق ذهنية » ( غراينر ) Greiner وعن انا تعلن عن استسلامها ( كورت بات ) Kurt Batt عن انا فقدت العلاقة مع الواقع الاجتماعي وركزت فقط على انتاج العمل الفني والتي لم تعد مجال الانفعال الذاتي . ولم تتمكن هذه الانا من التعبير عن نفسها دائما ، كما لم تتمكن من تصوير معاناتها ، كان انهيار مملكة هابسبورغ بمثابة صدمة نفسية اثرت تأثيرا كبيرا على الادب النمساوي وهذا ما اكده اولريش غراينر Ulrich Greiner معلنا بان كل كتاب تلك المرحلة كانوا ورثة الكاتب شتييفر Stifter حيث تأثروا بشكل واضح بتحمسه للجمود وعدم الحركة . ويمكن القول بشكل موجز بحكم تعليمي مبسط : مضمون ضعيف وشكل خارجي ممتاز .

ان تطرقي بشكل مسهب لتطور الادب النمساوي يعود لسببين اولهما : ان هذه المعالجة المستفيضة ضرورية لفهم الوضع الحالي للادب في النمسا ، اما السبب الثاني فيعود الى عدم شهرة الادب النمساوي المعاصر خارج حدود النمسا ، فكثيرا ما تختلط الامور ، فالبعض يعتبر

## □ سكوت الرياح ؟ □

هو فمانستال Hofmannsthal وشنيتسلر A. Schnitzler وموزيل Musil  
وكارل كراوس K. Kraus ويوسف روث J. Roth واودون فون هورفاث  
dön von Horvath تمثل الادب النمساوي .

كان للتركيز على النواحي الفنية والشكلية في الستينات تأثير كبير  
على الادب النمساوي حيث خلق هذا التركيز اساسا جديدا للانتاج  
الادبي . ولا يمكن فهم هذا التركيز بالاعتماد على التراث النمساوي الا  
باطار ضيق . اما تأثير انهيار مملكة هابسبورغ ١٩١٨ على ادب هذه الفترة  
فكان واضحا ، حيث لا يمكن ازالة آثار التاريخ ، ولذا يتطلب تقويم الادب  
النمساوي الاستعانة بتاريخ الجمهورية الثانية بخصوصياتها ولا يجوز  
التوقف - كما يحدث غالبا في الواقع - عند مملكة هابسبورغ فقط .

## ٦ - الارتياح وعدم الارتياح في الدولة الصغيرة :

قامت دار النشر Residenz عام ١٩٧٨ باستطلاع للرأي  
بين الكتاب والادباء ووجهت لهم أسئلة غير دقيقة عن الهوية النمساوية  
وكانت الاجوبة معبرة في بعض الحالات وغير دقيقة في معظمها . وحتى  
الاجوبة غير الدقيقة وغير التحليلية كان لها مدلول كبير . فقد وصف  
ألتمان بوروم هذا البلد الصغير بصفة التصغير المميزة لمنطقة جنوب  
المانيا . وصفة التصغير هذه مميزة حقا للنمساويين من الناحية اللغوية.  
فأعمال غير هارد روم تصور هذا العالم المثالي Gerhard Rühm  
( جزيرة السعداء ) البعيد عن أحداث الارض ، تصور عالما يحيا حياة  
سعيدة بعيدة عن حركة الواقع ولو كان ذلك لفترة قصيرة .

اما فصاد هانز كارل ارتمان Hans Carl Artmann فتعيد صياغة  
أسطورة هابسبورغ وبشكل ساخر وتشكك هذه الأسطورة  
بالنسبة للحاضر .

وكما قلت فالتاريخ لا يمكن الفأوه . ويبدو للوهلة الاولى كما لو كان معظم الكتاب النمساويين يبتعدون عن المواضيع التاريخية وكانهم يظهرون كراهية واضحة للتاريخ او بالاحرى ضد كل تغيير . حيث يبحثون عن اماكن لامجال فيها للتغيير ويروون قصصا موجهة ضد التاريخ . فعلى سبيل المثال يتناول بيتر هاندكه Handke في روايته ( المصيبة التي لاحتاج لمزيد من السعادة ) سيرة حياة ام مصرها الفردي بعيدا عن تناول التاريخ الشامل . وهذا ماؤكدده أيضا في مذكراته التي يبحث فيها عن اللحظة غير التاريخية والتي لعلاقة لها بالتغيير .

وقد رأى الكتاب النمساويون في اللغة الملجا والمكان ، حيث تأثير التفيرات محدود ، وأصبحت اللغة بعد ذاتها من المواضيع الرئيسية بالنسبة لهم .

ان حنين هاندكه للحظة غير التاريخية نابع من انشغاله باللغة التي تبدو متغيرة كليا عما كانت عليه سابقا . ويحاول هاندكه هنا التركيز على اعادة صياغة لغة تبدو مهددة بالضياح . واود في هذا المجال التطرق لقطع من عمل هاندكه ( ١٩٨١ ) الذي يحمل عنوان ( حول القرى ) لتوضيح الاطر التي يتحرك ضمنها الادب النمساوي المعاصر . حيث يتوجه احد الشخص الرئيسة في هذه القصيدة الدرامية ، وهو نونا ، باعلان مليء بالتعابير اللغوية الجميلة . فمحاولات هاندكه في نصه هذا وفي نصوص سابقة جعلت البعض يوجه له تهمة الابهة اللغوية ، تهمة الاديب المحافظ الذي يبالغ بالتعابير اللغوية الرنانة . وهو يستخدم الاسلوب بشكل استفزازي .

اكتسب نص هاندكه هذا شهرة المعاصرة وخاصة في الوقت الذي بدأ فيه الخضر وليس فقط في النمسا ، يشعرون بالخطر المحيط بالطبيعة .

## □ سكون الرياح ؟ □

وقد تم دعم هذه المعاصرة بواسطة الاسلوب الرفيع : ( قمة الشجرة هي السلاح الشرعي للتحريير ) يقول نوبا في كلمته في القصيدة الدرامية بعنوان ( حول القرى ) .

يدرك هاندكه تماما صعوبة اعادة العلاقة مع الطبيعة . ويبدو أنه يقوم بهذه المحاولة من اجل التوصل لانسجام مع عالم الاشياء ، اي انسجام بين الطبيعة من جهة وعالم الاشياء من جهة اخرى . فاعادة تمجيده للطبيعة وفهمه لها كوعد يتناقض مع برنامج الذي التزم به في اعماله الادبية . وهذا التمجيد اكتشاف للتصنع والتكلف بالاضافة للنشكيز وعدم الثقة بالشكل والشخص . ويعوض هاندكه عن ذلك برغبته بالانسجام ثانية مع الطبيعة وادراكها غير المتناقض . ويسمى هنا للشمولية والكلاسيكية في الفن وهو مقتنع سلفا بعدم امكانية التوصل لهذا الهدف . ولابد من محاولة اعطاء هاندكه حقه وانصافه رغم وجود الكثير مما يبدو لنا غريبا وغير مألوف في اعماله .

تبدو الطبيعة في قصائد ياندل Jandl الاولى شبه مختفية بينما نراها تتمسك بحقوقها عند هاندكه . فقصيدة ياندل « الطاعون الاخضر » تعالج موضوعا مشابها لمواضيع هاندكه التي يتناولها في خطاب نوبا ، ولكنه يخاطب الاشياء المتشابهة هنا بشكل سلبي .

ان قصيدة ياندل « الطاعون الاخضر » صورة عكسية لخطبة نوبا ، ووعده الطبيعة عند هاندكه . يستدعي ياندل وهاندكه في النصين وضع الهدوء وعدم الحركة ، وضع السلبية والخروج من التاريخ ، يستدعيان رحلة فوق القرى وعملية رتيبة تعيد نفسها : شروق الشمس وغروبها وجبروت الفصول الاربعة .

يتحدث نص هاندكه عن محاولة إيقاف التدمير الذي ألم بنا من قبل الطبيعة ، بينما يشير ياندل الى التوافق الزمني بين تدمير الطبيعة من جهة ، وتدمير الجسم من قبل الطبيعة من جهة أخرى . يرى هاندكه لطيران العصفور معنى بينما لا يبقى بالنسبة لياندل سوى براز العصفور في الأذن . ونرى في الحالتين كراهية واضحة للتاريخ .

تقول الشخصية الرئيسية في مسرحية هاندكه « من الغربة » بأنها قد حققت بكراهية التاريخ في زمن النازية ولذلك لا تشعر برغبة نحو التاريخ . وهذا دليل واضح على الاشباع التاريخي والاشباع بقطع موسيقية من التراث ابان حكم النازية . يبدو واضحا من خلال رفض الطبيعة من قبل ياندل ومديحها من قبل هاندكه بأن الاثنين يبحثان عن مثالية خيالية ملزمة ومنقذة بأن واحد ، عن مثالية تخرجهما من وضعهما الحالي . ويمكن فهم مديح هاندكه للطبيعة كمحاولة للبدء بحديث عن الطبيعة ، بينما يرفض ياندل حتى مثل هذا الغراء .

ان التخلي المتعمد عن الاستمرارية التاريخية ما هو الا محاولة للتغلب على الوضع التاريخي الناجم فهناك محاولات للإبتعاد عن القضايا والمواضيع التاريخية ولانقضاء مواضيع غير تاريخية تتعلق بمصير الانسان كما هو الحال في الحكاية الرمزية لفريد Fried بعنوان « التراجيديا » فهنا لم يتغير شيء حيث ينظر الجمهور للاحداث في المسرحية كأحداث ابدية كمسرح الي يظن المرء ان بإمكانه الغاء التاريخ من احداثه . فالحكام يمثلون مسرحية هزلية ، والجمهور يصفق لهم .

انه لخطأ فادح اتهام الكتاب النمساويين بالعمى التاريخي انطلاقا من غياب اللحظات الديالكتيكية في نثرهم لصالح الاسلوب ، فهناك شيء مميز جدا للادب الماضي القريب ، الا وهو الحس الخاص بالاحداث

## □ سكون الرياح ؟ □

التاريخية ، وخاصة بتلك الاحداث التي لها علاقة بمعاناة الانسان . ونورد هنا على سبيل المثال رواية انفبورغ باشمان Bachmann « مالينا » ١٩٧١ حيث تخرج الانا الانثوية في المقابلة الخيالية عن دورها وتذكر حريق القصر العدلي عام ١٩٢٧ ، هذا الحريق الذي كان بمثابة صدمة نفسية قاسية بالنسبة للجمهورية آنذاك . حيث ظهرت الخلافات وازدادت حدتها فيما بعد . وتبدو الانا هنا ، وكأنها فقدت السيطرة على التواصل واصيبت بغيوبة ابعدها عن الواقع ، فهذه الانا تقول : انه لعذاب لي في كل مرة امر بها بالقرب من القصر العدلي . فكر فقط بكلمة قصر فيما يتعلق بالعدل . انها كلمة مجذرة . ففي هذا القصر لا يمكن اصدار احكام غير عادلة فكيف اذن باحكام عادلة . ولكل تطور نتائجه الحتمية ... وهذا الحريق في القصر العدلي ! ..

هذا الموقف ذليل واضح على موقف الكتاب سرهفي الحس بالنسبة للتاريخ . فالتاريخ لا يهمهم سوى بملاقته بالانسان . وكيف ان الانسان يصبح ضحية الاحداث التاريخية . فليس المهم بالنسبة للكتاب النمساويين تصوير الاحداث التاريخية كأحداث بل تطعيم النصوص بها .

واعمال انفبورغ باخمان Bachmann مثال نموذجي لهذا الانجاء، حيث يتحول سرد القصص والحكايات عندها الى سرد للتاريخ .

## ٧ - التاريخ من الاسفل :

بدأ الكتاب النمساويون يدركون هويتهم التاريخية شيئاً فشيئاً ، ويتطرقون لها في رواياتهم .

وهذه الروايات ليست تاريخية تقليدية ، حيث تبقى الراديكالية فيها ملزمة كشرط اساسي للابداع الفني . ففي روايته « اطفال النازية » ١٩٨٤ يتحدث اندرياس اوكونينكوس Andreas Okopenkos عن حياة

## □ سكون الرياح ؟ □

الطفل فيتروف اثناء الحرب العالمية الثانية منذ عام ١٩٤٥ حتى ١٩٣٩  
بترتيب زمني عكسي . واود هنا التذكير برواية غيرها رد روت Roth  
« الموت المؤلف » .

١٩٨٤ ، حيث يسرد الكاتب هنا بشكل زمني عكسي ايضا قصة  
منطقة مهملة ، ويبدأ بالسرد من النهاية . وهذه الطريقة في السرد تنسجم  
مع البحث التاريخي المعاصر ، مع مراعاة فارق خصوصية الادب . وخير  
ما يوضح هذا الموقف الادبي رواية تبين كيف يستغل الكتاب النمساويون  
امكانيات الادوات الادبية وامكانيات سوق الكتب . هذه الرواية تقع في  
٣٥٠٠ صفحة كتبها ماريان فريتس Marianne Fritz وصدرت في  
خريف ١٩٨٥ في دار نشر سوركاسب بعنوان « التي لا تفهم لفتها » .  
اجبرت هذه الرواية الضخمة الحجم نقاد ادبيين مشهورين على الاستسلام  
امامها بلا رفض قاطع وشديد . تدور احداث الرواية حول قصة عمالية  
عشية الحرب العالمية الاولى . يرفض الابن الاصغر يوهانس خدمة العلم  
ويهرب الى عند احد الكهنة الشاذين جنسيا ويختبئ عنده بعض الوقت .  
ثم يتكشف امره ويتم اعدامه . هذا هو الحدث الرئيسي للرواية والذي  
تحيط به احداث اخرى تتناول مصير والذي يوهانس واخوته الكثر .  
ولا تخلو هذه الرواية من بعض الثغرات ولكنها تشكل محاولة جسارة  
قامت بها الكاتبة من اجل هذا العرض الشامل والمؤثر وبلغة تختلف عن  
اللغة العادية ، لغة استفادت من امكانيات المرحلة التجريبية ، ولكنها  
لا تتخلى عن الحسية في الوصف . تخضع ماري فريتس بطريقتها هذه ،  
والتي تثير اهتمام كل من يعني بشؤون اللغة ، ايام ما قبل الحرب لامتحان .  
وتروي قصة عبارة عن تاريخ بذاته ، وتنقد بهذا الشكل هذه الرواية  
بقوتها وحجمها الضخم .

## □ سكون الرباع ؟ □

لقد اثارت هذه الرواية موجة من النقد غير المتفهم لضخامة حجمها . ولكنها تبقى رغم ذلك رواية عمدت بوعي الى تصفية اسطورة هابسبورغ والى نقض التاريخ في بلد صغير كالنمسا . ففي احد المقاطع تهاجم الكاتبة المسؤولين عن الثقافة في بلد يكون فيها كل من ينسى الماضي سعيدا .

يحاول الكتاب النمساويون المعاصرون كما يبدو التراجع عن القوالب المعروفة والمنشرة عن النمسا ونقض هذه القوالب ، وهذا هو الطرف الآخر للتركيز على الناحية الجمالية في الادب النمساوي .

وتظهر احيانا لحظات المفالة ، ولا يلاحظها سوى المراقب الموضوعي . وفنان المفالة هو توماس برنهارد . فالاعمال الضخمة كرواية ماريا فريترس M. Fritz والهجوم العنيف الذي يقوم به توماس برنهارد Thomas Bernhard تهدد ليس فقط هدف الهجوم وهو النمسا ، بل تشكل خطرا على اساس الكتابة والفن ، وعلى وجود الفنان ككل .

ففي رواية برنهارد « المعلمون القدماء » يبدو هذا الخطر واضحا ومضحكا بأن واحد ، حيث يعطي هذه الرواية عنوانا اضافيا الا وهو « كوميديا غريبة » . فكل ما يلმسه توماس برنهارد Thomas Bernhard يتحول الى فضيحة ، وهذه الفضائح هي سبب شهرته الكئيبة . ولا تبقى هذه الشهرة مقتصرة عليه بل تتمدها الى كل من يشعر بنفسه انه معني بالامر . ولا يقدم برنهارد في الفترة الاخيرة - على ما يبدو - على نزاع مع شخص يشغل منصبا ادنى من منصب وزير . ففي الرواية المذكورة تتم محاسبة الفن كفن . فالناقد الموسيقي ريفير .



الذي يبلغ من العمر اربعا وثمانين عاما ، يزور منذ ست وثلاثين عاما مرة كل يومين متحف تاريخ الفن ليجلس امام لوحة للفنان الايطالي تينتو ريتو Tintoretto فالاعادة بلسم الحياة وشراب الموت بالنسبة لابطال برنهارد . يذهب ريفر الى المتحف من اجل البحث عن اخطاء في الاعمال الفنية ومن اجل تصفية الفن بواسطة المشاهدة . وهذه الطريقة يعتبرها ريفر ناجحة دائما . ان الصرامة التي يمارس بها ريفر عمله تعود لوفاة زوجته ، حيث لا يقدم الفن عزاء له . ويصبح الفن بعد موت زوجته مضحكا ، فيهاجم بعنف شتيفتر Stifter بروكنر Bruckner وهايدغر Heidegger وبيتهوفن Beethoven وموتسارت Mozart ومالر Mahler وكليمت Klimt ودورير Dürer وشيلة Schiele ويتركز الهجوم بالدرجة الاولى على النمساويين ، وهو عبارة عن تصفية حساب مع النمسا ومع فنائها ونعاليدها بالرغم من تأثر الكاتب بهذا الفن وبهذه التقاليد .

يصعد برنهارد في كل مرة من حدة المبالغة ففي مسرحيته الكوميدية « قوة العادة » يقول احد الشخصيات ، البهلوان ، انه يقوم باعمال بهلوانية ضد المجتمع . وهذا ما ينطبق على برنهارد بالذات : فتهجمه وشتائمه نماذج فنية بارعة ولكنها بنفس الوقت قذائف تترد الى راميها . ويصيب برنهارد باعماله الفنية الوتر الحساس وليس فقط صفائر الامور بالنسبة للنمساويين . فهذه الاعمال تصور تصرفات النمساويين النموذجية . ويتوجه النص المرفق لبرنهارد ضد الفن ككل وضد الكاتب نفسه ، فالادب النمساوي ليس ادبا مريحا بريئا .

□ سكون الرياح ؟ □

وفي الختام اود التنويه الى قصيدة لارنست ياندل ، حيث يشير العصفور الى الشاعر . فما حصل للعصفور يهدف بنفس الوقت الى اذى النفس . ولا يتمكن الشاعر من المحافظة على خصوصيته الا عن طريق اذى النفس . فالتعبير عما يريد يضطر الكاتب الى اذى نفسه او للتجريح من قبل الآخرين . فالعصفور الحقيقي لا يحق له ان يحط على الارض . ولا علاقة له بالمجتمع وما يقدمه من متعة يتم على حساب تحطيمه . فالنصوص الادبية لكتاب نمساويين ليست بريئة ، كما تبدو للوهلة ، حتى ولو قدمت للقارئ لحظة المتعة الحقيقية . انها محاولة فنية للتشكيك بصلاحية كل القواعد المألوفة .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

✱ ✱ ✱

# مَاضِي وَصُورِهِ

الكاتب: فريدريش دورنمات  
ترجمة: نصرالشيخ



ARCHIVE

التزامن لايعبر عن شيء . والعهد لا تدنو الا مع الزمن ، والواقع لا يأخذ أبعاده الا تدريجيا . مامن شيء يحدث في الحقيقة دون الخلفية ، حيث تكمن الاسباب وراء تفكيرنا وكتابتنا ، ولكن هذه الخلفية متدرجة كمنظر طبيعي .

في اول المطاف المعاينة الخاصة ، الاهل الذين انجبونا ، اهل الاهل الذين خلفوا اهلنا - لم أعرف سوى والدة امي ولا أتذكرها الا كالطيف ، امرأة طويلة القامة ، بدينة ، تجلس على كرسي من العود المجدول على الشرفة . وعندما حملت في نعش من البيت الى الكنيسة ، كنت امتطي حصانا هزازا على شرفة بيت احد الجيران : ثم يظهر الاخوة والاخوات ،

من « مواد ١ - ٢ » .

ذبورخ ، دار نشر ديجونيس ، ١٩٨١ .

## □ ماضى وصورة □

البيوت التي سكنها ، الشوارع التي عبرناها ، القرى والمدن التي كانت تحيط بنا ، الناس الذين صادقناهم أو خاصمناهم . ثم تتسع الخلفية الى الافق الاقتصادي ، الاجتماعي ، السياسي ، الفكري ، واخيرا الى الافق التاريخي . ولكن لم يعد بالامكان تفسير هذا الاخير بشكل مباشر ، فلا تعد تذكر سوء الاجزاء الرئيسية من الجبال ، الحقائق التاريخية . ولم يعد من الممكن ان يستدل ، الا بشكل غير مباشر ، على القوى التي بعثتها الى الوجود ، ليس من مصدر اصلي ، وانما من مصدر ثان وثالث ورابع ، من تقارير لتقارير ، حرفها الانسان ، ككل الشواهد ، وعدلها بالشكل الملأثم بحيث لم يعد يصدق منها ، اذا حالقنا الحظ ، سوى الخطوط العريضة .

اننا نمخر عياب نور الزمن ، ولكن ضفاف هذا النهر غير واضحة المعالم ، حتى الانجذاب الذي يجري فيه هذا النهر يصعب تحديده بدقة . ويخيب تصورنا باننا نحيط ببعض العلم بالبلدان التي يخلفها وراءه . ما يخلفه الزمن هو ماض . وهو بذلك غير مباشر . ان مانسميه تاريخا عالميا ، يشبه للوهلة الاولى نظرة الى سديم اندروميديا . وهذا بدوره لاسبيل اليه اذ يعود الى مليونين ونصف مليون عام خلت . ان ضوءه الذي نشاهده قد فارقه عند بزوغ فجر الانسانية الاول . وهذا الضوء لا يمكن تفسيره هو الآخر بدون سلسلة من الاجتهادات التي تستند اليها معارف علم الفلك . ومهما اكدت لنا هذه المعارف ، فان سديم اندروميديا قد ظل صورة لصورة ، ذكرى بالمعنى الصحيح ، ولا سيما اننا لانراه وحده ، بل نرى كذلك درب التبانة الذي يعود مركزه الى الماضي ، طبعاً الى ماض آخر يعود الى ثلاثين الف عام ، ويبعد بذلك مسافة ٣٠ الف سنة ضوئية . فليس يحيط بنا ماض واحد اذا ، وانما مواضع عالم من

« صور ذكرى » ، نسج بعضها فوق وعبر بعضها الآخر . اما فيما يتعلق بمحيطنا الكوني القريب ، فان هذا لايعني شيئا . فلقد كانت الشمس قبل خمس دقائق عموما هي ذاتها ، ودرب التبانة قبل ثلاثين الف عام هو ذاته ايضا ، كذلك اعطى سديم اندروميديا للانسان الاول الصورة ذاتها التي يعطينا إياها اليوم ، وربما اضعف قليلا ، فهو يتحرك مقتربا منا بسرعة ٣٠٠ كم في الثانية . ولكن لم يعد من الممكن تجاهل مسألة الماضي ، وبذلك مسألة البعد عن المجرات التي يستطيع مرصد ماونت بالومار تأكيدها ، وهي تبعد ملياري سنة ضوئية . ويكاد هذا البعد يبلغ عند الكوازر مقدار عمر الكون ، وهي تهوى مبتعدة عنا بسرعة تعادل سرعة الضوء تقريبا . فلو الفيت المواضي ، لاطبق علينا الكون من أطرافه ، ولاعد العالم الى حالته الاولى الى هذه الحالة التي لايمكننا تصورها ، لانها عديمة الصورة حاضر صرف ، الى صرف بلا ماض ، لا يستطيع فيه الوقت ان يندفع الى الامام ليولد ماضيا من جديد ، لا الامر الا لانه تهقر الى الوراء انطلاقا من المستقبل ، العالم يتحول الى اصفر وحدة زمنية ممكنة ، الى الكرونون ، الى الفترة الزمنية في الكادربليون من الثانية . بل اكثر من ذلك ، العالم كانهدام للزمان والمكان ، العالم كنقطة رياضية .

هكذا يساعدنا الماضي وحده في الحصول على صور ، مثل تطاير دروب التبانة وتوسع الكون ، حتى ولو كانت هذه الصور غير كاملة ومصاغة وفق مفاهيم تفكيرنا .

وينطبق الشيء ذاته على التاريخ ، فهو ايضا يحاول ايقاف الماضي ، ولكن في هذه اللحظة لاتندفع فحسب مادة على شكل شمس وذرات هيدروجين وبروتونات ونوترونات وغيرها ، مبتعدة عنا ، بل مادة تولد وعيا فرديا مميزا ، لاتولد انسانية وانما اناسا . ولهذا فمن غير الممكن انجاز التاريخ العالمي بدون الاسلبة التي تلازم كل تعميم . ولا يمكن رسم

وتدوين هذا التاريخ دون ظلم واجحاف ، ولا يمكن عرضه الا بصيغة التجريد وليس بصيغة الملموس . فهو قابل للتكوين والخلق في اطار الحدس العام .

لو كان هذا التاريخ ملموسا ، لكان مجرد توثيق صرف ، ولكن عليه ان يتضخم ليصبح مكتبة لاحد لها ، بحيث ، اتصور ، انها تطوق بابنيته المصفوف بعضها الى جانب بعض ، والمتداخلة ، الشمس خلف مسار بلوتو ، ولتزايدت حجما في الكون ، كلما تضخم الماضي ، وكان عليها ان تتضمن قصة حياة كل فرد من افراد البشرية ، كل من عاشوا من العصر الاول حتى الانسان النياندرتالي ، ومن الانسان النياندرتالي حتى العصر الجليدي ، ومن العصر الجليدي حتى العصر القديم ، ومن العصر القديم حتى العصور الوسطى ، وهكذا ذواليك حتى احدث واجد عصر ، مرة بعد مرة وحتى كاديبلون من الثانية قبل الحاضر ، مع كل المشقات ، مع كل سوء الطالع وحسن الحظ ، مع الافعال والاشغال ، مع العادات والاكراهات ، مع الضرورات ، والانام والامراض ، ومع كل التوافه التي تلازم كل امرئ . طبعا ليس فقط الحقائق ، بل لتعين على المكتبة ان تسجل علاقات كل فرد مع جميع الناس الاخرين الذين عاشوا في يوم ما ، الى الامام والى الخلف في الزمن الماضي . فنحن جميعا مترابطون ، والناس اقرب بعضهم الى بعض مما يظنون ، كما وان الفروع والفروع الجانبية ، الاغصان والاغصان الفرعية لشجرة نسبهم الحقبة ، اكثر تشابكا مما يعتقدون .

ولتعين ، بالاضافة الى ذلك ، ان تلحظ ، في كل تدوين منفرد هائل من هذه التسجيلات ، لا احلام الليل والنهار فقط ، بل مشاعر وانطباعات كل دقيقة وكل ثانية من ثواني الحياة الموصوفة ، ولا المشاعر والانطباعات والاحلام والرغبات فحسب ، بل الافكار والخلفيات والخبرات ، والعلم والظن ، والاعتقاد واللاعتماد ، والايديولوجيات والاحكام المسبقة ايضا ،

وهذا يعني المضمون الفكري الكامل لهذه الحياة ، تضاف الى ذلك الصور التي تكرر ظهورها عند كل فرد ، الصور الدفينة فيه والتي هي آخر مايتبقى له عندما يموت ويفوص في الظلام ، زيادة على ذلك مصادر هذا كله ، رجوعا الى الماضي وشمولا للتأثيرات في المستقبل وذلك انطلاقا من الفرد الموصوف .

ولمئات حياة انسان جاوا وحدها في هذه المكتبة عدة قاعات على الاقل ، وحياة انسان نياندرتالي بناية او اثنتين ، وحياة أي اوروبي معاصر عدة بنايات ( تبعا للظروف ) ، لا لانني اقدر الاوروبي المعاصر أكثر من انسان جاوا ، لا ، بل لان الانطباعات المنهمرة عليه والمحددة لداته ،متنوعة لدرجة لاتصدق ، وعديمة المعنى لدرجة لاتصدق ، لانه لايفكر بها ولا يهضمها .

ولكان هناك مكتبة من قطع من الذكرى غير الواضحة : سنوات في اجازة مصفوفة الى جانب بعضها البعض ، ايام لانهاية لها مع نفس الوجوه دائما ، امسيات افلام سينمائية وتلفزيونية مع تيلي بوير، شيفس، ديرك، كلمات الاحد ، كولومبو ، تيلي شپورت ، مباريات كرة القدم ، ولاحتاجت حياة مثقف معاصر ، او حتى حياة ناقد ادبي لمجموعات من الابنية ، ولاحتاج المرء لاسباع لكي يعبر هذه العجينة اللدنة التي تملأ القاعات والمكونة من علم نصف مهضوم وكتب قلما قرئت ، ولكن تناولها النقد مع ذلك ، ولمئات سيرة حياة لاينتز وكنت وماركس واينشتاين مدنا باكملها بالمكتبات .

يضاف الى ذلك ان هذه المكتبة ، لو وجدت لكانت بحد ذاتها لاحد لها ، ولاصبحت أكثر ضخامة حتى نهاية الانسانية من خلال حرب نووية، من خلال كارثة كونية او من خلال حالة الشمس في المستقبل التي يمكن احتسابها سلفا والتي ستصبح بعد بضع مليارات من السنين لاتطاق

## □ ماضى وصورة □

بالنسبة للأرض . ولكانت هذه المكتبة جبارة لإسبب هذا الكم من الملخصات المضافة الى سير الحياة او الملخصات الأخرى الموجودة فحسب ، اذ ستدون فيها اسباب التأثيرات الجديدة كاسباب لاسباب اسباب ، وهكذا رجوعا الى الوراء .

ان السيرة الحقّة لحياة افلاطون او اوغوستين او جنكيز خان - نذكرهم فقط على سبيل المثال - ستتناهى وتزايد بحد ذاتها مع مرور الزمن الى ما لا حصر له . ذلك لانه لا يمكن تقدير تأثيرهم الشامل الكامل حتى نهاية التاريخ العالمي ، وحتى عندما تصبح اسمائهم نسباً منسياً . فكم من اسماء نسيناها . ومن منا يعرف اسم مكتشف العجلة او اسم ذلك الصياد او الفراف الذي رسم للمرة الأولى على جدار مفارة صورة حيوان الماموت .

يضاف الى ذلك في الوقت ذاته ايضا مكتبة ثانية لاحد لها ، انها مكتبة التداخل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الحق لانسان ما ، حتى ولو كان هذا مجرد تحديد دقيق لموقعه ضمن الاسرة الكبيرة في العصر الحجري بمحرماتها المعقدة ، حتى في ذلك الحين .

ولكن بما انه ليس هناك هذه العجلة الجبارة الملتفة حول الشمس نزولا الى دائرة الابراج بممرات الكواكب والكوكبات ، بما انه لا يوجد هذا التاريخ العالمي الحق الذي يمثل النقل اللغوي الكامل لتطور البشرية الخماسي الابعاد عبر المكان والزمان والفكر وذلك ليس كامر مجرد وانما كامر ملموس ، وبما انه لو توفر هذا التاريخ ، لما كان هناك شخص يتوفر لديه الوقت لقراءته ، ولما تمكن من ينكب على قراءة هذا الكم الهائل من المواد الوثائقية من انجاز اكثر من قصة جماعة من العصر الحجري الحديث ( هذا اذا لم يضل طريقه قبل ذلك في الفرف التي لانهاية لها ، فيقضي نحيبه بشكل ما بين بعض رفوف الكتب ) ، الا اذا تولى الرب القيام بذلك ،



وهو الذي يعرف كيف يقرأ بسرعة لامتناهية ، ولكن لاجابة له لقراءتها ، ذلك انه يعلم كل شيء ، ولهذا فان اي تاريخ عالمي ليس اكثر من جمع لفرضيات مؤلفة من اجزاء ناقصة حول التاريخ العالمي الحقيقي الواقعي . انه مخطئ غير كامل ، مختصر فقط ، مع افتراضات حول خلفيات مفقودة ومواد ووثائق لا يمكن ايجادها ابدا . اننا نعرف الدقائق الثلاثة الاولى من تاريخ الكون معرفة افضل من معرفتنا لثلاثة ملايين عام هي تاريخ الانسان . وهذا امر طبيعي جدا ، فالتناس ، وليس الاجرام السماوية ، متقلبو الالهواء ولا يمكن التنبؤ بما هم فاعلون .

ليس درب التبانة ولا الكواكب ولا الديبران العملاق الاحمر الجبار ولا القمر الاصفر الذي نسميه شمسنا ، ليست جميعا اذا ما نظرنا اليها هي الا عقد تكوينا في عالمنا المعروف ، بل هو الانسان سواء في بنيانه او من حيث تفاعلاته الكيميائية المتداخلة ، او في رد فعله على الاثار الخارجية . هذا الكائن ، الذي هو ، حسب علم الحيوان ، الانسان العاقل ، لم يعد منفردا من اهل الارض ، بل هو جزء من مركب من عدد لا يحصى من جزئيات هائلة ، يتحد بعضها مع بعضها الآخر بانسجام في الوظائف ناشيء من مرمزة وراثية لخلية واحدة ، مسير من بنية دماغه المادية البالغة التعقيد ، التي يولد وعيه وفكره واستنتاجه المنطقي ، كما تحدد غرائزه والاشعور عنده وعواطفه وعدوانيته النزواتية وحتى لاعقلانيته التي يبدو الحيوان تجاهها وكأنه كائن عاقل .

واذا ما اخذنا بعين الاعتبار تعدد جوانب البشرية ككل ، هذا النظام العلوي لنظام علوي يتصدى لذاته بحماية وفنك ، فاننا سنجد ان مانسميه حتميات تاريخية ، كانت اجتماعية ام اقتصادية ام نفسية ام حتى لاعقلانية ، انما هي ، في افضل الاحوال محاولات لتفسير احصائيات وفرضيات غير كاملة ، تسمح فقط بتنبؤات غير محددة المعالم ، وليست وفي اسوا الاحوال سوى عناوين مقاطع مشترطة جماليا لرواية بوليسية

نسميها التاريخ العالمي : لان الانسان والبشرية « بحد ذاتها » يتصفان باللاعقلانية ، بل لانه يصعب تحليلهما « بحد ذاتهما » . فسقراط ذاته الذي طالب كما ، طالب ابولو الدلفي ، بان يعرف المرء ذاته ، يعترف بانه يعرف فقط انه لايعرف شيئا .

وهكذا لامجال لدي سوى ان اتصرف وفق كاتالوج الاحداث الرائج وان اسرد ارقامه كابتهالات قداس اسود ، نحاول به ان نطرد الواقع الانساني الى معادلات فارغة ، انه كاتالوج مكتبة رثة تبيع بالتجول دفاتر مهترئة ملصقة بالدم .

بينما كنت لا ازال في « الحفافات » ، ازحف على الارض ، اقف على اقدامي ، اخطو الخطوات الاولى ، العب في الحديقة ، اخرج للمرة الاولى الى السهل الذي يهللني بلا نهاية ، اتحول اليوم الاول في المدرسة ، ثم اياما مدرسية اخرى لاحصر لها ، متجرفا بعبدة وباستمرار عبر تيار الزمن ، لمتصني اخيرا بالمدرسة ، بينما كان طيش الشباب يضيق ايامي ، كانت تدور رحي الثورة الروسية ، دامية ، عنيدة ، لا تقاوم ، لاعقلانية في ايمانها بالعقلاني ، دينية في الحادها . وبدأت سكرات موت الامبراطورية الانكليزية ، توهمت فرنسا انها لا تزال دولة عظمى ، فاقامت خط ماجينو ونسجت بشكل فني شبكات دبلوماسية لكي تعيق تقدم المانيا نهائيا وزحف موسوليني الى روما ، مشرب الاعناق ، واحتلت الرور ومات لينين وبرز ستالين ، ونفي تروتسكي وبدأ التطهير الكبير وقضي على الثوريين الاول ، وادى التضخم الالمانى ويوم الجمعة الاسود في امريكا الى ان يخسر الملايين من الناس كل شيء ، وان يجني بعض قليل من ذلك مليارات الارباح . ثم ذهبت جمهورية فايمار ، وجرفت معها هتلر وزبانيته القوميين الاشرار الى السلطة ، ثم هب ماو في مسيرته الطويلة الى ينان ، وهاجمت اليابان بقيصرها الصغير الجسم ، ذى النظارة ، الحصان الضخم ، الصين ، وسريعا ماظهر هنا وهناك جنرالات معزولون ، وغيرهم من لصوص وضع

النهار كحكام دكتاتوريين صفار وكبار . في كل مكان ملاحقون سياسيا ، في كل مكان مهاجرون ، في كل مكان مفتالون : بلاد الحبشة ، الحرب الاهلية الاسبانية ، احتلال النمسا ، ميونيخ - في كنيسة برن ، جرى احتفال لشكر الله على الحفاظ على السلام . ولكن الرب كان عنده خطط اخرى ، او كان مشغولا في مكان ما . ضم تشيكوسلوفاكيا ، خطابات هتلر في الاذاعة ، تحالف المانيا العظمى مع الاتحاد السوفيتي ، في كل مكان السعي المحموم ، في آن واحد ، بعضها خلف بعض ، وبعضها عبر بعض ، تشوش في الخلط والخطط المضادة ، افعال وافعال مضادة ، ازمتات اقتصادية في كل مكان ، بطالة في كل مكان ، وحتى في القربى المباشر للمدرسة الثانوية المسيحية ترك الزمن بصماته : ارتال طويلة من الرجال تتقاضى اعانة البطالة ، واخيرا اندلاع الحرب العالمية الثانية - مصحوبا على الأرجح بطبعات اضافية للصحف ولبث خاصة في الاذاعة وبخطبة للمجلس الاتحادي ، لم يعد اثنان في اي يوم ، وهو لا يعني بداية لمرحلة جديدة في حياتي . كانت التواهي والخطبة بالامس التي ليدنبورك على متن طوافته فوق الحمم البركانية المتدفقة ، تمخر عباب المجهول ، ولم يكن من الممكن ان تعلم ان كان ذلك باتجاه هلاكها المحتم او باتجاه انقاذها شبه المستحيل . وجرفني التيار ولم اكن مسائرا للعصر ، دون دعر ، دون احساس بمصير دق فجأة على بوابة خشبة المسرح العالمي الكبيرة ، طالبا الدخول لكي يخرج تحول القرن .

كنت مشغولا بنفسي وليس بالواقع الذي هجم بأظفاره الجبارة . جلس اعمى في الثامنة عشرة من العمر على طوافة ليدنبورك ، بينما اخالني ، للوهلة الاولى ، وانا في الثمانين - وقد ضلني التلفزيون ووسائل الاتصال المتكاملة باستمرار - وكاني عايشة حرب فيتنام ، بل اجريت تجارب على سطح القمر . بهذه السهولة يخيل الينا اليوم اننا نعلم .

# الكلبة

للطالبة النمساوية: ماري فون إيبررايشنباخ\*  
نقلها عن الألمانية: محمد جديد



ARCHIVE

كان الفجر قد أقبّلوا ، وضربوا خيامهم جنب باحة الكنيسة خارج القرية . وكان النساء والأطفال يجوبون المنطقة متسولين ، أما الرجال فكانوا يقومون بأعمال شتى في إصلاح السلاسل والقدور ، وقد حصلوا على إذن بالبقاء ماداموا يستطيعون أن يجدوا عملا ورزقا ضئيلا .

ولم تكن تلك المهلة قد انقضت . ولكن الناس وجدوا المكان الذي كان الفجر قد حطوا رحالهم فيه خاويا ذات صباح من أيام الصيف ، فقد شدوا الرحال على عرباتهم ( الكارو ) التي تغشيتها أسمال من الكتان ، وتجرها خيول بائسة . ولم ير أحد ، أو يسمع ، بشيء عن رحيل هؤلاء القوم ، ولا بد أنه حدث ليلا ، بكل هدوء .

(★) رواية نمساوية ( ١٨٢٠ - ١٩١٦ ) عرفت بتصويرها الدقيق لحياة الفقراء والنبلاء ، وكانت تبدي تفهما للأطفال ، ولا سيما في أبرز أعمالها «طفل من الإبرشية» ١٨٨٧ .

وجعلت الفلاحات يحصين دجاجاتهن ، وجعل الفلاحون يتفقدون مستودعاتهم وحظائرهم ، وكل منهم يحسب أن جوابي الأفاق قد استلبوا شيئا من متاعه ثم لاذوا بالفرار . ولكن سرعان ما تبين أن المشتبه بهم لم يكن من أمرهم أنهم لم ينتهبوا شيئا فحسب ، بل خلفوا وراءهم شيئا . ففي العشب المتنامي ، الى جانب جدار باحة الكنيسة ، كان يرقد غلام صغير عار الا من بعض الاسمال ، وهو نائم ، وكان لا يكاد يبلغ السنتين ، له بشرة ناصعة البياض وشعر قليل اشقر مشرق ، وقالت الارملة فُجنر التي اكتشفته حين كانت تسير في ارضها المزروعة باللفت ، على الفور : هذا طفل سرقه الفجر في وقت لا يعلمه إلا الله وفي مكان لا يعلمه إلا الله ، وقد نبذوه الآن لانه بائس مسكين ، وما كان في وسعه أن يعود عليهم قط بالمنفعة .

ورفعت الطفل الصغير عن الأرض ، ولقته وقلته وقررت أنه لا بد أن تكون له سمة في مكان ما يعرفه بها أبواه اللذان يبحثان عنه بلا ريب وهما يعانيان من العذاب والخوف البالغ ، وذلك اذا نشرت العلامة في الصحيفة . ولكنها لم تتمكن من اكتشاف سمة خاصة ، ولم يمكن ، حتى فيما بعد ، العثور على أثر لا من الصحف ولا من أصل الطفل ، على الرغم من كل التحريات والاعلانات والبيانات .

وكانت المرأة الفُجنرية المعجوز قد آوته وقاسمته فقرها لا عن مجرد الشهامة فحسب ، بل كان يراودها الأمل الهاديء في أن يأتي أبواه ذات مرة في ابهة وفخامة ، لياخذاه ويعوضاها بمئات الاضعاف عما أسدت من عمل الى الطفل الصغير . ولكنها ماتت بعد بضع سنوات دون أن تجني الاجر المنتظر . ولم يكن أحد يعرف أين يذهب الآن بما خلفت باللقيط ، فلم يكن يوجد في القرية ملجأ للمساكين ، ولم يكن للرحمة مستقر هناك ،

## □ العليسة □

ومن عساه يابه لهذا المخلوق الذي يتضور جوعا ، والذي لم يكن الناس يعرفون هل تم تعميده ، وكان الشماس قد قال منذ البداية ، واقره عامة الناس ، انه لا يجوز اعطاؤه اسما مسيحيا على الاطلاق ، غير انه لم يحرجوا حين سألته المرأة الفجرية « اي اسم يجب ان يعطى ؟ » وحسموا المسألة بأن قالوا « فلنعطه اسما مؤقتا » وكان الحسم أخيرا على يد السيد المعلم ، ولم تفهم العجوز المصابة بالصمم تقريبا الا المقطعين الاولين من كلمة مؤقت ( Provisorish ) وسمت الفلام بروفي ، وكنته نسبة الى مكان العثور عليه ( كيرشهوف ) ، وبعد موتها اجمعوا على انه ليس بالامكان ان يتمنى المرء لبروفي كيرشهوف شيئا أفضل من خلاص قريب جدا من حياته البائسة ، وكان السكين يعيش من القمامة ويكتسي بالاسمال - بالمتاع المنسوج ، وكان يستوي عنده ان يكون ذلك المتاع لفلمان صفار او لبنات صفار - وكان يسهر عاري الرأس حانيا ، يتعرض للضرب والشتم والازدراء والكراهية ، ويرد بالضرب والشتم والازدراء والكراهية وحين جاءه الوقت الذي يدخل فيه المدرسة تلقى هناك فوق الاسمين الجميلين اللذين كانا له من قبل اسما ثالثا هو « الحثالة » ، وكان يفعل ما في وسعه لتبريره .

وكان في المكان صاحبة البيدر العليسة . وفي الخريف الماضي كان بروفي قد عانى من مرض قاتل في ركن من مستودعها ، دونما طبيب ، ودونما رعاية ، فكانت صاحبة البيدر وحدها هي التي تأتي في كل يوم لترى هل حان اجله ، وكانت تقدم اليه في كل صباح ابريقا صغيرا مترعا باللبن ، اما عادة التصديق عليه بالافطار فقد احتفظت بها حتى بعد ان تماثل للشفاء . ففي الساعة الخامسة بالضبط كان يحضر ، ويظل على عتبة حجرة القيمة ، وينادي : « لبني ! » وكان يتناول المطلوب ويمضي

في طريقه ، ولكن شيئاً غير عادي البتة يحدث ذات مرة ، وذلك ان صاحب المزرعة الذي كان ينهي سكر المساء نائماً في السرير على نحو نظامي ، اخذه النوم في هذه الليلة على المقعد الطويل في حجرة السيدة المزارعة ، واستيقظ في اللحظة التي تقدم فيها بروفي الى العتبة وصاح : « لبني ! »

« ماذا قال المففل ؟ ما ذا اراد ؟ » وتمدد المزارع وتمطى . لقد كانت له خيمة حادة الزوايا الى درجة لعينة ، وكانت اعضاؤه تؤلمه ، وكان مزاجه سيئاً ، ووجدت الكتلة الخشبية الخشنة بروفي اليوم فيه اسفينا غليظا . وقال القيم : « ليس لك ان تطالب ، بل عليك ان ترجو ، ايها الوغد ! الا تستطيع ان ترجو ؟ » .

وفتح الفلام عينيه الباهتتين ، واستطال وجهه الضيق اكثر مما كان قبلا ، والتوى القيم الكبير الشاحب ، وقال : « نعم ! » .

على ان الشمار التي كان يفرض ان تعود بها هذه الكلمة عليه نضجت على الفور ، فوثب القيم عليه وناولته افطاره في صورة حلقة ساخنة ورماء وراء الباب ، غير ان مثل هذه الحوادث العابرة لم تكن لتترك اثرا على الفلام ، فحضر مثل كل يوم في الصباح التالي من جديد ، وطالب بلبسه بالطريقة المعهودة . فاعطته القيمة اياه ، ولكنها اضافت اليه درسا جيدا :

« لا بد لك ان تتعلم الرجاء ، ايها الفلام ، الا تعرف ؟ - الرجاء . فقد غدوت كبيرا بما يكفي ، ولا ريب انك - اجل ، انهم عرفوا ذلك عنك معرفة اليقين - لا ريب انك اصبحت في الرابعة عشرة . اذا فاذكر منذ الفد : اذا لم يكن رجاء فلن يكون لبن . واصرت على ذلك وان كان وقعه ثقيلا عليها ، وقد تبين لبروفي مقدار ثقله ، وكان ذلك متعة بالقياس اليه ، واشباعا لغرور شقاوته . فقد اوتي ، وهو المنبوذ ، الذي لا اسم

له ، قدرة على تعكير صفو امراة في المنطقة وتكدير مزاجها . وشيعته ببصرها في قلق حين مر باباها دونما تحية ، ذاهبا الى العمل في مقلع الحجارة .

وهناك عمل الآن بالمياومة عند متعهد الطرق الذي كان يقدم اليه الطعام والمأوى في حظيرة الماعز . ولم يكن متعهد الطرق في حاجة الى أن يخشى على أطفاله معاشرة بروثي اذ لم يكن في وسع المنبوذ أن يعلم غلمان متعهد الطرق خصلة فاسدة ، فقد كانوا يعرفون على أية حال كل شيء ، وكانوا بصورة خاصة اسانذة في تعذيب الحيوان ، وكانت العنزات والارانب الصغيرة ، والدجاجات ، التي كانت تابعة لهم ، وكلب الدار ، والكلبة البائسة ذات الفراء المحيط بمنقحها كالباقة ، كل اولئك يشهدون فقد كانت جروحهم المندملة تروي ذلك ، وكذلك سيقانهم التي لحقها الاذي واجنحتهم المشككة ، وكان يروثي يجد تسليته في رؤية القسوة التي كان في وسعه الآن أن يستمتع بها في كل ساعة . وكان يقتنص لصغار الغلمان الطيور ويعطيهم اياها «من أجل اللعب» ، وحينئذ كانوا يستطيعون الحديث عن السعادة ، اذ لم يكونوا يحيون حياة بالغة القسوة .

غير ان اشد الحيوانات المسكينة عند عائلة متعهد الطرق يؤسا كان الكلبة العجوز . ولم تكن تسير الا على ثلاثة قوائم ، ولم يكن لها الا عين واحدة . فقد جعلتها وطاة قدم من قبل اول المواليد بين معذبيها حذاء ، وجعلتها رمية بحجر نصف عمياء . وعلى الرغم من هذه النقائص كانت تشمخ بأنفها الاشم ، وتنصب ذيلها ، وكانت تنبح كل كلب غريب يظهر للعين ، غاضبة ، وكانت شتائمها تلاحقه وهو عائد ، وكانت تخاف أبناء متعهد الطرق ، أما هو نفسه فقد كانت تكرهه لانه كان ينتزع منها صفارها الذين ولدوا لتوهم ، دائما حتى الصغير الوحيد ، ويلقي بهم في البصرة .



وفي الوقت الذي كان فيه بروقي يدق الحجارة عند متعهد الطرق، ويفربل الرمل انجبت الكلبة ، وهي بعد في سن الشيخوخة ، صفارا على نحو متكرر ، وكان ثمة أربعة ، وكان لا بد أن يذهب ثلاثة منهم على الفور في الماء ، وكانت لا تكاد تقدر على تغذية واحد أكثر من ذلك ، فقد طعنت في السن كثيرا واصابها ضعف شديد ، وبدا عليها تماما انها لن تعيش بعد طويلا ، وقد اوكل الاب عملية الاغراق في ذلك اليوم الى اكبر ابنائه طوني ، وقام هذا بما كان يؤلم مخلوقا آخر أن يعمل . ولم تكن المسألة ممتعة هذه المرة ، فقد كانت الكلبة تغدو مسعورة كالدئب حين يكون لديها صفار .

وقال طوني لبروقي : « ان أبي يخافها ، ولذلك أرسلني ، تعال معي ، وامسك بها حين آخذ منها الصفار ، وأغلق شديها لكيلا تستطيع ان تعضني » .

وكانت الكلبة السوداء باقده في وكرك خشي الى جانب حظيرة الماعز على حفنة من القش وهي متكورة على نفسها ، والصفار تزحف تحتها وحواليها وهي تنبح وتشم الارض وتبحث بعيونها المفلقة ، وتلمس الارض بقوائمها الطرية الواهنة .

ورفعت الكلبة رأسها حين اقترب منها الفتيان ، وندت عنها غمغمة معادية ، وكشرت عن أنيابها .

وصاح طوني ، وهو يمد يده ، موزع النفس بين الغضب والخوف ، الى احد الكلاب الصغيرة : « انها بهيمة غبية ، مثيرة للاشمئزاز ! امسك بها ، امسكها ، لكيلا تعضني ! » .

وقال بروقي في نفسه : « انها لتحسن صنعا لو عضتك ، ولم يخطر ببالي أن يقدم على صراع خطير مع الكلبة من اجل طوني ، ولم يكن معنيا

إلا بسلامته الخاصة ، وعلى هذا اتخذ من هربه خدعة حربية ، وجثا على الأرض وأخذ يتحدث بصوت رقيق : « يالها من كلبة بائسة ، ويلاه ، ويلاه ، اهدئي أيتها الكلبة المسكينة ... اهدئي ، فلن ينالك أحد بسوء ، ولن يأخذ أحد منك إلا صفارك ... كلا ، كلا ! . » وترددت الكلبة ، وغمغمت قليلا من جديد ، غير أنها كانت الآن أقرب إلى الوداعة منها إلى الشر ، ولم تكن تفهم الكلمات التي كان ينطق بها بروفي ، غير أنها كانت تفهم إيقاعها الوديع المهدى ، وكانت تصدقه ، وماذا كانت الكلبة تعرف من الخداع والنفاق ؟ فإذا تحدث إنسان إليها ذات مرة حديثا طيبا كان قصده قصدا طيبا . ورقدت من جديد ، وتركته يمسح بيديه عليها ، ومع هذه الملامسة المواسية أغمضت عينيها وكأنها تستسلم لنومة هائلة . وادخلت خطمها في راحة بروفي التي كانت تعلقها بامتنان ورقة .

وصاح برفيقة : « هيا ، هيا ! امسك بيدي واسرع ! » ومد طوني يده ، وما هي إلا لحظة فالتفت إليه وإذا هو يقف بثلاثة جراء بين ذراعيه خارجا من الوكر ، إلى الشارع بخطوات واسعة تنطق بالبهجة منعطفها عند مدرج الضفة إلى البحيرة ، وتبعه بروفي بأقصى سرعة في الممر الرئيسي إذ لم يكن يستطيع أن يفوت على نفسه مشاهدة كيفية اغراق الجراء .

وكان من الغريب أن المنطقة المحيطة بالكلبة أخذت تفدو مشيرة للاستياء منذ الآن عند بروفي ، فلم يكن يفصل مهجعه عن مهجمها إلا الواح من الخشب قد ضم بعضها إلى بعض على نحو رديء ، كانت تذكره كل ليلة بنباحها وعويلها . لا بد أن شيئا أصاب رأس العجوز ، والا لادركت بعد بعض الوقت أن الصغار قد ولوا وليس هناك أي سبيل للعثور عليهم على الإطلاق ، ولا بد أخيرا من الكف عن البحث عنهم ، غير أنها لم تتوقف هذه المرة ، وكان يبدو أنها تنسى ، من يوم إلى آخر ،

انها نقت في كل الزوايا بالامس عشا ، وكانت تشمشم ، وتحك خطمها  
 بالباب ، وتبعثر القش وتنفضه المرة بعد الاخرى ، وتتسلل تحت كومة  
 الحطب ، وتدس نفسها في الركن الذي كانت تستند اليه ادوات العمل ،  
 وقلبت ذات مرة بضع مجارف وهربت وقد تملكها الذعر . وخيم السكون  
 حيناً من الزمان ، ثم عادت تمشي بخطوات متقاربة هنا وهناك ، وتبحث ،  
 وتبحث ، فأبقت خطواتها المتلاحقة ، وهو الذي كانت قطعان الابقار  
 الصاخبة من قبل تمر به دون ان تكدر عليه نومه . وكان اذا نام نام هو ،  
 ونام معه الجوع والبؤس ، ومن أجل ذلك كان يحتاج الى النوم الذي  
 لا تزعجه القنابل ، وهو النوم الذي اخذه الآن ، ذلك لانه انتبه مذعورا  
 على تجوال العجوز وتنقيها ، وسالت قطرات العرق الباردة على جبهته  
 في الاكواخ التي كانت الشمس تستعر على سقفها طوال النهار ، والتي  
 بلغ فيها الحر درجة ما كانت لتفوقها حرارة الحميم . . . اكان هذا الامر  
 يستقيم في الاحوال الطبيعية السليمة؟ لو لم يكن يمكن وراءه شيء خارق  
 للطبيعة ؟ اما انظون فيقول انه لا يوجد شيء خارق للطبيعة بلا ريب ،  
 غير ان انظون ليس بالمتباهي في الفطنة والذكاء ، آخر الامر ، بل لقد  
 خطر ببال بروفي في بعض الاحيان انه حمار كبير ، وهو الامر الذي لا يجوز  
 له ان يقوله بحال من الاحوال دون ان يتعرض للضرب الرهيب من قبل  
 انظون ووالده ، فان بروفي يعرف ذلك بخبرته .

ووجد سادته بين العاملين في تمهيد الطريق ، هؤلاء الذين كانوا  
 يروضونه بالكلمات ، وبالجوع ، وكان يقال له عند ادنى مقاومة :  
 « اصابك مس من الجنون ؟ » ويخضم له سيده النصف من حصته المقننة  
 البائسة غير الكافية .

وقد كان كل امرئ سواه خليقا أن ينتهي الى الهلاك ، كما كان يقول لنفسه ، غير انه لم يكن مع ذلك يريد الهلاك ، بل كان يريد كثيرا من الزمن ليجزي الناس على كل سوء الذي الحقوه به ، بالسوء . اما انه كان هناك بعض من أسدى اليه الخير فذلك امر طواه النسيان منذ عهد بعيد ، واما صاحبة البيدر ، الساحرة المعجوز فقد كان يطوي صدره على ضفينة تجاهها لا تقبل المواجهة . فما بالها تمسك عنه وهي التي كانت تملك كثيرا جدا من المال وكثيرا جدا من المتاع ؟ لا ريب انها لم تكن تعرف أين تذهب بثروتها ، ومع ذلك فلم تكن تعطي دونما غاية ، بل كانت تريد أن يتقدم اليها المرء بالرجاء من أجل قطرات تافهة من اللبن ، وكيف نظرت اليه حين مر بها . . في نكد صريح : الا فاطلب برجاء - القارونة ، هذه ! فلتنظر ما وسعها الانتظار . بل انها حدثته ذات مرة قائلة : « كيف تبدو ! انك لتيبو كالجوز الجديد ! ألم تتعلم الرجاء بعد ؟ فسيبعها بشتيمة بدنية وأسنانف حطاه .

<http://Archivebeta.Sakha.com>

وانقضى اسبوع . والكلبة المعجوز لما يهدأ روعها بعد ، فكانت ما تفتنا تبحث وتلمس بأنفها ، ولا سيما في الليل ، في وكرها . وهكذا حدث انها أيقظت بروفي ذات يوم في ساعة مشؤومة على نحو خاص ، ولم يكن قد استطاع أن يتمدد فوق مهجمه المكون من قش النجارة والتبن القدر الا في وقت متأخر ، وكان عليه أن يسوق العنزات الى حيث يبيعها متعهد الطرق في القرية المجاورة . وحتى الآن لا توجد نهاية للعناء اللعين ، ولا بضع ساعات على الاقل من النوم الذي لا يكدره مكدر ؟ وكانت الكلبة تنبش وتبحث ، وتبحث ، وكان بروفي يضرب بقدميه على جدار الالواح الخشبية ، وتداعى الجدار ، وسقطت قطعة منه في مجال

الكلبة وهي تحدث دويا . فند عنها نباح مدعور ، وجعل صغيرها يعول ،  
ثم هذا كل شيء . وغمغم بروفي قائلا « :

الآن يسود الهدوء ، اليس كذلك ، يا بهيمة النحس ؟ ، واصلح  
رقدته وسحب ركبتيه حتى بلفتا ذقنه ، لان النوم هكذا يكون على خير  
ما يرام ، غير ان الاغفاء استعصى عليه على الرغم من ثملته بالنعاس !  
وتسللت الى خاطره افكار شتى ، افكار جديدة كل الجدة ، لم تخطر  
بباله قط . اجل لقد كانت الكلبة بهيمة نحس بولعها بالتنقيب ، ولكن  
لو ان امه كانت مثل هذه ، ولو انها بحثت عنه بحث الملهوفة على هذا  
النحو ، اذا لوجدته بلا ريب ، فلقد لبث اسمه مسطورا في الجريدة ،  
وعلق في مديرية المنطقة ، غير انها لم تكلف نفسها في النهاية مؤونة طلب  
التماس العثور عليه ، ولم يسرقها الفجر آخر الامر على الاطلاق ، بل  
كانت امه - « المسكنة » - هي التي اهدته اليهم ، بل ربما دفعت اليهم  
فيه مالا لياخذوه . . كلا ، بل ربما كانت تشعر بالعار تجاهه ، وربما  
كانت من ذوات المكانة الرفيعة ، ابنة مزارع او مالك ارض . . الا قاتل  
الله الشيطان ! فلو انها كانت ابنة مالك ارض واحتفظت به . . لكان  
خليقا ان يستمتع بالشراب في كل يوم احد ، ويسكر دائما يوم الاثنين  
وان يدخن في الحانة ، وفي ملعب الاوتاد (١) ، وان يشرب ويتعاطك ،  
وكان يصور لنفسه حياة كحياة الفردوس حين اخذت الكلبة من جديد -  
ويا لها من بهيمة نحس ملعونة ! - تنهد وتخرش الارض الى جانبه ،  
وتنتزعه من أحلامه التي كانت بالغة الهناءة ، وانتصب وقد تملكه الغضب

(١) لعبة يربط فيها مخروط خشبي بسلسلة مدلاة وتلعب به اوتاد تشبه التماثيل  
مصفوفة تحته .

« المترجم »

## □ الكلبة □

واخذ عودا من الحطب ، وداس على الالواح المطروحة ارضا وهو يدخل  
وكر الكلبة ، وجعل يسدد ضربات ساحقة ، وهو يصر بأسنانه ، الى  
الارض التي كانت الكلبة تتوالب عليها من ناحية الى اخرى مدعورة في  
الظلام ، ولم يكن يرى الى اين تبلغ ضرباته ، بل كان يضرب صوب اليمين  
وصوب الشمال ، الى الامام والى الخلف ، واخيرا - كان قد ظفر بها ،  
فها هو ذا شيء طري ، حي ، تحت ضربته الغاضبة . ودوى نباح قصير  
كالنحيب - وانطلق عويل الشكوى حادا ، صريحا نحو اذن بروثي ،  
وسرى ذلك في بدنه . فأي عويل غريب كان هذا العويل .. « كلا » -  
لقد اكتفت الآن بهيمة النحس ، الان يسود الهدوء ، هنيهة على الأقل ،  
وعاد الى مهجعه ، وتكرر فيه وغفا على الفور .

وبعد بضع ساعات افلق فجأة ، وكانت الشمس المشرقة ترسل  
شعاعا ناريا يبرق في وجهها احمر متوهجا من خلال كوة في باب الوكر ومن  
خلال ثغرة في الجدار ، وفتح عينيه ونفض ، وانبتت الكلبة فجأة الى  
ذاكرته ، وبصورة مزعجة حقا ، فاذا كان قد أجهز عليها «على ذلك النحو»  
في ليلة الامس فسيكون من العسير ان يفوت متعهد الطرق الذي لم يكن  
يطبق عدوانا على ممتلكاته ، ان يضربه هو نفسه ضربا يجعله بين الموت  
والحياة . وقال في نفسه « ويلاه ! » وسلك اصابعه العشر في شعره المغبر  
ليزيل عنه اعواد التبن التي كانت عالقة به .

واذا شيء يتحرك بين الالواح ، واذا هي تزحف زحفا بطيئا نحوه .  
وتقدمت الكلبة زاحفة وهي تجر معها صغيرها بين شدقيها . وكانت قد  
امسكت به من جلد قفاه ، وخضبته بدمها ، لان الدم كان يسيل من  
شدقها ، خيطا رفيعا ، على طول زورها . وكانت تجر صغيرها الى بروثي ،

ووضعت امامه ، وضغطته بخطمها على قدميه العاريتين ، ورفعت  
بصرها اليه .

وكان في عينها لغة هي افصح من اي لغة ، لغة تستطيع ان تصوغ  
اجمل الكلمات ، وافصححت عن ثقة لا حد لها ، ورجاء ضارع . وكان  
لا بد للمرء ان يفهمها . ومثلما كان ضوء الشمس قد تغفل في اجفان  
بروئي المطيقة تغفل تعبير هذه العين من خلال الدرع الذي كان حتى  
الآن يصد كل بادرة خير عن نفس الشقي .

— « اجل ، اجل ! » كذلك قال وهو يسرق الكلمات من شفثيه ،  
وكان يجيبها ، وهي التي سقطت الآن ، وكانت تختلج ، وتمطى .. تلك  
التي كان قد ارداها قتيلة ، والتي جاءت لتعبد اليه ، وهي تحتضر  
بصغرها .

ARCHIVE

وارتعد بروئي ، وتماثلت قوة الان تقاوم ، ولقته في دورانها كعاصفة ،  
وطرحته ارضا ، وارغمته على ان يضغط بوجهه على وجه الكلبة الميتة  
ويقبله ويداعبه . وكانت هي التي تصبح من داخله : « اجل ، انت !  
اجل انت ! لقد كنت اما ايما ام ! » . وكان قلبه يود لو يقفز من بين  
ضلوعه ، اذ كان يحتاجه تيار من الالم الوحشي ، والعذاب المبرح ،  
ويزعزعه حتى الاعماق ، واهوى بنفسه على الارض طفل مترع بالالم  
المنبعث من الاشفاق والاسى وهو ينشج ، وبكى للكلبة العجوز ، وبكى  
على صغرها الذي كان يلتصق بامه ، وينتحب ، ويلتمس الغذاء من الينبوع  
الذي كان من قبل شحيح الدر وغدا الآن ناضبا كل النضوب .

وقال بروئي : « لقد انتهى ، وما عاد يسيل منه شيء » وتناول  
الجرو بيديه ، ووضعه على خده ، ونفخ انفاسه نحوه : فأخذ يرتعد

## □ الكلبة □

وينتحب على نحو مفعج للغاية . « انت جائع ، انت جائع ، كلا ، كلا »  
— ما العمل مع هذا المتاع الذي أوكل الي ؟ « قاتل الله الشيطان » يا ليت  
العنزات كانت ما تزال ههنا ! اذا لحلب واحدة ، ولفعل ذلك على الرغم  
من العقاب الرهيب الذي ينتظره . غير أن العنزات قد ولت ، وقد يطول  
به الانتظار الى ان يمنحه امرؤ في بيت متعهد الطرق قطرة لبن للكلب ،  
بل سيقولون له : « بادر به الى الماء ! » بمجرد ان يسمعا أن الكلبة  
قد ماتت .

وقال للجرو الذي لا بد انه ورث شيئا من حسن ظن امه ببروفي  
« تعال الى الماء » والتصق برقبته وجعل يرضع صيوان اذنه ويشكو اليه  
جوعه بالزفرات والمويل .

« كلا ، كلا » كان يعرف ولكن لم يكن يملك حيلة ، فما عساه  
يقدم اليه من الطعام ؟ فلكني يحتمل المرء ما يتبع . يحتاج الامر الى معدة  
أخرى سوى ما لهذا الصغير . . . ولكن — القارونة اللعينة ! — والان خطرت  
بباله خاطرة . وعرف الآن مرة واحدة حقا كيف يتدارك الامر . ولكن —  
القارونة اللعينة ! — هذه الوسيلة ما كان له ان يلجأ اليها — فخير له ان  
يموت جوعا . واستقر عزمه راسخا كالحديد في جمجمته الفليضة ذات  
النمط النمساوي الجبلي . . . ولا ريب ان معرفة خطرت بباله ولم يكن له  
بالامس المام بها — فان تترك سواك يموت جوعا شيء مختلف كل الاختلاف  
عن ان تموت جوعا . وامسك الصغير عن الرضاعة من صيوان الاذن ، اذ  
لم يكن ليشتبعه على الاطلاق .

وفي ياس هاديء أغمضت عيناه اللتان لم تكادا تنفتحان للنور ، وما  
عاد بروفي يشعر بالصغير الا وهو يرتعش ارتعاشا خفيفا .



ويظل ينظره نحو الكلية الميتة معذبا وجلا . أجل ، اذا كان يفترض في الصغير ان يعيش فلا يجوز للمرء ان يقتل امه .

« اذا فهلم ! » ، وانطلق به فجأة وهو يقفز خارجا من الحظيرة الى الكوخ ، وتقدم بخطواته الى الامام ، بعزم وتصميم ، متجها الى القرية وهو يعرض على اسنانه حتى اصطكت . ولم يكن ينظر عن يمينه ولا عن يساره بل كان يمضي قدما لا يتوانى .

ولم يكن ثمة شيء ينبس بحركة بعد في الحقول . غير ان الحياة بدأت تدب قليلا قرب المنازل . وكان صبي الخباز يعبر الشارع الى الفدير ، وكان اجير الفلاح الذي يجمع قشور الدباغ يشد حصانا احمر مكتنزا الى العربة الجواله ، وخرجت الخادم العجوز من باب منزل المزارع ، وهي التي كانت العدو الملعنة ليوناني ، وجعلت تلاحظ اقترابه وقد تملكها سوء الظن ، ورفعت قبضتها ، وأمرت بالانصراف . ولم يكدره هذا ، بل مر بها مرور العابر كمن يراه في المنام ، ودخل من باب المطبخ المفتوح عابسا مصمما ، وقد شد ذقنه الى صدره ، والتفتت سيدة الدار التي كانت تقف عند الموقد . . . « انه شيء يبعث على الخوف كذلك كان يبدو الشقي ، وبدا صوته بالغ الخشونة ، وكان فيه شيء بالغ الايلام ، وكان جرسه يمزق الحنجرة التي كان يضغط فيها :

« يا صاحبة البيدر ، ايها السيدة صاحبة البيدر ، ارجو منك شيئا من اللبن » .

وكان هذا نقطة التحول في قلب انسان ، وفي مصير انسان .



قصة قصيرة

للقاص الألماني كيرت كزنبورغ

نظرة ازدرء

ترجمة: المصطفى اجماهي - المغرب



ARCHIVE

تعريف بالقاص:

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولد كيرت كزنبورغ في ٢٤ يونيو ١٩٠٤ بمدينة كوتبورغ بالسويد .  
والده مهندس ألماني . قضى طفولته وشبابه في لشبونة من ١٩٠٦ الى  
١٩١٤ ثم انتقل الى ألمانيا بفيسبادن وبوهل . درس بالمانيا واطاليا  
وفرنسا ، حيث حصل على الدكتوراه في الفلسفة . بدأ النشر منذ عام  
١٩٣٧ . عمل ناقدا ابيا بجريدتي ( الفلتكونست ) و ( الفويس زايتونغ ) .  
من ١٩٣٥ الى ١٩٤٣ شغل منصب رئيس تحرير مجلة ( الكورال ) في  
برلين . وفي عام ١٩٤٣ دخل الجندية حتى عام ١٩٤٥ . بعد الحرب عمل  
بالاذاعة والتلفزة ثم أصبح يعمل لحسابه كناشر وكاتب . وتتميز قصص  
كيرت كزنبورغ بمزيج من السخرية المرة والواقعية الجارحة .

\* \* \*

### القصة :

رن الهاتف . ورفع عميد الشرطة السماعة ؟

— نعم ؟

— الشرطي « كرزيج » على الخط ، لقد رماني احد المارة بنظرة

ازدراء .

— ربما تكون مخطئا — لاحظ العميد — فالاشخاص الذين يقابلون

شرطيا ، يكونون في الغالب غير مرتاحي الضمير ، وبالتالي يتجنبون النظر

اليه . وهذا قد يحمل على انه ازدراء .

— لا — قال الشرطي — لم يكن الامر هكذا ، لقد تفحصني بازدراء ،

من قبعتي الى اخمص قدمي .

— ولماذا لم تلق عليه القبض ؟

— المفاجأة . فحينما انتهيت الى وفاحته كان الرجل قد اختفى .

— هل بإمكانك التعرف عليه ؟

— بالتأكيد ، فله لحية حمراء .

— وكيف هي حاله الآن ؟

— يرثي لها .

— تجلد ، فإني باعت بمن يستبدك .

شغل عميد الشرطة جهاز اللاسلكي ، وبعث بسيارة اسعاف الى

مكان « كرزيج » ثم اعطى امره بالقاء القبض على كل مواطن له لحية حمراء .

حينما اعطي هذا الامر كانت سيارات الشرطة في مهامها فعلا .

فائنتان كانتا تتسابقان للتعرف على ايتهما اسرع ، واثنان اخريتان كانتا

تحتفلان في احدى المقاهي بعيد ميلاد العميد ، وثلاث كانت تساعد احد

## □ نظرية الزدراء □

الزملاء في نقل رحيله ، وماتبقى من السيارات كانت تقوم بنقل مشتريات . ولكن حينما بلغها الخبر التحقت على وجه السرعة بوسط المدينة .

وهكذا اقيمت المتاريس تباعا في مختلف الشوارع ، ثم فتشت جيدا . وسارع رجال الشرطة الى المتاجر والمقاهي والمنازل واعتقلوا جميع اصحاب اللحى الحمراء اللذين وجدوهم . في كل مكان كانت حركة المرور قد توقفت ، ووقع زعيق الصفارات الرعب في السكان وتفشى الخبر بان هذه المطاردة المعمومة تهدف الى القبض على مجرم ، جرائمه عديدة .

وبعد ساعات على بداية المطاردة كانت الحصيلة هامة جدا ، ثمان وخمسون لحية اقتيدت الى دائرة الشرطة . وجاء الشرطي « كرزيف » يتوكأ على ممرضين ، وبعدها تفحص جميع المشتبه فيهم لم يتعرف على الجاني . عزا عميد الشرطة ذلك الى حالة « كرزيف » الصحية واعطى امره باستنطاق المحبوسين . ( اذا كانوا البريء في هذه القضية - قال - فلا بد ان لهم جرائم اخرى ، والاستنطاقات تكون دائما ذات جدوى ) .

وفعلا كان للاستنطاقات جدوى في هذه المدينة . لايمني هذا ان الشرطة كانت تستعمل مع المتهمين وسائل التعذيب ، فالامر لم يصل الى هذه البشاعة . لكن الوسائل كانت اكثر حداقة . فمنذ مدة طويلة ، وبعد تحريات لدى اقرب اقارب كل مواطن واعدائه ، وضعت الشرطة ملفات تحتوي على كل مايكرهه المواطن اشد الكره : ضجيج الحفارات ، الاضواء الساطعة ، رائحة الفينول ، الاغاني الشعبية الاسكندنافية ، منظر الفئران المسلوخة ، الحكايات المشكوك فيها ، الكلاب التي تنبح ، لمس مصائد الذباب ، الى غير ذلك . باستعمالها على نحو جيد ، هذه الوسائل تنتج في اغلب الاحيان تأثيرها : تنزع من الاشخاص المستجوبين اعترافات حقيقية او كاذبة حسب الحالات . وكانت الشرطة مسرورة لذلك . وهذا بالتأكيد ماكان ينتظره الخمسة وثمانون رجلا .

الرجل صاحب اللحية الحمراء ، والذي نظمت من أجله هذه المطاردة كان قد دخل منزله منذ وقت طويل . ولما دق الشرطة على بابه ، لم يسمع شيئاً ، لانه كان حينها يطلق ماء الحمام . وبعد أن اطلق الماء سمع جيداً دق سامي البريد الذي مد اليه برقية . كان خبراً مفرحاً ، فقد عرض عليه منصب مهم في الخارج ، بشرط أن يستقل الطائرة على التو .

( حسن ) قال رجلنا . ( حسن . والآن هناك شيئان يتعين القيام بهما : لحيتي يجب أن تختفي لاني رأيتها كثيراً ، ويلزمني جواز سفر اذ ليس عندي ) .

شعر بلذة كبيرة وهو يأخذ حمامه . ثم لبس . وحتى يحتفل بهذا اليوم السعيد ، اختار ربطة عنق جذابة . استفسر بالهاتف عن موعد اقلاع الطائرة . خرج من منزله . سار في بعض الشوارع التي عاد اليها هدوءها ، وولج عند الحلاق . ثم بعد العلاقة توجه رجلنا الى دائرة الشرطة ، فهناك فقط كان من الممكن الحصول بأقصى سرعة على جواز سفر .

هنا يجب علي أن ارجع الى الورا لأقول لكم بأن رجلنا فعلاً قد رمى الشرطي بنظيرة ازدراء لسبب بسيط وهو أن كرزيف كان يشبه شبهاً كبيراً ابن عمه إيكون . وكان رجلنا يكره ابن عمه لقبحه ولماله عليه من دين . وهذا الكره عبر الى نظيرته لا شعورياً حينما مر كرزيف . كرزيف اذن لم يكن مخطئاً ، فبالنسبة لتقديره ليس هناك شك في صحته .

وشاءت الصدفة ، بعدما يدخل الى دائرة الشرطة ، أن يلتقي رجلنا مرة أخرى الشرطي الذي كان يذكره بإبن عمه إيكون . ولكن هذه المرة حول عنه عينيه بسرعة حتى لا يثيره . اضافة لذلك ، لم يكن المسكين كما يظهر في حالة جيدة ، فمرضان يسوقانه الى سيارة الاسعاف .

## □ نلسرة اذراء □

قضية الجواز ، لم تكن سهلة التسوية كما افترض ذلك رجلنا . ان يكون معه عدد من الوثائق وان يدلي ببرقته لم يفده ذلك في شيء . السرعة التي اراد بها الجواز لم تكن في محلها ، وادخلت الشك الى نفس موظف الجوازات .

– (الجواز) صرح الموظف ( هو وثيقة هامة تتطلب وقتا لتهيئتها ) .  
حرك رجلنا راسه : ( بالطبع هذا ماعمل به في الاحوال العادية ، ولكن لكل قاعدة استثناء ) .

– ( لايمكن ان احسم في هذه الحالة ) قال الموظف ( عميد الشرطة فقط يمكنه ذلك ) .

– ( اذن فليحسم ) .

جمع الموظف الأوراق ونهض . ( لاقتنى ) قال ( سنأخذ اقصر طريق من بين المكاتب ) .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قطعا ثلاث او اربع غرف مملوءة برجال لهم لحي حمراء . ( هذا غريب ) فكر رجلنا ( لم اكن اعرف بان هناك مثل هذا العدد . الان لم أعد منهم ) .

ومثل كثير من الطفاة ، اعطى عميد الشرطة لنفسه صورة رجل العالم . وبعد ان اطلعه الموظف على رغبة الرجل ، استغنى عنه وطلب من الزائر ان يجلس . لم يستطع الزائر ان يجلس . لم يستطع الزائر ان يتسسم ، لان عميد الشرطة كان يشبه ابن عمه ارثور والذي لم يكن يحبه ايضا . لكن العضلات التي تحكم البسمة قامت بواجبها كما ينبغي مادام الامر يتعلق بالحصول على جواز .

– ( الموظفون الصغار ) قال عميد الشرطة ( متخوفون ، ويتحاشون اخذ المبادرات وبالطبع ، ستحصلون على جوازكم حالا وفي الحين .

قتمينكم باسطنبول يشرف مدينتنا . (إني اهتؤكم ) وضع العميد الختم على الجواز ووقع .

بحركة لا مبالية مد الوثيقة لزائره ، كما لو أن الامر تعلق بمجرد بطاقة . ملاحظا ( انت تلبس ربطة عنق جميلة . انما تمثل تصميم مدينة اليس كذلك ) . ( نعم ) رد الرجل ( انها تصميم لمدينة اسطنبول ) .

— ( فكرة حسنة ، والآن ) وقف عميد الشرطة بيد ممدودة ( اتمنى لكم سفرا سعيدا ) . رافق زائره حتى الباب ، ودعه بإشارة ، وتوجه الى القاعات حيث كان استنطاق المحبوسين .

ولكي يوضع بسرعة حد لقلقهم ، اعترف المساكين بأكثر من جريمة ، باستثناء الجريمة التي هم متهمون من اجلها . ( استمروا ) امر عميد الشرطة وذهب ليتفدى .

عند رجوعه ، كان هناك جنبل ينتظره . فقد طرح حلاق بأنه في ذاك الصباح حلق لحية حمراء لزبون يطلب منه . لم يكن الحلاق يتأدر على اعطاء وصف دقيق لذلك الرجل ، ولكنه يتذكر أحد التفاصيل الصارخة في لباسه ، فربطة عنقه تمثل خريطة مدينة .

— ( يالي من غبي ) صاح عميد الشرطة ، ونزل الدرج أربع بأربع ، الى الفناء حيث سيارته تنتظره .

— ( الى المطار ) قال للسائق ، وترك نفسه يسقط فوق المقعد الورائي .

بلل السائق غاية مجهوده : قتل كلبان ، وحمامتان ، وقطا ، وصدم الترام ، وسيارة كانت تحمل اوراقا قديمة ، زرع الرعب في مئات من الراجلين ، وحينما وصل الى الهدف ، كانت الطائرة الى اسطنبول ، في البعيد ، تغلق من المطار ، في الدقيقة المقررة لها بالضبط .

# ملحق الأعلام

إعداد : د. عبده عبود  
كلية الآداب، جامعة البعث، حمص



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تقدم في هذا الملحق نبذة عن سيرة وأثار كل أديب من الأدباء الناطقين  
بالألمانية ، الذين يضم هذا العدد الخاص نصوصاً لهم ، وذلك بغية تقديم  
هؤلاء الأدباء الى القارئ العربي ، وسد جزء من الفجوة المعلوماتية الناجمة  
عن عدم توفر مراجع وافية حول الادب الألماني ، لاسيما الحديث منه ،  
باللغة العربية . كما اشرنا الى الترجمات العربية لأثار الكتاب من المذكورين  
في الحالات التي تتوفر فيها ترجمات لهذه . وقد استندنا في وضع هذا  
الملحق الى « معجم مؤلفي الادب الناطق بالألمانية في القرن العشرين » .  
الصادر في هامبورغ عام ١٩٨٤ بإشراف الاستاذ مانفرو براوتل .

( Manfred Brauneche ( G ) : Lutorenlexihan duxbschspra-  
chiges Literatur des 20. Jas deernders Hamduvg 1984 ).





Adolf Muschy

ادولف موشيج :

روائي وقاص وكاتب مسرحي وكاتب مقالة سويسري معاصر . ولد بالقرب من زيورخ عام ١٩٣٤ ، ودرس الادبين الالماني والانكليزي والفلسفة في زيورخ وكامبريدج ، وقد حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٥٩ على رسالة حول الاديب التعبيري «ارنست بارلاخ» باشراف الناقد السويسري الشهير «إميل شتايفر» . وبعد ان اشتغل مدرسا في ثانويات زيورخ ومحاضرا في عدد من الجامعات الالمانية والسويسرية واليابانية والامريكية اصبح استاذا للادب الالماني في جامعة زيورخ . ومرشح عضو نشيط في الحزب الاشتراكي الديمقراطي السويسري . وقد كتب باعتباره «اشتراكيا متنورا» روايات وقصصا ومسرحيات يعالج فيها بطريقة نقدية ساخرة قضايا عصره وبيئته ، وولاده سويسرا . ومن المسائل التي شغلته بشدة قضية مسؤولية المثقفين في المجتمع المعاصر ، حيث اعتبرهم مذنبين ، لاسبب ما فعلوه ، بل بسبب « ما لم تفعله » . اعماله الادبية القصصية والمسرحية ، تدور حول مواضيع اساسية في مقدمتها غربة الانسان نتيجة لطبيعة السلطة الحديثة ، وعجزه عن التغيير ، وبالتالي ما يصاب به من ياس . رغم ذلك فان هذه الشخصيات اليائسة تنطوي على تحريض على « حياة كاملة » .

ابرز آثار موشيج الروائية والقصصية هي : « سيف الارنب » . « سحر مضاد » ، « أجسام غريبة » ( قصص حب ) ، « سبب البيسر » ومن مقالاته الادبية الهامة مقال : « الادب كعلاج » .  
لم يترجم من انتاج موشيج الادبي شيء الى العربية حتى الان .

Erica Pedretti

**إريكا بيدرتي :**

قاصة سويسرية . ولدت عام ١٩٣٠ في مقاطعة ميهرن الالمانية الشرقية ، وانتقلت في آخر الحرب العالمية الثانية مع الصليب الاحمر الى سويسرا ، حيث استقرت في كانتون برن ( إنغادين ) . بدأت بالكتابة وهي في الأربعين ، لكنها سرعان ما اندمجت في الحياة الادبية السويسرية . ينهل عملها الادبي من مصدرين اساسيين : تجارب ومعايشات الطفولة في ميهرن ، والحياة الجديدة في إنغادين .

وتختلف «ب» عن زملائها السويسريين في ناحية اخرى هي انها لا تكتب بالمانية سويسرا الفصحى بل بالمانية طفولتها ومهجرتها . كتابها الاول « شيء بريء » من فضلك « هو مجموعة من القطع النثرية ، التي تدور حول ذكريات الطفولة في ميهرن ، وفي مقدمتها دخول الجيش الروسي . وما ولد من خوف « الكتاب الثاني « القديس سيبياسيان » قريب من الكتاب الاول على صعيد الموضوع ، وفيه يتحول التذكر الى احتجاج ضد النسيان .

اما في كتابها الثالث « تغيير » فقد استخدمت «ب» الطريقة الوثائقية ، مما جعله اكثر التصاقا بالحاضر ، رغم ان موضوعه هو الماضي الذي يواصل حضوره .

Ilse Aichinger

**إلزه ايشنجر :**

قاصة وروائية وكاتبة تمثيلات اذاعية وشاعرة . ولدت في مدينة فيينا عام ١٩٢١ ، وترعرعت هنا ، الى ان اجبرت ابان الحرب العالمية الثانية على اداء الخدمة الإلزامية . وبعد الحرب بدأت بدراسة الطب ، لكنها مالبت ان تخلت عن الدراسة لتعمل مدققة في احدى دور النشر ثم في المدرسة العليا للتصميم بمدينة أولم . تزوجت من الكاتب الالماني

جونترايش ، وبعد وفاته عام ١٩٧٢ عاشت حتى آخر حياتها منطوية على نفسها بالقرب من مدينة زالتسبورغ . وقد نالت إ . ا عددا من الجوائز الادبية الهامة ، مثل « جائزة الجماعة {٧} » و « الجائزة الادبية لمدينة بريمن » و « جائزة إمرمان لمدينة روسلدورف » .

Alfred Andersch

الفريد اندرش :

روائي وقاص وكاتب مقالة وتمثيلية اذاعية الماني . ولد في مدينة ميونيخ عام ١٩١٤ وتوفي في تشين عام ١٩٨٠ . انخرط في سنة مبكرة في الحزب الشيوعي الالماني، وأصبح كادرا قياديا في اتحاد الشيبة الشيوعية وعندما جاءت النازية الى السلطة زجت به في أحد معسكرات التجميع ، ثم افرجت عنه . وفي عام ١٩٤٤ فر اندرش من الجيش الالماني في جبهة ايطاليا . وبعد الحرب شارك في إصدار عدة مجلات ثقافية وادبية وشغل عدة مناصب في الاذاعة . يطلق اندرش في أعماله الادبية من ايمان قوي بحرية الارادة لدى الفرد ، ولهذا فهو يصور اشخاصا ذوي نزعات فردية شديدة ، يعانون من الواقع ، ويحاولون الفرار من أوضاعهم الخارجية والداخلية . والفرار موضوع مركزي في كل أعمال اندرش الروائية والقصصية . ابتداء من « مركز الحرية » ، مرورا برواية « زنجبار » ، التي يعالج فيها قضايا سياسية وأخلاقية متعلقة بالفاشية والماركسية ، وانتهاء برواية « فينتر شبلت » الصادرة عام ١٩٧٤ والتي تعتبر أهم رواياته . فيها يصور اندرش استسلام فرقة من الجيش الالماني للأمريكيين دون قتال في إحدى جبهات الحرب العالمية الثانية . تتسم رواياته المبكرة بالعزوف عن استخدام التقنيات الروائية الحديثة ، ولكن اندرش مال فيما بعد الى الاستعانة بتلك التقنيات .

Botho Strauss

## بوتو شتراوس :

كاتب مسرحي وروائي وشاعر . ولد عام ١٩٤٤ في بلدة تاومبورغ- زاله ، ودرس الادب الالمانى وتاريخ المسرح في جامعتي كولن وميونخ . عمل من ١٩٦٧ الى ١٩٧٠ محررا وناقدا في مجلة المسرح « تياتر هويته » ومنذ ١٩٧١ دراماتورجا في مسرح « شاوبوهنه » في برلين الغربية . يعتبر من المع كتاب الدراما الالمان المعاصرين ، وقد حاز عدة جوائز مسرحية وادبية هامة . يعالج شتراوس في مسرحياته ورواياته موضوعا رئيسيا هو تعثر العلاقات الانسانية ، والازمات النفسية والفكرية . وعدم قدرة اللغة المقولبة اعلاميا على التعبير عما يدور في نفوس الناس بصورة سليمة . ابرز اعماله المسرحية والروائية : « المكتب » ( ١٩٧١ ) ، « ثلاثية اللقاء الجديد » ( ١٩٧٦ ) ، « الإهداء » ( ١٩٧٧ ) ، « كبير وصغير » ( ١٩٧٨ ) ، « وجوه معروفة ومشاعر مختلطة » ( ١٩٧٩ ) ، « مهزلة كالديفاي » ( ١٩٨٦ ) « أزواج ومارة » ( ١٩٨٠ ) ، « الحديقة » ( ١٩٨٣ ) .

http://Archivebeta.Sakhril.com

Peter Bichsel

## بيتر بيكسل :

قاضي وصحفي سويسري . ولد عام ١٩٣٥ في مدينة لوتسرن ، ودرس في معهد المعلمين ، ثم اشتغل في التعليم من ١٩٥٥ الى ١٩٦٨ ، قبل ان يتفرغ للكتابة .

يعمل منذ ١٩٧٣ ناشرا صحفيا ومستشارا للبرلمان الاتحادي السويسري ، وهو يكتب المقالات السياسية بصورة منتظمة لجريدة « تاغيس - انتسايفر » . ذاعت شهرته الادبية بسرعة ، فنال « جائزة الجماعة ٤٧ » في عام ١٩٦٥ ، لكنه ما لبث ان صمت ادبيا بصورة شبه تامة . ترجع هذه الظاهرة الى الطريقة الجذرية التي طرح بها إشكالية القص وعبر عنها في كتاباته . يتألف كتابه الاول « السيدة بلوم تريد في

الواقع ان تتعرف بائع الحليب » من ٢١ حكاية إيفرافية تقترب على صعيد الشكل الغني من حكايات الفكرة ، اما الشكل النثري الاطول فقد استخدمه بيكسل في كتابه « فصول السنة » . تمثل قصص الاطفال جانبا مهما من جوانب انتاجه الادبي ، الذي لم يعرب منه شيء حتى اليوم .

Gabriele Wohmann

**جبريله فوهمان :**

قاصة ، وروائية ، وكاتبة تمثيلات اذاعية وتلفزيونية ، وشاعرة .

ولدت عام ١٩٣٢ في مدينة دارمشتات ، وبعد ان درست الادب الالمانى وعلم الموسيقى في فرانكفورت عملت بضع سنوات في التدريس ، ثم تفرغت للكتابة . تعالج ج. ف. في أعمالها الادبية الحياة اليومية ، ولا سيما الحياة العائلية ، وما تنطوي عليه من اعتياد عقيم ، وعلاقات تسلطية وسلام كاذب . يحاول الأشخاص في هذه العلاقات العائلية ، فيفشلون ، ويعودون اليها مستسلمين الى ما توفره لهم من امان . ان العائلة في كتابات ج. فوهمان لا تكتسب في أعمالها فوهمان المتأخرة قيمة أكثر ايجابية ، لاسيما في كتابها السري الصريح « نزهة مع الام » .

Gueintez Wallraff

**جوتنر فالراف :**

كاتبة تحقيقات صحفية الماني لامع . ولد عام ١٩٤٢ بالقرب من كولونيا ، وتعلم بعد الدراسة الثانوية مهنة تجارة الكتب . خلال الخدمة العسكرية تعرض ف لمضايقات شديدة واحيل الى مستشفى للأمراض العصبية ، مما قوى موقفه الانتقادي من كل المؤسسات التي تضغط على الفرد وتكبث حريته . انصرف ف منذ ١٩٦٥ الى استقصاء عالم العمل ، وذلك بوحي من علم الاجتماع الميداني والنقدي ومن التعاليم الاجتماعية المسيحية ، فاخذ يكتب التحقيقات الصحفية حول هذا العالم . وقد

اختار طريقة « الصحفي المشارك » ، حيث كان يعرض نفسه شخصيا للظروف التي يكتب تحقيقاته حولها . وقد تمكن ف متنكرا من العمل في عدد من الشركات الالمانية الكبيرة ، التي فضح الاوضاع السيئة السائدة فيها ، في تحقيقات ذات طابع وثائقي ، اثارت اهتمام الراي العام . واثار ف ضجة كبيرة بكتابه حول جريدة « بيلد » الواسعة الانتشار ، وهو تحقيق صحفي مثير ، كتبه المؤلف بعد ان عمل في هذه الجريدة متنكرا كمحرر في الشؤون المحلية . اما نجاحه الاكبر فقد حققه ف بكتابه « في الحضيض » ، الذي يصور فيه ظروف ومعاناة الجالية التركية في المانيا الغربية ، وما تتعرض له هذه الجالية من معاملة عنصرية . وقد ترجم هذا الكتاب الى عدة لغات اجنبية . هذا ويعتبر ف « المحقق الصحفي الاول » في المانيا .



Gerold Spaeth

ARCHIVE

جيرولد شبيت

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

روائي وقاضي وكاتب تمثيلية اداعية وتلفزيونية سويسري . ولد عام ١٩٣٩ بالقرب من زيورخ ، وتلقى تعليمها مهنيا يؤهله للعمل في التجارة الخارجية . تفرغ للكتابة ويعيش منذ ١٩٦٨ في مسقط رأسه . حصل على جوائز ادبية عديدة من بينها « جائزة الفريد دوبلين » ، التي منحت له تقديرا لروايته « كوميديا » ، وهي رواية استقبلها النقاد والقراء بحماس شديد . ومن اعماله ايضا : « اثنتا عشرة حكاية » . و « جهنم السليمة » . في رواياته وقصصه يروي شبيت وكان العالم يتكون من لغة . وكان مشكلات تصوير العالم وعرضه في العمل القصصي غير قائمة . موضوعه الرئيسي هو التشويه الذي يتصف به المجتمع البورجوازي ، وذلك التناقض من الرخاء والرضاء وبين ماتخفي وراء تلك الواجهة من ستر حياة فاشلة .

Friedrich Ouerrenmatt

### فريدريش ويرنمات :

كاتب مسرحي وتمثيلية اذاعية وقاص ورسام سويسري شهير. ولد عام ١٩٢١ في كونو فلينفيسر بكانتون برن ابنا لاسرة متدينة ، حيث كان ابوه قسا . لم يدرس دراسة جامعية نظامية ، بل اكتفى بالاستماع الى محاضرات في جامعتي برن وزيورخ بصورة انتقائية . عمل د . مخرجا مسرحيا ومديرا لمسرح زيورخ الى جانب عمله كاتبا ورساما . في اعماله المسرحية والقصصية يسعى د . الى تفتيت الايدولوجيات ، محافظة كانت ام تقدمية ، والى تصوير « الانسان الجري » . ويرى د. ان الكوميديا هي الشكل الفني الملائم لعصرنا ، لذا فان اغلب اعماله المسرحية كوميدية ، او تراجيكوميدية . اما قصصه فمعظمها من النوع البوليسي (قصة جريمة) فقد اهتم د . بهذا النوع القصصي لما يخطئ به من رواج ، وما يتجه من امكانات مخاطبة جمهور واسع من الملقين . نال د . ارفع الجوائز الادبية السويسرية والالمانية . ويعتبر الى جانب ماكس فريش ، ابرز اعلام الادب السويسري المعاصر . اهم مسرحياته هي : « رومولوس العظيم » « زواج السيد مسيحي » . « ملاك يأتي الى بابل » . « زيارة السيدة المعجوز » ، « علماء الفيزياء » . ( النيزك ) . ومن اعماله القصصية : ( القاضي وجلاده ) . « العطل » ، « القرين » . معظم مسرحيات د . مترجم الى العربية .

Kurt Marti

### كورت مارتي

شاعر وقاص وكاتب مقالة سويسري . ولد في مدينة برن عام ١٩٢١ ودرس الحقوق واللاهوت ، ويعيش منذ ١٩٦١ قيسا في برن . بدأ سيرته الادبية بدوان شعر كتبه بالمانية سويسرا ، وحظي

ديوانه « خطب جنائزية » باهتمام كبير ، فقد تجاوز فيه القوالب المألوفة وعالج موضوع حتمية الموت بطريقة انشائية مؤثرة . وقد دفعه تدينه الموجه نحو الحياة الدنيا للدعوة الى تغيير الاوضاع والبنى السياسية بالحوار ، لا بالعنف . وكثير من ادباء هذا البلد فقد وجه مارتى نقدا مريرا الى سويسرا في ديوانه الشعري دهابل - فيتسيا .

Martin Walser

### مارتين فالزر

روائي وكاتب مسرحي بارز . ولد عام ١٩٢٧ في منطقة بودنزه ، وخدم في اواخر الحرب العالمية الثانية في الدفاع الجوي ، ووقع في الاسر . درس الادب والتاريخ والفلسفة ، ونال في عام ١٩٥١ درجة الدكتوراه عن اطروحة حول الشكل الفني في ادب فرانس كافكا . عمل من ١٩٤٩ الى ١٩٥٧ في اذاعة المانيا الجنوبية ، ثم عاد الى منطقة البودنزه ، وما زال يعيش هناك . أصبح عضوا اكاديمية الفنون ببرلين ، والاكاديمية الالمانية للغة والشعر في درامشتات . نال ارفع الجوائز الادبية الالمانية ، ومن بينها - جائزة شيلر - و - جائزة جورج بوشنر - يصور فالزر في رواياته ومسرحياته افرادا من الطبقة الوسطى يسعون الى الصعود الاجتماعي ويبحثون عن السعادة الشخصية ، ولكنهم يفشلون في ذلك ، لان مبدء المنافسة يطلي عليهم ادوارا سلوكية تتناقض مع سعيهم الى الهوية الفردية ، وهكذا تظهر في ازمتهم الخاصة ازمت المجتمع . من اعمال فالزر : « زيجات في فيليبسبورغ » ( رواية ) ، « نصف وقت - وحيد القرن » السقوط » ( ثلاثية روائية ) « آيخه وانغزرا » ( مسرحية ) ، « البجعة السوداء » ( مسرحية ) ، « معركة في الفرفة » ( مسرحية ) .



Max Frisch

### ماكس فريش

روائي وكاتب مسرحي سويسري . ولد في زيورخ عام ١٩١١ ،  
ودرس الهندسة المعمارية ، ثم اشتغل مهندسا . دفعه شيق بلاده الى  
القيام برحلات كثيرة ، داخل أوروبا وخارجها ، والى الإقامة في الولايات  
المتحدة الأمريكية أكثر من مرة . ليوميانه أهمية كبرى ، وذلك لفناها  
بالافكار ، لقيمتها الوثائقية ، ولان فريش قد سجل فيها بصورة اولية  
المواضيع والاغراض التي عالجه في اعماله الروائية والمسرحية ، وفي مقدمة  
تلك المواضيع الاشكالية الوجودية : الهروب الرومانسي من الواقع ،  
والفشل في الحب والزواج ، والبحث عن الهوية . اشهر رواياته :  
« شتيلر » - « هومو فابر » - « ليكن امهي غاننباين » - « مونتاوك »  
- « يظهر الانسان في هولوسن » - « بلاويارت » . من اعماله الدرامية :  
« جدار الصين » - « الامر اودرلاند » - « دون خوان » - « بيدرمان  
ومشعلو الحرائق » - « البورا » . قال فريش العديد من الجوائز الادبية  
الامانية والعالمية . ويعتبر الى جانب فريديريش دورنمات أبرز اعلام  
الادب السويسري المعاصر . ترجمت الى العربية مسرحياته : « سور  
الصين » - « امير الاراضي البور » - « بيدرمان ومشعلو الحرائق » .  
- « قصة حياة » ، ولكن حركة الترجمة لم تطل اعماله الروائية .

Hugo Loetscher

### هوغو لوتشر

روائي وقاص وناقد صحفي سويسري معروف . ولد عام ١٩٢٩  
بالقرب من زيورخ ، ودرس السياسة والاجتماع والتاريخ الاقتصادي  
والادب في جامعتي زيورخ وباريس ، وقد نال درجة الدكتوراه بناء على  
رسالة حول « الفلسفة السياسية في فرنسا بعد ١٩٤٥ » . عمل لوتشر  
ناقدا ادبيا ومحررا ثقافيا في جريدتي « نويه تسويخر تساتونخ » و  
« فلت فوخه » ، ثم تفرغ منذ ١٩٦٩ للكتابة ، فهو يكتب لعدد كبير من

الصحف والمجلات ، اضافة الى الاذاعة والتلفزيون . تتصف قصصه ورواياته بطابع رمزي ، ومن اشهرها : « مياه المجاري » - « جادلة الاكليل » - « نوح » والرواية السيرية « المنبع » ، التي يصف فيها محاولات صحفي ان ينقذ نفسه في عصر تسوده الازمات . حصل لوتشر على عدة جوائز ادبية سويسرية .

Heinrich Boell

### هاينريش بول

روائي وقاص وكاتب مقالة ، يعتبر من ابرز اعلام الادب الالماني المعاصر . ولد عام ١٩١٧ في مدينة كولن ، وترعرع في اسرة كاثوليكية الطابع . وما ان بدأ دراسته الجامعية حتى سحب الى الخدمة العسكرية ، ف قضى ستة اعوام في جبهات الحرب ، وجرح عدة مرات . وبعد الحرب العالمية الثانية درس اللغة الالمانية وآدابها ، وأكمل منذ ١٩٤٧ ينشر قصصه في الصحف الالمانية ويكتب التمثيليات الاذاعية . وقد تفرغ للكتابة الادبية منذ ١٩٥١ حتى وفاته في مدينة كولن عام ١٩٨٦ . اضافة الى نشاطه الادبي كان هـ . ب من الشخصيات البارزة في حركة السلام الالمانية وفي حركة حقوق الانسان ، وقد عرف بدفاعه الجريء عن المضطهدين والملاحقين . نال هـ . ب ارفع الجوائز التقديرية الالمانية والعالمية . ومن بينها جائزة نوبل للاداب في عام ١٩٧٢ . لم ينقل الى العربية من انتاج هـ . ب القصص والروائي الضخم الا النذر اليسير ، مثل قصة « عندما انتهت الحرب » التي عرب الدكتور مصطفى ماهي ، وصدرت ضمن مجموعة « قصص المانية حديثة » ( بيروت : دار صادر ، ١٩٦٦ ) ، وقصة « ايها الجواب » ، لو وصلت اسبانيا . وقد عربها الدكتور سامي حسين الاحمدي ، وصدرت ضمن مجموعة « قبو البصل وقصص المانية اخرى » ( بغداد : دار المأمون ، ١٩٨٧ ) .

والجدير بالذكر ايضا ان المترجمة السورية نوال حنبلي قد انجزت  
تعريب رواية هـ . ب « شرف كاتارينا بلوم الضائع » بتكليف من وزارة  
الثقافة السورية . ولكن صدور هذه الرواية قد تأخر بسبب أزمة الورق،  
وينتظر أن تصدر الرواية المذكورة قريبا .

Thomas Bernhard

### توماس برنهارد ١٩٧٨ : علماء الكهوف

بدا ما يسمى بـعلماء الكهوف الذين جعلوا اكتشاف الكهوف والتنقيب  
فيها مهمة رئيسية في حياتهم ، والذين يثيرون اهتمام قراء المجلات في المدن  
الكبرى، قبل فترة قصيرة بالتنقيب في أحد الكهوف الواقعة بين تاكسينباخ  
وشفارتسباخ ، ولم يكن قد تم التنقيب في هذا الكهف من قبل مطلقا كما  
أوردت الصحف . وكما تقول « صحيفة الشعب » الصادرة في سالزبورغ  
بدا الباحثون عملهم في أول آب ونظروا جوفاء مثالية ، حيث دخلوا  
الكهف وهم مصممون على الخروج منه في حوالي منتصف ايلول . ونظرا  
لعدم خروج الباحثين من الكهف حتى نهاية ايلول ، فقد تشكل فريق  
« انقاذ علماء الكهف » ودخل الكهف لمساعدة العلماء الذين دخلوه أول  
آب . ولم تخرج فرقة الانقاذ من الكهف حتى منتصف تشرين الاول . مما  
حدا بحكومة مقاطعة سالزبورغ لارسال فريق انقاذ آخر الى الكهف .  
وقد تم اختيار اعضاء الفريق الجديد من اقوى رجال المقاطعة واشجعهم،  
وزودا بأحدث المعدات اللازمة للانقاذ . دخل فريق الانقاذ الجديد حسب  
الخطة المعدة لذلك وفي اول كانون الاول لم يكن الفريق قد عاد من الكهف .  
لذلك قررت الدائرة المختصة ببحوث الكهوف في مقاطعة سالزبورغ تكليف  
شركة بناء بإقامة سور حول الكهف الواقع بين تاكسينباخ وشفارتسباخ،  
وهذا ماتم انجازه فعلا قبل بداية العام الجديد .

Erich Fried

إيريش فريد ١٩٧٥ : المأساة

لقد انتهت اللعبة ، صاح المنافسون المنتصرون في الفصل الاخير  
بوجه الحكام الاشرار الذين اتكشف امرهم واعاقوهم من الهروب او  
الوصول الى السلاح ، ثم امسكوا بهم وقادوهم الى الكواليس . دون ان  
ينظروا اليهم بينما كانت الستارة تنسدل .

وعندما رفعت الستارة ثانية من اجل تصفيق الجمهور عاد الحكام  
المهزومون ، يدا بيد مع المنتصرين الجدد ، وانحنى الجميع امام الجمهور  
الذي صفق لهم بدهول .

Peter Handke

بيتر هاندكه ١٩٦٧ : الدولة

انشدت كل مقاطع النشيد الوطني الاتحادي . احببت والدي كخليفة  
للدولة ، احببت موطني ، احببت المقاطعة الاتحادية التي ولدت بها ،  
احببت وطني المحبوب . تعلمت جملا عن الدولة . وليست الدولة بل  
الكلمات عنها هي التي استهوتني للاستخدام . ونظرا لوجود الدولة كان  
يسود الشعور الجماعي . وقد قبل قبل عامين بان عقد اتفاقية مع القوى  
المحتلة سيجعلنا في نهاية المطاف احرارا . ولكن لم يتغير شيء حتى الان  
سوى الاحتفال بالعيد الوطني . ورغم ذلك نسمع مقولة مفادها اننا احرار  
وانا ارى ان الكلمتين ، احرار وغير احرار ، ليستا سوى تلاعب بالالفاظ .

لم تكن الدولة بالنسبة لي اكثر من علامة الورق المائية للشهادات .  
ونظرا لعدم تمكني تصور اي شيء تحت كلمة دولة تحمست لها . وارتدت  
اقتفاء اثر كل شيء استطيع تخيله . وكنت متحمسا لكل مايمكن  
التفني به .

Ernst Jandl

ارنست ياندل :

يصيح خنزير الشمس بقضب :  
يجب حرق الكرة الأرضية !  
وطاعون العشب الأخضر  
يلتهم كل من كان انسانا .  
وجلاد الاشجار يشير الى الاعلى  
ويشنقك على غصني ورقبتك  
فاطفيء الضوء وامح النهار  
فالاذان مملوءة ببراز المصافير .

Ingeborg Bachmann



انغبورغ باخمان ١٩٦١ : كلماتها

( مهداة للصديقة والشاعرة نيلي ساكن )

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

انهضي يا كلماتها والحقي بي .

ولنذهب سوية .

ولنتابع الطريق الذي لا ينتهي .

انها لاتنجلي .

فالكلمة تجر كلمات اخرى .

والجملة جملة اخرى .

فهكذا يود العالم .

ان يلزم الآخرين به .

فهي لاتقول ما قيل .

انهضي يا كلمات والحقي بي .

كي لا يأخذ شيء شكل القطيعة .  
حتى ولا القول والمناقضات ...  
دعوا الآن ، وللحظة المشاعر ساكنة  
دعوا تلك العضلة ، القلب ، تتدرب بشكل آخر !  
أقول : لاتهمسوا أي شيء في الاذن العليا  
فماذا يخطر على بالك في موضوع الموت ...  
الحقي بي أيتها الكلمات ولا تكوني محرقة ومعزية ومعبرة ...  
وليس هذا فقط : فصورة شريطة القبار  
والحصى الفارغة من المقاطع عبارة عن كلمات الموت ...  
فكلماتها ليست كلمات موت

Ernst Jandl

ARCHIVE

ارنست ياندل : العصفور الحقيقي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

اصطد نملة طريقة .  
وخذ مقصا حادا  
واقطع رجلي النملة .  
فللنملة حق الطيران دائما .  
فهي تعلم وتعلم ،  
بشكل لم اعد اراها ،  
حيث اذوب من الرقبة  
فالعصفور الحقيقي هو ذلك العصفور  
الذي لا يفكر مطلقا بالهبوط .

Marianne Fritz

### ماريانه فريتس : التي لاتفهم لغتها

كانت توحد بلاد يكافئ فيها التعسف ، ويساقب كل من يستطيع النسيان ، فبالقطارات والسيارات سرقت ثروات الارض الى خارج البلاد . وبقي فيها الجوع واللغة المسروقة . هكذا كان وهكذا هو الحال الآن .

ففي عام ١٩١٤ ، عام الموت الكبير ، امتدت يدهم الى الثروة الحية للبلاد ، فصادروا شبابها ، وصدرت الاوامر لهؤلاء الشباب بقتل اخوتهم الذين يسكنون خارج الحدود . فكان على هؤلاء الشباب الدفاع عن الوطن الذي تمت مهاجمته من الخارج - كما كانت تقول الاوامر العليا .. وهذا الوطن ليس للشباب المدافعين ، انه وطن سرق كل ما هو جيد فيه ، ولم يبق سوى الجوع واللغة المسروقة والمناسبات . ومن لم يكن حذرا مات بسرعة مذهلة ولم يعد بإمكانه العمل على نشر الثقافة .

ومن كان محظوظا لم يمت بل دخل السجن الى زنزانة كان يقف فيها بالقرب من القبر والجوع من جهة ، ومن جهة اخرى بالقرب من الجزمة العسكرية . فقد كان للقانون ، اي بيت العدالة ، احذية عسكرية .

وحتى الالة لم يعجب المسؤولين عن الثقافة في البلاد . فكان لديهم الهمم الخاص بهم الذي قدموه للمواطنين كالاله الحقيقي ووصفوا انصار الاله الاول بالفش والخداع .

Thomas Bernhard

## توماس برنهارد : المستقلون القدماء

ولد النمساويون كانتهازيين ومراوغين يعيشون من التستر والنسيان وليس هناك من اية بشاعة سياسية كبيرة او جريمة كبرى لم ينسوها بعد مضي اسبوع واحد عليها .

يحمل النمساوي في دمه فن التستر على الجرائم ، هذا ما قاله ريفير ، فالنمساوي يتمكن من التستر على افطع الجرائم خاصة وانه قد ولد مراوغا انتهازيا كما قلنا . فمنذ عشرات السنوات يرتكب اسيادنا الجرائم البشعة ، ويتم التستر عليهم من قبل هؤلاء المراوغين الانتهازيين . ومنذ عشرات السنوات يقوم وزراءنا بالخداع والتفليل بشكل اجرامي ويتم التستر عليهم من قبل هؤلاء المراوغين . وانها لاعجوبة ان تم احيانا محاسبة مثل هؤلاء الوزراء المجرمين ، كما يقول ريفير ، حيث توجه تهم الاجرام البشع على مدى عشرات السنوات لذلك الوزير ، ويتم تناسي الفضيحة كلها بعد مرور اسبوع فقط .

اما اللص الذي يقوم بسرقة عشرين شيلينغ فيلاحق من قبل العدالة ويزج به في السجن ، بينما تتم ملاحقة لص الملايين والمليارات بمستوى الوزير في احسن الاحوال بمنحه معاشا تقاعديا ضخما ، وتطوى قضيته حسب راي ريفير .

وانها لاعجوبة ، كما يقول ريفير ، ان تتم الان ملاحقة وزير ، ولكن ما ان يعفى من منصبه وتصفه الصحف بأنه لص المليارات ومجرم خطير يجب محاكمته ، حتى يذهب ذلك بالنسبة للصحف والراي العام في طي النسيان والى الابد .

